رحلة
ابن معصوم المدني
أو
سلوة الغريب وأسوة الأديب

تحقيق
شاكر هادي شكر

عالم الكتب
مكتبة النهضة العربية

رحلة ابن معصوم المدني
أو
سلوة الغريب وأسوة الأريب

تأليف

السيد علي صدر الدين المدني

تحقيق

شاكر هادي شكر

الدار العربية للموسوعات

ترجمة المؤلف في سطور (*)

ـــــ هو السيد علي صدر الدين بن الأمير أحمد نظام الدين بن محمد معصوم المدني. يتصل نسبه بزيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

. ولد بالمدينة المنورة ليلة السبت الخامس عشر من جمادى الأولى سنة 1052 هـ. وأمّه كريمة العلّامة الشيخ أحمد المنوفي إمام الشافعية في الحجاز.

ـــــ هاجر إلى الهند سنة 1066 هـ بطلب من والده الذي كان يشغل وظيفة نائب السلطنة في حيدر آباد أيام السلطان عبد الله قطب شاه.

. بوفاة السلطان المذكور تغلّب أحد الوزراء على الملك ، وفرض على المؤلف وعلى أبيه الإقامة الجبرية ، ومات الأب في الحجر سنة 1086 هـ ، وعندئذ شعر الابن بمؤامرة تدبّر لقتله فهرب إلى برهان بور ملتحقا بالسلطان محمد أورنك زيب شاه.

ـ ضعف السلطان المذكور لتقدّمه بالسن ، وأصبحت أخلاقه لا تطاق ، فوجد المؤلف نفسه غير قادر على القيام بواجبات وظيفته ـ رئاسة الديوان في البلاط ـ فسعى جاهدا للعودة إلى الحجاز ، وبعد لأي تمكّن من استحصال الإذن بالسفر بحجة أداء فريضة الحج. فسافر هو وعائلته سنة 1114 هـ.

(*) مقتبسة من مقدمتي لكتاب أنوار الربيع للمؤلف نفسه.

ـ وصل إلى مكة المكرمة ـ وهو ينوي الإقامة في الحجاز ـ ولما حلّ الموسم أدّى فريضة الحج ، ثم قصد المدينة لزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتحرّى الوضع في المدينتين المذكورتين فوجد كل شـــيء فيهما قد تغير ولا يكاد يعرف أحدا من الناس بعد غياب دام (48) سنة.

ـــ واصل سفره إلى العراق ، وزار البصرة والنجف وكربلاء وبغداد ، ودرس الحالة عن كثب فلم يجد في العراق آنذاك الجوّ الملائم للتأليف والتدريس اللّذين نذر لهما ما بقي من أيام حياته ، فقرر مواصلة السفر إلى إيران.

ـــ دخل البلاد الإيرانية وزار أمّهات المدن مثل خراسان ، وقم وأصفهان ـــ العاصمة . وكان يودّ الإقامة فيها ، غير أنه وجد الأمور مضطربة على السلطان حسين الصفوي فواصل سفره إلى شيراز وهي آنذاك عامرة بالعلم والعلماء ، فألقى بها عصا الترحال ، واتخذ المدرسة المنصورية مقرّا لعمله في التدريس والتأليف.

ـ توفي بشيراز سنة 1120 هـ على أصح الأقوال ، ولم يرم القلم من يده إلّا قبيل وفاته ببضع ساعات ، ودفن بحرم السيد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر الملقب بشاه جراغ.

. له مؤلفات عديدة ، المعروف منها :

(1) كتابه هذا . سلوة الغريب وأسوة الأريب.

(2) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر . مطبوع.

(3) أنوار الربيع في أنواع البديع طبع مرتين ، والثانية بتحقيقي.

(4) الدرجات الرفيعة . طبع جزء واحد منه ..

(5) رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية . طبع على الحجر مرتين ..

(6) الحدائق النديّة في شرح الصمدية للشيخ البهائي الحارثي في النحو ـــ مطبوع على الحجر أكثر من مرة ..

(7) شرحان على الصمدية أيضا . متوسط وكبير ..

(8) الكلم الطيّب والغيث الصيّب في الأدعية المأثورة.

(9) موضع الرشاد في شرح الإرشاد في النحو.

(10) المخلاة في المحاضرات.

(11) الزهرة في النحو.

(12) ملحقات سلافة العصر.

(13) الطراز في اللغة.

(14) رسالة في أغلاط الفيروز أبادي في القاموس.

(15) التذكرة في الفوائد النادرة.

(16) رسالة في المسلسلة بالآباء شرح فيها الأحاديث الخمسة المسلسلة بآبائه.

(17) نفثة المصدور.

(18) محك القريض.

(19) نغمة الأغان في عشـرة الأخوان وهي أرجوزة تقارب السـبعمائة بيت ، وجدتها في بعض المخطوطات ملحقة بديوان شعره.

(20) ديوان شـعره وهو كبير يضـم بين دفتيه حوالي خمسـة آلاف بيت ، وقد فرغت من تحقيقه ، وسيطبع إن شاء الله في أقرب فرصة ممكنة.

التعريف بالمخطوطات المعتمدة في التحقيق

وقفت على ثلاث نسـخ مخطوطة من الكتاب ، اثنتان منها في مكتبة مديرية الآثار العامة ببغداد :

الأولى : مسـجلة برقم 9636 وهي من كتب المرحوم الأسـتاذ عباس العزاوي المحامي ، خطّها نسخي غاية في الجودة ، ولكنها غير مضبوطة وكثيرة التصحيف والأخطاء الإملائية. جاء في آخرها (وافق الفراغ منه نهار الأربعاء لليلتين بقيتا من شـهر رمضـان المبارك سـنة 1075 هـ على يـد أقـل عبـاد الله وأحوجهم إلى مغفرتـه ورحمتـه ، الفقير جلال الـدين بن الشريف حسن النجفي العباسي الشهيرين أهله بآل ظفر).

يسـتفاد من هـذا التاريخ أن هـذه المخطوطة كتبت في الهند بعد الفراغ من تـأليف الكتاب بثلاثة أشهر ، وأنها أقدم النسخ ، ولكنها على كل حال ليست نسخة المؤلف بدليل أنها محشوة بالتصحيفات والأخطاء.

الثانية : مسجلة برقم 14620 وهي من كتب الأستاذ السيد صادق كمونه المحامي. خطها نسـخي متوسـط الجودة ، خالية من الضـبط ، وهي بالإضـافة إلى ما فيها من تصـحيفات وأخطاء لا تخلو من تصـرف في بعض الجمل يوحي أنه من عمل النسّـاخ وقد أشـرت إلى ذلك في مواضـعه من الكتاب. كتابتها حديثة جاء في آخرها (كان الفراغ من تسـويد هذه النسـخة ضـحى يوم السـبت السـابع عشـر من جمادى الثانية سـنة ألف واثنتين ومائة حامدا مصليا مسلما مستغفرا). ثم يأتي بعد ذلك ما نصه (وقد كتبها لنفسه محمد بن الشيخ طاهر السماوي النجفي على نسخة كتبها علي بن ابراهيم الدرازي أصلا ،

والشـــاخوري [1] مســـكنا. وظنّي بهذا التاريخ المتقدم في حياة المصـــنف. ونســـخته كثيرة التصـحيف والغلط ، فصـحح الضـعيف ما أمكنه ، وكان كتبها في النجف على اسـتعجال ، وفرغ منها ليلة الاثنين لثمان بقين من ذي الحجة من شهور سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف حامدا مصـليا داعيا إلى الله تعالى أن ينفع بها أنه على كل شـيء قدير ، وله الحمد والشـكر في البدء والختام).

أما النسخة الثالثة : فهي في مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد ومسجلة لديها برقم 12317. خطّها نســـخي لا بأس به ، خالية من الضـــبط وهي كســـابقتيها من ناحية التصـــحيف والأغلاط. جاء في آخرها ما نصـــه (وقع الفراغ من نســـخ هذه الرحلة على يد كاتبها المفتقر إلى عفو ربه الجليل عبد الله بن عيسى بن اسماعيل ، الشـهير بالعباسـي ، غفر الله له الزلل ، وستر له الخلل ، ووفقه لصالح العمل ، هو ووالديه وإخوانه ومحبيه في الله وسائر المسـلمين ، في اليوم الخامس عشـر من ذي الحجة الحرام من شـهور سـنة إحدى وثلاثين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشـرف صـلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله ربّ العالمين سبحانه وتعالى.

قابلتها وأصلحتها. وإلّا (كذا) فالمرجو من الاخوان المسامحة على ما فيها من التحريف ، وأن يصـلحها من هو أهل لذلك لتخلو من التصـحيف. والله سـبحانه وتعالى يصـفح عن الجميع بمنه وكرمه آمين).

ولما لم أوفّق إلى العثور على نسخة المؤلف أو نسخة مقروءة عليه ، لم أشأ التوسع في الحصول على نسخ أخرى لا يجني المحقق منها غير التعجيز ، وتضخيم الكتاب بكثرة الشروح لبيان ما فيها من تصـــحيفات وما يوجد بينها من اختلافات ، ومثل هذا العمل في الواقع إحصـائي أكثر منه أدبي ، ويكفي المحقق أن يطمئن إلى سـلامة النص ، ويتثبت من صـحة عمله.

---

(1) لعلها الشاغوري ، نسبة إلى الشاغور : محلة خارج الباب الصغير من قبلي دمشق ظاهر المدينة.

المنهج الذي سلكته في التحقيق

اعتبرت النســـخ الثلاثة التي مر ذكرها معتمدة في التحقيق ، الواحدة منها تكمل الأخرى ، وجعلت للنسخة الأولى ــ نسخة العزاوي فضلا على النسختين الثانية والثالثة لقدم كتابتها أولا ، ولجمال خطها وسهولة قراءته ثانيا.

ـ فإذا وجدت تصحيفا أو خطأ في إحداهن ، وكان الوارد في الأخرى صحيحا أخذت بالصــحيح دون أن أشــير إلى ذلك في الهامش تجنبا للإطالة ، فلو ذكرت كل تصــحيف أو خطأ وارد في كل نسخة من النسخ الثلاث ــ وهي كثيرة جدّا ــ لطغت الهوامش على الكتاب دون أن يستفيد منها الباحث أو القارئ.

ـــ إذا اختلفت النسـخ في الرواية وكانت الروايات كلها مقبولة أخذت بما في نسـخة العزاوي حتى ولو كان الذي في سواها أرجح معنى وأقوى مبنى ثم أشير إلى ذلك في الهامش.

ــ إذا كان الاختلاف في نص منقول عن أحد المصادر ، فإني آخذ برواية النسخة التي تنطبق روايتها مع ذلك المصدر ، ثم أنوّه عنه في الهامش.

ــ أرجعت النصوص المنقولة إلى مصادرها ــ على قدر المستطاع ــ وأحلت عليها في الهامش ، وذكرت فيه كل اختلاف وقفت عليه ، وأهملت الأخطاء والتصــحيفات الواردة في تلك المصادر.

. عزوت . على قدر الإمكان . الأشعار التي لم ينسبها المؤلف ، إلى أصحابها.

ـــ اكتفيت بإيضــاح أسماء الأعلام من الرجال وبذكر تواريخ وفياتهم ، وأشــرت إلى مصــادر تراجمهم ، ولأجل أن لا أطيل في تعداد تلك المصــادر فقد عوّلت في الأعم الأغلب على (1) . الأعلام للزركلي و (2) . معجم المؤلفين لكحالة و (3) . هوامش أنوار الربيع لابن معصـــوم ، لأن في هذه الكتب تراجم مختصـــرة تفي بالغرض ، وفي عقب كل ترجمة قائمة بالمصادر التي ترجمت لذلك العلم.

. أهملت ذكر من لم أتوصل إلى معرفته.

. عرّفت بالكتب والمواقع التي ورد ذكرها في الكتاب إلّا ما تعذّر الوقوف عليه.

. لم أتوسّع في شرح الغريب من اللغة.

. استعملت في الهوامش الرموز الآتية :

(ع) مخطوطة الأســـتاذ عباس العزاوي التي انتقلت ملكيتها إلى مكتبة مديرية الآثار العامة ببغداد (مسجلة برقم 9636).

(ك) مخطوطة الأستاذ صادق كمونه التي انتقلت ملكيتها أيضا إلى مكتبة مديرية الآثار العامة ببغداد (مسجلة برقم 14620).

(أ) مخطوطة مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد (مسجلة برقم 12317).

(*) وضــعت هذه الإشــارة إلى جنب أسماء بعض الأعلام للدلالة على أنه قد ســبق التعريف به.

وختاما فإني في الوقت الذي أعترف فيه بقصـــوري عن أن أقدّم للقارئ الكريم عملا متكاملا يســعدني أنني بذلت في إخراج هذا الكتاب بهذا الشــكل غاية جهدي خدمة لأمتي العظيمة ولغتها المقدســة ، ســائلا المولى جلّ وعلا أن يتقبل أعمالنا التي حســنت فيها نياتنا (**رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِــينا أَوْ أَخْطَأْنا ، رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْــراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا ، رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ**).

المحقق

مقدّمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل الأرض مهادا ، وسلك فيها سبلا ، وأودعها من عجائب صنعه ما شاهدته أبصار أولي الأسفار قبلا [1]. سبحانه ما أعجب ما قدّر في أمور عباده ، وألطف ما دبّر في أرضه وبلاده. أنفذ كيف شاء في خلقه أحكامه ، فقضى على هذا بشعث السفر ، وعلى هذا بلمّ الإقامة ، والصلاة والسلام على نبيّه الذي بعثه بأشرف البقاع ، وشرّف بمواطئ أقدامه الشريفة كثيرا من الفجاج والقاع ، وجعل دينه المنيف مألفا لعباده بلا حيف ، فأغناهم عن إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، وعلى آله وصحبه البررة الهادين الذين مهّدوا طرق الحق ، وأوضحوا مناهج الدين.

وبعد ، فيقول المفتقر إلى ربّه الغني علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني ، هداهما الله إلى سواء السبيل ، وأنالهما من جزيل ما ينيل : غير خاف إنّ شيمة الأيام وسخيمة [2] صدور اللئام هما كمد نفس كلّ فاضل ، ورمد جفون الأفاضل ، فما من ذي فضل إلا مني بدهر عبوس ، أو غمر ببنيه كؤوس الهمّ والبوس. ذاك ينصب له المصايد وهذا يجرّعه غصص المكايد ، فقلّما انتدب ذو أدب لنيل أرب إلّا وأدركته حرفة الأدب ، أو جدّ واحتشد لأمر برشد إلّا عاقة ذو حسد. بهذا جفّ القلم فيما ألمّ ، وقضى القضا فيما مضى. ومن هنا استولى النقص على الكمال ، واستعلى على الرشد الضلال ، وركدت ريح الفضل وخوى [3] طالعه وخبت مصابيح الأدب ودجت

---

(1) قبلا (بضمتين) : عيانا.

(2) السخيمة : الضغينة ، والموجدة.

(3) خوت النجوم : أمحلت ، أي سقطت ولم تمطر في نوئها.

مطالعه. حتى سئمت الفضائل أهلها ، وحمد من الأراذل جهلها ، فشكا كلّ أديب من دهره ، وبكى كلّ أريب من رعاع عصره.

هـذا زمـان لـيـس فـيـه سـوى الـنّـذالـة والجـهـالـه
لم يـرق فـيـه صـاعـد إلّا وسـلّـمـه الـنّـذالـه

ثم هذا ليس إشارة إلى هذا الزمن العديم ، بل العلّة عاديّة ، والبلاء قديم حتى قيل : ما فسد الناس ، وإنّما اطّرد القياس ، ولا اظلمّت الأيّام وإنّما امتدّ الظلام ، وهل يفسد الشيء إلّا عن صلاح ، ويمسي المرء إلّا عن إصباح ، وقديما ما بثّت الأفاضل خطوب الدهر ونكوب الزمن ، ونثت [1] من أهوال أحوالها بخس الحظ ووكس الثمن ، وكم جدّت بجدودها العواثر في هذه الدنيا لنيل العلياء ، فضربت شرقا وغربا ، وأوغلت بعدا وقربا ، فلم تحصل على طائل ، وما أشبه الأواخر بالأوائل.

وإذا السّعي لم يلاحظ بسعد فالتماس المنى من الحرمان [2]

وهيهات مع شرف العلم عزّ المال ، ومع حرفة الأدب بلوغ الآمال ، ولا سيما من انتمى إلى بيت النبوّة ، وارتدى مع ذلك رداء صيت الفتوّة ، فإنّ الدهر أشدّ حقدا عليه ، وأسرع نهدا إليه.

نحن بني المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا أوّلنا مبتلى وخاتمنا [3]

هذا وإنّي منذ كبر عن الطوق عمري [4] ، وارتفع عن منافثة الأتراب عمري ، لم أزل أصابح وأماسي ما يهدّ أيسره الرواسي ، وأكابد وأقاسي ما يليّن أهونه القواسي. أسوق من دهر قصصا ، وأسيغ من غمر غصصا.

---

(1) نثت : حدّثت وأذاعت.

(2) في ك ، وأ (فالتماس المنى به حرمان).

(3) الشعر للخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار بن معد المتوفى سنة 386 هـ (أنوار الربيع 4 / 91). في ك (في الأنام) مكان (في الحياة).

(4) إشارة إلى المثل القائل (شبّ عمرو عن الطوق).

كـلّ يـوم لي خصـــيـم [ضـــالـع] والمـقـاديـر لهـا حـكـم شـــطـط [1]

وإذا كشّـــفـــت مـــا يـــرمضـــني مـن مضـــيـض الـدّاء قـال الحـلـم غـط

ولقد منيت بكربة الغربة ، وتشعّث الحال وعهد الصّبا مخيّم ما همّ بالارتحال ، وبليت بورود منهل البين الأكدر ، وباهر العمر مشرق أشرف على الكمال وما أدبر. رمتني مرامي النوى بجهدها ، وأبدلتني عن خير بلاد الله المشرّفه بأرض هندها ، وناهيك بأرض شاسعة نائية ، وبلد أهلها كفرة طاغية ، وليس ذلك والله لطلب نائل ، أو بلوغ وطر امتثلت له قول القائل :

وارحـل ركـابـك عـن ربـع ظـمـئـت بـه إلى الجنـاب الـذي يـهـمي بـه المطر [2]

كيف وقد علمت أنّ الحرمان من شـــيم الزمان ، وربّ عطب تحت طلب ، ولكن قضاء حتم ، وأمر لزم فأين المفر ، وهيهات طلب المستقر.

لـو أنصـــف الـدهـر دلّـتـني غـيـاهـبـه على العلى بضـــيـاء العقـل والحســـب

مـا يـنـفـع المـرء أحســـاب بـلا جـدة أليـس ذا مـنـتـهـى حـظّـي وذاك أبي

وكنت بعد أن نزلت على حكم القدر في تحمّل شـــقّة البين ، وفارقت الأهل والوطن فراق الجفن للعين ، حريصا على أن لا يكون فعلي إلّا فعل امرئ جدّ في طلب العلى جدّه.

ومـا رأيـه في عســـجـد يســـتـفـيـده ولـكـنّـه في مـفـخـر يســـتـجـدّه [3]

وإن زعم قوم أني على خلاف ذلك فالحسد يقحم مقتفيه أضلّ المسالك.

---

(1) البيتان من قصيدة طويلة للشريف الرضي (محمد بن الحسين) المتوفى سنة 406 هـ (أنوار الربيع ــ 1 / 41 ، وبين البيتين أكثر من ثلاثين بيتا. ضالع : جائر. في الأصول (طالع) والتصويب من الديوان.

(2) البيت للحريري (القاسم بن علي) المتوفى سنة 516 هـ (انوار الربيع 1 / 111 وهو من ضمن قطعة وردت في مقامته السابعة والثلاثين (الصعيدية).

(3) البيت لأبي الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين) المتوفى سنة 354 هـ (أنوار الربيع 1 / 38). والظاهر أن المؤلف حوّره ليلائم غرضه ، وإلا فراوية الديوان له :

ومـا رغـبـتي في عســـجـد أســـتـفـيـده ولـكـنّـهـا في مخـفـر أســـتـجـدّه

وقد سرّني أنّي من المال مقتر ولا الوجه مبذول ولا العرض منهوب
كما سرّني أنّي من الفضل موسر على أنّه فضل من الرّزق محسوب

فجهدت على أن لا أظفر بنكتة طريفة إلّا نمّقتها ، أو فائدة ظريفة إلّا علّقتها ، أو شعر فائق إلّا كتبته ، أو نثر رائق إلّا أثبتّه ، حافظا لذلك حفظ الجفن لمقلته ، والصدر لمهجته ، والشحيح لدرهمه ، والجريح لمرهمه. حتى كأنّي استدبرت وطنا واستقبلت وطرا ، وسلوت عن قديم ما سلف بحديث ما طرا ، فاجتمع لديّ من نخب اللطائف ما رقّ وراق ، واقتطفته النواظر من ثمرات الأوراق ، وانتخبته نتائج الأفكار ، وجنحت إليه جنوح المفرخ إلى الأوكار ، وتملّت به النفوس ، وتحلّت به المهارق [1] والطروس.

ملح إذا ذكرت بناد خلته من نشرها البادي تضمّخ طيبا
ولكم بها قد قام ربّ فضيلة بين البريّة في البلاد خطيبا

فأزمعت على أن أجمع ما وقع لي من ذلك رحلة تكون لأولي الألباب من ذوي الآداب نحلة ، أثبت فيها ما وقفت عليه ، وما سأقف إن شاء الله تعالى جانحا إليه ، إلى أن يمنّ الله سبحانه بالعود إلى الوطن ، والأوب إلى العطن ، وأورد خلال ذلك من الطرائف المستظرفة ، والظرائف المستطرفة ما يروق النواظر ، ويجلو صدأ الخواطر ، وتقرّط به المسامع ، ويطرب له الناظر والسامع. فإذ أشرق من أفق الكمال بدرها المنير ، وتفتّق عن حجب الكمام زهرها النضير سمّيتها :

«سلوة الغريب وأسوة الأريب»

ليطابق الاسم مسمّاه ، ويوافق اللفظ معناه ، وفيها أقول :

رحلتي المشتهاة تزري بالرّوض عند الفتى الأريب
فإن تغرّبت فاصطحبها فإنّها سلوة الغريب

---

(1) المهارق جمع المهرق (بالضم) : ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه.

فها هي كالمنية قد أنجحت لراجيها ، أو العروس قد أبرزت في ناديها ، فخذها بارك الله لك فيها.

مقدّمة : فيما جاء في السفر والاغتراب من نثر ونظم ذما ومدحا ، والناس متفاوتون في التفضيل بين التغرب والإقامة ، فلنذكر من كلّ طرفا يعدّه الناظر طرفا.

أمّا ما جاء في الذمّ في ذلك فقد قال الله عزوجل (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ)[1] فقرن جلّ اسمه الخروج من الوطن بقتل النفس.

وروي عن سيّد البشر الشفيع المشفّع في المحشر أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم نومه وطعامه ، فإذا قضى أحدكم مهمّته من وجهه فليعجّل إلى أهله).

وقيل لبعضهم : إنّ السفر قطعة من العذاب ، فقال : بل العذاب قطعة من السفر ، ونظمه من قال :

كلّ العذاب قطعة من السّفر يا ربّ فارددني إلى ريف الحضر

وكان الحجاج بن يوسف [2] يقول : لولا فرحة الإياب لما عذّبت أعدائي إلّا بالسفر وقيل : السفر ، والسقم ، والقتال ، ثلاثة متقاربة. فالسفر سفينة الأذى ، والسقم حريق الجسد ، والقتال منبت المنايا.

وقال حكيم : في السفر خصال مذمومة منها مفارقة الإنسان من يألفه.

وعلى ذلك لعلي بن موسى بن سعيد المغربي [3] :

عجبت ممّن يبتغي بغية عن حبّه في نيلها يذهب

---

(1) سورة النساء / 66.

(2) والي العراق المشهور في عهد عبد الملك بن مروان. توفي سنة 95 هـ (أنوار الربيع 3 / 25).

(3) هو صاحب التصانيف الكثيرة منها (المغرب في حلى المغرب) توفي في حدود سنة 685 هـ وقيل غير ذلك. (أنوار الربيع 1 / 69).

أقم فلا كانت منى في نوى من فقد المحبوب ما يطلب

ومنها مصاحبة الإنسان من لا يشاكله ، والمخاطرة بما يملكه ، ومخالفة العادة في أكله ونومه ، ومباشرة الحرّ والبرد بجسمه.

وقيل : السفر اغتنام لولا أنّه اغتمام ، والغربة دربه لولا أنّها كربة.

وقيل : شيئان لا يعرفهما إلّا من ابتلي بهما : السفر الشاسع ، والبناء الواسع.

وقال محمد بن ظفر في السلوان [1] : حروف الغربة مجموعة من أسماء دالّة على محصول الغربة. فالغين من غرور ، وغبن ، وغلّة وهي حرارة الحزن ، وغرّة ، وغول وهي كلّ مهلكة ، والراء من روع ، وردى ، ورزء ، والباء من بلوى ، وبؤس ، وبرح وهي الداهية ، وبوار وهو الهلاك ، والهاء من هول ، وهون ، وهمّ ، وهلك.

وقيل : إذا كنت في بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذلّ.

وقيل : الغريب ميّت الأحياء (كالغرس الذي زايل أرضه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر) [2].

وقيل : الغريب كالوحش الذي غاب عن وطنه ، فهو لكلّ سبع فريسة ولكلّ رام رميّة.

وقيل : عسرك في بلدك خير من يسرك في بلد غيرك وأنشدوا :

لقرب الدار في الإعسار خير من العيش الموسّع في اغتراب [3]

وقيل لبعض الحكماء : ما السرور؟ فقال : الكفاية في الأوطان ، والجلوس مع الاخوان.

---

(1) هو شمس الدين محمد بن ظفر الصقلي. من مؤلفاته (سلوان المطاع في عدوان الأتباع. توفي سنة 565 هـ (معجم المؤلفين 10 / 241).

(2) في ك (كالفرس الذي زايل أخيّته فهو حائل لا يثمر وذابل لا ينظر).

(3) ورد البيت في زهر الآداب 1 / 387 من دون عزو أيضا.

طريفة : قال القاضي أبو الحسن الجرجاني [1] كان الصاحب بن عباد [2] يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر ممّا يتلقّاني به في سائر البلدان فاستعفيته يوما من فرط تحفيته بي ، وتواضعه لي فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده ... وأمدّه من فعلك الحسن

فالعزّ مطلوب وملتمس ... وأعزّه ما نيل في الوطن

الأعشى [3] :

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى ... مصارع مظلوم مجرّا ومسحبا [4]

وتدفن منه الصّالحات وإن يسئ ... يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

وقال آخر :

ومن ينأ عن دار العشيرة لا تزل ... عليه رعود جمّة وبروق

وقال آخر :

وإنّ اغتراب المرء من غير خلّة ... ولا همّة يسمو بها لعجيب

فحسب الفتى ذلّا وإن أدرك الغنى ... ونال ثراء أن يقال غريب

وأنشد أبو منصور الثعالبي [5] في يواقيت المواقيت [6] قال : أنشدني أبو

---

(1) هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة 392 هـ. (أنوار الربيع 4 / 186).

(2) هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد. توفي سنة 385 هـ (أنوار الربيع 1 / 58).

(3) هو صناجة العرب ميمون بن قيس. توفي قبيل فتح مكة ولم يسلم (أنوار الربيع 1 / 225).

(4) البيت مأخوذ من بيتين وردا في ديوان الأعشى هكذا :

متى يغترب عن قومه لا يجد له ... على من له رهط حواليه مغضبا

ويحطم بظلم لا يزال يرى له ... مصارع مظلوم مجرّا ومسحبا

(5) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد المتوفى سنة 429 وقيل 430 هـ (أنوار الربيع 1 / 172).

(6) هو كتاب في مدح الأشياء وذمها ، ورد ذكره في دائرة المعارف الإسلامية 6 / 195 ضمن مؤلفات الثعالبي.

الفتح البستي [1] لنفسه :

لا يعدم المرء كنّا يستكنّ به ... وصفّة بين أهليه وأصحابه [2]

ومن نأى عنهم قلّت مهابته ... كاللّيث يحقر إمّا غاب عن غابه

ناصر الدين ابن النقيب [3] :

ليس من بات معتقا من أماني ... ه كمن بات للأمانيّ رقّا

إنّ للمرء في الحياة على اللّ ... ه إلى أن يموت قوتا ورزقا

خلّني من حديث كدّ وسعي ... واضطراب في الأرض غربا وشرقا

ما الّذي أقتنيه من عرض يف ... نى إذا كان جوهري ليس يبقى

وأما ما جاء من المدح في ذلك :

فقد مدح الله جلّ اسمه المسافرين فقال (**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ**)[4].

وفي الحديث (سافروا تصحّوا وتغنموا).

وفي التوراة (ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا).

وقيل : إنّما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن آيات الله ، وقيل : لأنّه يسفر عن أخلاق الرجال.

ومن كلامهم : السفر ميزان الأخلاق. السفر مرآة الأعاجيب. ربما أسفر

---

(1) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي المتوفى سنة 400 هـ (يتيمة الدهر 4 / 302 ، وأنوار الربيع 1 / 98).

(2) الصفّة (بالضم وتشديد الفاء) : الموضع المظلّل ، وأهل الصفة : ضيوف الإسلام من فقراء المهاجرين ممن ليس لهم منزل ، فكانوا يأوون إلى مواضع مسقوفة بجريد النخل. وفي يتيمة الدهر (ومتعة) مكان (وصفة).

(3) هو الحسن بن شاور بن طرخان الكناني المعروف بابن النقيب النفيسي المصري المتوفى سنة 687 هـ (أنوار الربيع 2 / 205).

(4) سورة المزمل / 20.

السفر عن الظفر ، وتعذّر في الوطن قضاء الوطر. السفر أحد أسباب المعيشة التي بها قوامها ، أو نظامها ، لأنّ الله لم يجمع منافع الدنيا بأرض بل فرّقها ، وأحوج بعضها إلى بعضها. الحركة ولود ، والسكون عاقر. الحركة بركة والتواني هلكة ، والسكون شؤم. ليس بينك وبين بلد نسب ، فخير البلاد ما حملك. أوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أنسك ، واهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك.

[قال] سهل بن هارون : لست ممّن يقطع نفسه في صلة وطنه. وقيل : لا تجزع لفراق الأهل مع لقاء اليسار ، فإنّ الفقر أوحش من الغربة ، والغربة آنس من الوطن ، وأنشدوا :

الفقر في أوطاننا غربة ... والمال في الغربة أوطان

وللإمام الشافعي **رضي‌الله‌عنه** [1] :

سافر تجد عوضا عمّن تفارقه ... وانصب فإنّ لذيذ العيش في النّصب

فالأسد لولا فراق الغاب ما قنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب [2]

ابن قلاقس [3] :

نقّل ركابك في الفلا ... ودع الغواني في القصور [4]

لولا التنقّل ما ارتقى ... درّ البحور إلى النّحور

والقاطنون بأرضهم ... عندي كسكّان القبور

أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي [5] :

---

(1) هو الإمام محمد بن ادريس المطلبي الشافعي توفي رضوان الله عليه بمصر سنة 204 ه (معجم المؤلفين / 32).

(2) في الديوان (والأسد لولا فراق الأرض ما افترست). لا وجود لهذا البيت في ك.

(3) هو أبو الفتوح نصر بن عبد الله (ابن قلاقس) المتوفى سنة 567 ه (أنوار الربيع 1 / 88). في ع (الرئيس) مكان (ابن قلاقس).

(4) الأبيات في وفيات الأعيان وفي روايتها اختلاف.

(5) توفي أبو تمام سنة 232 ه (أنوار الربيع 1 / 37).

وطـول مـقـام المـرء في الحـيّ مخـلـق لـديـبـاجـتـيـه فـاغـترب تـتـجـدّد
فـإنّي رأيـت الشـمـس زيـدت محـبّـة إلى النـاس إذ ليسـت عليهم بسـرمـد

الوأواء الدمشقي [1] :

لا تـقـعـدنّ بـأرض قـد ربـيـت بهـا فليس تقطع في أغـمـادهـا القضـب

قيل : والحق التفصـيل في التفضـيل ، فإنه إن توفّرت الأسـباب المحتاج إليها في أمر الكفاية وتكميل النفس وتزكيتها مع الإقامة فهي أفضل ، وإلّا فالتغرب كما قيل [2] :

ولا يـقـيـم عـلـى ضـيـم يـراد بـه إلّا الأذلّان عـير الحـيّ والـوتـد [3]
هـذا عـلـى الخسـف مـربـوط بـرمّـتـه وذا يشـجّ فـلا يـرثـي لـه أحـد [4]

الحريري (*) وهو من شعره في المقامات [5] :

لا تـقـعـدنّ عـلـى ضـيـم ومسـغـبـة لكي يقـال عزيز النّفس مصـطبر [6]
وانـظـر بـعـيـنـك هـل أرض مـعـطّـلـة من النّبـات كـأرض حفّـهـا الشـجـر
فـعـدّ عـمّـا تـقـول الأغـبـيـاء بـه فـأيّ فضـل لـعـود مـا لـه ثمـر [7]
وارحـل ركـابـك عن ربع ضـمـئـت بـه إلى الجـنـاب الـذي يـهـمـي بـه المـطـر
واسـتنزل الريّ من درّ السّـحـاب فـإن بـلّـت يـداك بـه فـلـيـهـنـك الـظّـفـر

---

(1) هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني (الوأواء الدمشقي) توفي سنة 390 هـ (أنوار الربيع 4 / 86).
(2) الشعر للمتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح ، شاعر جاهلي (أنوار الربيع 2 / 67).
(3) في أنوار الربيع (ذلّ) مكان (ضيم) وفي شعراء النصرانية قبل الإسلام / 344 (ولن يقيم على خسف يسام به).
(4) في أنوار الربيع (فلا يأوي) وفي شعراء النصرانية (فما يرثي).
(5) هي المقامة السابعة والثلاثون (الصعيدية).
(6) في الشريشي 3 / 213 (ضرّ) مكان (ضيم).
(7) في الشريشي (تشير) مكان (تقول).

وإن رددت فما في الردّ منقصة عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

ابراهيم بن العباس [1] ، أو غيره [2] :

لا يمنعنّك خفض العيش في دعة نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكلّ بلاد إن حللت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

السراج الوراق [3] :

إذا كنت في أرض يهينك أهلها وإن كنت مشغوفا بها فتغرّب

فإنّ رسول الله لم يستقم له بمكّة أمر فاستقام بيثرب

مهذب [الدين] ابن منير [4] :

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله في منزل فالحزم أن يترحّلا

كالبدر لما أن تضاءل جدّ في طلب الكمال فحازه متنقّلا

سفها لحلمك إن رضيت بمشرب رنق ورزق الله قد ملأ الفلا [5]

الأديب أبو محمد غانم [6] :

---

(1) هو ابراهيم بن العباس الصولي المتوفى سنة 243 هـ (أنوار الربيع 4 / 10).

(2) البيتان في ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني) وأوردهما ابن خلكان في وفيات الأعيان 1 / 28 وقال أنه وجدهما في ديواني ابراهيم الصولي ، ومسلم بن الوليد.

(3) هو سراج الدين الوراق (عمر بن محمد) المتوفى سنة 695 هـ عن سنّ عالية (أنوار الربيع 1 / 316).

(4) هو مهذب الدين (في الأصول : مهذب الملك) أحمد بن منير الطرابلسي المتوفى سنة 548 هـ (أنوار الربيع 3 / 223).

(5) في وفيات الأعيان 1 / 139 (الملا) مكان (الفلا) وهو الصواب ، ويأتي في المصدر المذكور بعد هذا البيت البيت الآتي :

ساهمت فيك مرّ عيشك قاعدا افلا فليت بهنّ ناصية الفلا

(6) هو غانم بن الوليد بن عمر المخزومي المالقي المتوفى سنة 470 هـ (المغرب في حلى المغرب 1 / 317 وأنباه الرواة 2 / 389).

وإذا الـديـار تـنـكّـرت عـن حـالهـا فـذر الـدّيـار وأســـرع الـتّـحـويـلا [1]

لـيـس المـقـام عـلـيـك حـتـمـا واجـبـا في بـلـدة تـدع الـعـزيـز ذلـيـلا [2]

وسئل الزيادة عليهما فقال :

لا يـرتضـــي حـرّ بمـنـزل ذلّـة لـو لم يجـد في الخـافـقـين مـقـيـلا

فـارض الـوفـاء لحرّ نـفســك لا تـكـن ترضـى المـذلّـة مـا حييـت سـبيلا

واخصـــص بـودّك مـن خـبرت وفـاءه لا تـتّـخـذ إلّا الـوفيّ خـلـيـلا

فـلـقـد خـبرت الـنـاس مـنـذ عـرفـتـهـم فـوجـدت جـنـس الأوفـيـاء قـلـيـلا

ســقـيـا لأيّـام الشّـبـاب فـإنّـهـا كـالإلـف حـاول أن يجـدّ رحـيـلا

ومن لطائف ما حكاه الأصمعي قال : مررت برجل يكسح كنيفا وهو يقول :

وايّـاك والسّـكـنى بـدار مـذلّـة تعـدّ مسـيئـا بعـد مـا كنـت محسـنـا

ونفســك أكرمهـا فـإن ضـاق مسـكن عليـك بهـا فـاطلـب لنفســك مسـكنـا

فقلت له والله ما بقي من الهوان شيء إلّا وقد أهنت به نفسك ، فكيف تأمر بإكرام النفس ولا تكرمها؟ فقال : بلى والله من الهوان ما هو أعظم مما أنا فيه. فقلت له : وما هو؟ قال : الوقوف على سفلة مثلك ، فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس.

ياقوت الرومي [3] :

وقفـت وقوف الشّـكّ ثم اسـتمرّ بي يـقـيـني بـأنّ المـوت خـير مـن الـفـقـر

فـودّعـت من أهلي وفي القـلـب مـا بـه وسـرت عن الأوطـان في طلـب اليسـر

وبـاكـيـة لـلـبـين قـلـت لهـا اصـبري فـللـموت خير من حيـاة على عسـر

---

(1) بعض هذه الأبيات في (المغرب في حلى المغرب) وفي روايتها اختلاف بسيط.

(2) في ك (فرضا) مكان (حتما).

(3) يريد ياقوت الحموي المتوفى سنة 622 هـ وهو رومي أيضا (معجم المؤلفين 13 / 178).

سأكسب مالا أو أموت ببلدة يقلّ بها فيض الدّموع على قبري

ثم السعي لا يؤثر في التقدير والإرادة ، وإنّما هو من الأسباب التي جرت بها العادة كما قيل :

(للرزق أسباب ومن أسبابه إعمال ناجية وشدّ حزام [1]

وقال آخر :

ألم تر أنّ الله أوحى لمريم وهزّي إليك الجذع يسّاقط الرطب

ولو شاء أدنى الجذع من دون هزّه إليها ولكن كلّ شيء له سبب

وحاصل الأمر أنّ السعي إنّما هو لتحصيل ما أراده الله سبحانه ، وحضّ عليه في كتابه العظيم بقوله عزّ اسمه (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**)[2] فإنّ بالحركات تنزل البركات ، وعدم حصول المرام أمر وراء ذلك كما قيل) [3].

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدّهر [4]

فإن نال بالمسعى المنى تمّ قصده وإن خالف المقدور كان له عذر

ابن عنين [5] :

فإمّا مقام يضرب المجد حوله سرادقه أو باكيا لحمام [6]

فإن أنا لم أبلغ مقاما أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

---

(1) هذا البيت وما بعده إلى نهاية الجملة المختومة بالقوس غير موجودة في (أ).

(2) سورة الملك / 15.

(3) انتهت الجملة المنوه عنها في الهامش (1) أعلاه ، وسقط من ك (وعدم حصول المرام أمر وراء ذلك).

(4) ورد هذا البيت في ريحانة الألباء 1 / 79 دون عزو.

(5) هو أبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الله (ابن عنين) المتوفى سنة 630 هـ.
(أنوار الربيع 1 / 238 و 239).

(6) في الديوان (فاما مقاما).

وقال آخر [1] :

سـأضـرب في بطون الأرض ضـربـا وأركـب في الـعـلـى غـرر الـلّـيـالي [2]

فـأمّـا والـثّـرى وأقـمـت عـذرا وأمّـا والـثـريّـا والمـعـالي [3]

وليكن هذا آخر المقدمة وفيه كفاية لمن لحظته العناية. وأما أنا فأقول : إذ كنت في غنى عن هذا المنقول :

لقـد ظلمتني واسـتطـالـت يـد النّوى وقـد طـمـعـت في جـانـبي أيّ مـطـمـع

إلى كـم أقـاسـي فـرقـة بـعـد فـرقـة وحـتى مـتى يـا بـين أنـت مـعـي مـعـي

وكان السبب في تجرّع مرارات النوى ، وتحمّل حرارات الجوى ، وفراق الأهل والوطن ، والبعد عن السوح المحترم والحرم المؤتمن ، أن قضى الله على الوالد بفراقه لتلك المواطن واغترابه عن هاتيك المنازل والمعاطن ، مدعوّا إلى الدكن من الديار الهنديّة ، مجلوّا على السكن في ظلالها النديّة ، ففارقنا والحال حويلة ، والبحر دجيلة ، والفصال لم يبلغ حدّه ، والوصال قد ثلم البين حدّه ، وذلك عام أربعة وخمسين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحيّة.

وكان قد استدعاه إلى تلك الديار مليكها الأعظم ومالكها السلطان المعظّم ، الملك الذي انعقدت كلمة الإجماع على شوكة سلطانه ، وتلت الخلائق سور عدله وإحسانه ، وأصبحت الأملاك خاضعة لدولته وعزّة شأنه ، مستسلمة لأقضية صولته ، وأحكام سيفه وسنانه ، ذو الصفات التي أشرق بها بدر الملك وشمس الخلافة ، والحكم الذي جرى القضاء على طبقه فلم يستطع أحد خلافه. والهمم التي أضحت الأماني دون منتهاها صرعى ، ورجعت

---

(1) الشعر لأبي منصور الخوافي (عبد الله بن سعد) المتوفى سنة 480 هـ (نزهة الألباء / 360).

(2) في نزهة الألباء (سآخذ في متون الأرض) و (عبر الليالي).

(3) في نزهة الألباء (وبسطت عذري). وفي ك (فاما للثرى) و (امّا للثريّا) وفي أ(والهلال) مكان (والمعالي).

الأوهام عن تخييل أدناها ضائقة به ذرعا ، والبسالة التي وقفت الفرسان عندها ، والإيالة التي عمّ ذكرها البلاد هندها وسندها ، فما الغيث الوابل إلّا مكتسب من بعض هباته ، وما اللّيث الصائل إلّا منتسب إلى وثباته وثباته.

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل [1]

ظل الله سبحانه على عباده ، وأمينه الذي دارت الأفلاك على مدار مراده.

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ونحاه لا يردون حتى يصدرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه كالرّوض يحسن منظرا أو مخبرا
أندى على الأكباد من قطر النّدى وألذّ في الأجفان من سنة الكرى
قدّاح زند المجد لا ينفكّ من نار الوغى إلّا إلى نار القرى [2]

حاوي الخلافة كابرا عن كابر ، فخر المفاخر والمآثر والمنابر ، الإمام العادل والهمام الباذل ، الواثق والمعتضد بالله شاهنشاه عبد الله بن محمد قطب شاه.

في كلّ يوم مجده عجب وكلّ ليل لنا من ذكره سمر
سقى به الله دنيانا فأخصبها والعدل يفعل ما لا يفعل المطر
ما أنصفت مجده نظّام سيرته إنّ الذي سطروا فوق الذي سطروا

لا زال النصر محدقا بأعلامه المنيفة في كلّ حين ، والظفر تاليا على مسامعه الشريفة آيات الفتح المبين.

فلم يسع الوالد إلّا امتثال أمره المطاع ، والانقياد لحكمه الذي لا يطاق ردّه ولا يستطاع. فدخل الديار الهندية في السنة المقدم ذكرها ، وزفت إليه من المعالي عوانها وبكرها ، وقابله مولانا بمزيد الاحترام ، وأكرمه بما هو أهله من

---

(1) البيت من قصيدة لابن شرف القيرواني (محمد بن سعيد) المتوفى سنة 460 هـ (أنوار الربيع 1 / 155)
(2) الأبيات من قصيدة طويلة لأبي بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي المقتول سنة 477 هـ (أنوار الربيع 1 / 276).

الإجلال والإكرام. فمهّد له في فنائه موضعا ، وأحلّه من سمائه مطلعا ، ولم يزل يلحظه بعين عناياته ، وينشر عليه من العزّ أرفع راياته ، ويفصّل له من الشأن مجمله ، وينجح له من المعالي ما أمّله ، حتى اختاره لمصاهرته ، واجتباه لمؤازرته ، فأملكه ابنته الطاهرة ، وملّكه نعمه الباهرة الزاهرة ، فأصبح وقد مدّ العزّ عليه رواقه ، وألقى شراشره [1] وأوراقه ، وأثمر غصن أمله بنجحه ، وتبلّج أفق مرامه بصبحه ، وكان عرسا [2] أظهر مولانا السلطان به أيده ، وأبدى فيه ما لم يبده المهديّ في أعراس الرشيد بزبيدة ، ولم يكتحل مدته جفن بوسن ، ولم يحتفل احتفاله المأمون لبوران بنت الحسن. حشر له البادي والحاضر ، وأشرقت به المحافل والمحاضر ، فقال الأديب الشيخ جابر الجوازري [3] مؤرخا هذا الزواج الميمون الازدواج :

أقبل السعد يهنّي سيّدا من خير آل
هاشميّا أحمديّ ال خلق محمود الخصال
قال بشراك فأرّخ ما قضاه ذو الجلال
زوّجوا شمس المعالي منك يا بدر الكمال [4]

استطراد :

ذكر صاحب تحفة العروس [5] قال : أخبرنا أبو ياسر البغدادي قال :

---

(1) ألقى عليه شراشره ، أي ألقى عليه نفسه حرصا ومحبة ، وقيل ألقى عليه أثقاله اعتمادا عليه.

(2) العرس (بالضم) : طعام الوليمة.

(3) لعله من العراقيين المستوطنين الهند ، والجوازري نسبة إلى الجوازر أحد بطون قبيلة الجبور العراقية (عشائر العراق 3 / 88).

(4) تضمن هذا البيت تاريخ الزواج بحساب الجمّل وهو سنة 1059 هـ.

(5) هو كتاب (تحفة العروس ونزهة النفوس) في علم الباه لأبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني. في هدية العارفين 2 / 142 : فرغ منه سنة 711 هـ وفي معجم المطبوعات 1 / 650 : كان حيا سنة 710 هـ.

وليمتان في الاسلام لم يكن مثلهما ولا يكون. فالأولى وليمة الرشيد عند دخوله بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، كانت أواني الذهب تملأ من الفضّة ، وأواني الفضة تملأ من الدنانير وتدفع إلى وجوه الناس.

ويقال إنّ العود الهندي إنّما فضّل على العود القماري في هذه الوليمة لأنّهما امتحنا فوجد الهندي أطيب وأبقى في الثوب.

قال أبو ياسر : كانت النفقة في هذه الوليمة من بيت خاصة المهدي سوى ما أنفقه الرشيد خمسين ألف ألف دينار.

والثانية وليمة المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل. قال أبو الفرج : لما خطبها المأمون استعدّ لها استعدادا يجلّ عن الوصف ، وخرج المأمون إلى فم الصّلح [1] في سنة عشر ومائتين فأملك بها ، وفعل الحسن في هذه الوليمة ما لم يفعله ملك في الجاهلية ولا الإسلام :

نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع ، وأسماء جوار ، وتعيين صلات وغير ذلك من كلّ شيء نفيس. فكان إذا وقع شيء من ذلك في يد من نثر عليه فتحه وتوجّه فاستوفى قبض ما فيه. ثم نثر بعد ذلك على عامة الناس الدنانير والدراهم ، ونوافج المسك ، وقطع العنبر ، وأقام الوظائف والنفقات لجميع ما اشتمل عليه عسكر المأمون لكلّ رجل على قدره. ويقال : إنّ العسكر اشتمل على ستة وثلاثين ألف ملّاح.

قال أبو الفرج : لما جليت بوران فرش لها حصير من ذهب ، وجيء بإناء مملوء درّا فنثر على الحصير ، وكان فيمن حضر من النساء زبيدة بنت جعفر ، وحمدونه بنت الرشيد وغيرهما من بنات الخلفاء ، فلم تلقط واحدة منهنّ شيئا من الدرّ. فقال المأمون : أكرمنها بالتقاطكنّ ، فمدت كلّ واحدة يدها وأخذت واحدة ، وبقي الدر على الحصير الذهب ، فقال المأمون : قاتل الله الحسن ابن

---

(1) فم الصلح (بكسر الصاد) نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران بنت الحسن (معجم البلدان).

هاني [1] كأنه كان حاضرا حيث قال في صفة الخمر :

قـامـت تـريـني وأمـر الـلّـيـل مجـتـمـع صـــبـحـا تـولّـد بـين المـاء والـعـنـب

وكـأنّ صـــغـرى وكـبرى مـن فـواقـعـهـا حصـــبـاء درّ على أرض من الـذّهـب [2]

قال أبو ياســـر : وأوقد تلك الليلة شمعة عنبر وزنها ثمانون رطلا ، فأنكر المأمون ذلك وقال : هذا ســرف ، فأمرت زبيدة برفعها وقالت : هاتوا الشــمع المســتعمل. قال : وســأل المأمون زبيدة عما أنفقه الحســن فقالت : بين خمســة وثلاثين ألف ألف إلى ســبعة وثلاثين ، فبلغ ذلك الحســن فقال : أو كانت النفقة على يدها؟ والله لقد حصــرتها فكانت ثمانين ألف ألف.

قال : وأقامت البغال وعدّتها أربعة آلاف تنقل الحطب قبل الوليمة أربعة أشــهر ، وفي أثناء الوليمة أحوجهم الحطب فكانوا يوقدون الكتان عوضا عن الحطب.

قال الطبري : ودخل بها الليلة الثالثة من وصــوله فم الصّـلح ، فلما جلس معها نثرت عليهما جدّتها ألف درّة ، فأمر المأمون بجمع الدرّ وقال : كم هو؟ فقالت ألف حبّة ، فأخذه ووضعه في حجرها وقال : هذا نحلتك وسـلي حوائجك ، فقالت لها جدّتها : كلّمك سيّدك فكلّميه فقد أذن لك ، فسألته الرضا عن ابراهيم بن المهدي [3] لأدبه ، فقال : قد فعلت.

ويقال : أنه لما أدخلت عليه وأراد غشـــيانها حاضـــت فقالت «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» [4] فنام في فراش آخر ، فلما قعد للناس من الغد ، دخل عليه

---

(1) هو أبو نواس المتوفى سنة 198 هـ (أنوار الربيع 1 / 37).

(2) (فواقعها) كذا ورد في الأصـول وديوان أبي نواس ، والفواقع جمع الفاقعة : الداهية ، والصـواب (فقاقعها) جمع فقّاعة (بتشديد القاف) وهي نفاخة الماء والشراب ، والبيت من شواهد مغني اللبيب لابن هشام (الشاهد 622) وفيه (من فقاقعها).

(3) هو ابراهيم بن محمد المهدي وعم المأمون بويع بالخلافة بعد قتل الأمين ، فأهدر المأمون دمه ، ولما تمكن منه عفا عنه. توفي سنة 224 هـ (الأعلام 1 / 55).

(4) الآية الأولى من سورة النحل.

[أحمد بن يوسف] الكاتب [1] وقال : يا أمير المؤمنين هنّاك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة ، وشدّة الحركة ، والظفر في المعركة ، فأنشده المأمون [2] :

فارس ماض بحربته صادق بالطّعن في الظّلم
رام أن يدمي فريسته فاتّقته من دم بدم

وأكثرت الشعراء في هذا الإملاك ، وأستطرف منها قول [ابن] حازم الباهلي [3]

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن ببنت من

فلما نمى إلى المأمون قال : والله ما ندري أخيرا أراد أم شرّا.

وكان اسحاق يقول : ما رأيت في الملوك مثل المأمون ، ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا وأدبا وفضلا ، وما أظن أحدا وقف من العلوم على ما وقفت عليه ، ولم تزل في صحبة المأمون إلى أن توفي عنها سنة ثمان عشرة ومائتين ، وعاشت بعده إلى سنة إحدى وسبعين ومائتين وعمرها ثمانون سنة.

ويحكى أنّ المأمون خلا بها يوما فقال لها : غنّي ، فغنت :

جعلتك مشتكى حزني ومعتصري على الزّمن [4]
وجدتك خائنا غدرا فيا أسفي على بدني

---

(1) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح وزير المأمون. توفي سنة 213 هـ (الأعلام 1 / 257) في الأصول (يوسف بن أحمد) والصواب ما أثبته.

(2) البيتان في وفيات الأعيان 1 / 32 لأبي اسحاق الزجاج المتوفى سنة 311 هـ.

(3) هو محمد بن حازم الباهلي. في الأصول (أبي حازم) وهو وهم. ترجمته ومصادرها في أنوار الربيع 2 / 8.

(4) المعتصر : الملجأ المنيع ، ورجل معتصر : جواد عند المسألة. في ك وأ (ومنتصري).

تريد ما كان من غدر المأمون بعمّها الفضـــل ، فقال المأمون : قد كنت عن هذا غنيّا لولا شقائي.

وعلى ذلك مما يذكر من عظيم حلم المأمون ، أن الحســن بن ســهل شــرب معه يوما فقال له المأمون : يا أبا محمد لعلكم تتوهمون أني قتلت الفضـــل بن ســـهل! والله ما قتلته ، فقال الحســـن : بلى والله لقد قتلته ، فقال : والله ما قتلته ، فقال : بلى والله لقد قتلته ، (فقالها ثلاثا والحسن يردّ عليه) [1] فقام المأمون من مجلسه فقال : أفّ لك ، وانصرف الحسن إلى منزله ، فاتّصل الخبر بمعلى بن أيوب ، وغسّان بن عبّاد فصارا إلى الحسن وعذلاه على ما كان منه وقالا : اركب فاعتذر إليه ، قال : والله لا ركبت إليه أو يبعث إليّ ، فصـــارا إلى المأمون فقال له غسّان : يا أمير المؤمنين نحن عبيدك ، وصنائعك ، بك عرفنا وبخدمتك شرفنا ، كنا أذلّاء فرفعتنا ، وكنّا عامّة فخصّـــصـــتنا ، وكنّا فقراء فأغنيتنا ، فاغفر خطيئة مســـيئنا بمحســننا ، فقال : ويلك ما أصــنع به؟ حلفت له بالله ثلاثا فكذّبني ثلاثا ، فقال المعلّى : يا أمير المؤمنين آنسته فأنس ، وساقيته فانتشى ، فاغفر له هفوة نشوته فقال المأمون : يا غلام صر إلى أبي محمد فقل له : إمّا أن تجيئنا ، أو نجيئك. وللمأمون نوادر في الحلم والعفو ، ومن كلامه : حبّب إليّ العفو حتى خشيت أن لا أثاب عليه.

وهذا وإن كان خارجا عن وضـــع الكتاب وغرضـــه لكن لا بدّ لكلّ واضـــع كتاب ، ومؤلف معنى من اعتنان [2] شـــيء ليس من جنس ما قصـــد له ولا ممّا أراد ، بل يراه يحســـن ذكره فيذكره ثم يعود ، فلنعد إلى ما نحن بصدده.

وفي سنة ست وخمسين قلّد مولانا السلطان ـ خلّد الله ملكه ـ الوالد منصب عين الملك فـأحلّه من علوّه في فلـك ، ومن تيّـاره في فلـك ، فجنح الوالـد إلى الإقـامـة بتلـك الـديـار واستيطانها ، والانتظام في سلك سكّانها وقطّانها ، فمكث ثلاث عشرة سنة متبوّئا من العيش أرغده وأحسنه ، ثم رأى أن العود إلى

---

(1) سقطت الجملة التي بين القوسين من (ع) و (أ).

(2) الاعتنان : الظهور ، من اعتنّ الشيء اعتنانا : اعترض وظهر أمامه.

مسقط رأسه ومنبت غرسه أمل قلّما أسعف بنيله نجح ، أو تبلّج لليله صبح ، فاستأذن مولانا السلطان ـ خلّد الله تعالى ملكه ، وأجرى ببحار النصر فلكه ـ في استدعائنا من المواطن الشريفة ، ونقلنا إلى سدّته المنيفة ، فأذن له فيما استدعى ، وأسعفه بما أكّد عزمه على الاستدعا ، فكشف عن وجه عزمه نقابه ، وإذا أراد الله شيئا هيّأ أسبابه.

فجهّز إلينا وزيره المعتمد ، وأمره بقطع هذه المدّة في أقرب أمد ، فورد علينا والقلوب لوروده فزعة ، والنفوس من وفوده جزعة ، وما ذاك إلّا لفراق تلك الديار الشريفة ، والانتقال عن هاتيك الأقطار الوريفة ، مع ما طبعت عليه النفوس من حبّ الوطن ، والجزع لفقد السكن ، وقد قيل : عمّر الله البلدان بحبّ الأوطان ، وكان يقال : ليس الناس إلى شيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم. وقيل : ميلك إلى موضع مولدك من كرم محتدك.

وقالت الحكماء أنّ من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها مشتاقة ، وإلى مسقط رأسها توّاقة ، وقال الشاعر [1] :

أحبّ بلاد الله ما بين منعج إليّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عقّ الشباب تمائمي وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها [2]

فراجعنا الوالد في فسخ هذا العزم الذي أبرمه ، وإطفاء هذا الوجد الذي أضرمه ، فلعلّ الله أن يمنّ بالاجتماع في أشرف البقاع ، ويطوي مسافة البين من البين ، فلن نعدم منه سبحانه كافيا.

وقد يجمع الله الشّتيتين بعدما يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا [3]

فلم تثن مراجعتنا له عزما ، ولم تغن إلّا تصميما وجزما ، فأعاد الجواب

---

(1) البيتان من قصيدة أوردها ياقوت في معجم البلدان (مادة منعج) معزوة لبعض الاعراب ، وأوردهما النويري في نهاية الارب 7 / 298 ، ويراجع الزهرة 2 / 300 للوقوف على المصادر الأخرى.

(2) عقّ الثوب : شقّه ، وعق الرحم : قطعها. وفي معجم البلدان (حلّ الشباب تميمتي).

(3) البيت لمجنون ليلى من قصيدته المسماة بالمؤنسة.

بالطلب. وحثّ على أن يكون إليه المنقلب ، فلم نر بدّا من الإجابة ، كي لا نجيء الخطأ من باب الإصابة ، فأخذنا في أهبة السفر ، والاستعداد لما دهم به البين وظفر ، ثم فارقنا تلك الأوطان مفارقة الأرواح للأبدان.

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد [1]

فكان خروجنا من مكة المشرفة ليلة السبت لستّ خلون من شعبان المعظّم عام ست وستين وألف ، وذلك بعد أن تملّيت [2] من تلك المآثر الكرام ، وتلوت (**سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ**)[3] فسرنا على اسم الله ، والمودعون يزرّون الأعضاد على الأجياد ، والمدامع تذري هواطل دمعها على أجياد [4] وقد أذن جمع الشمل بالانصداع ، وعلمنا صدق قول القائل :

ما خلق الله من عذاب أشدّ من وقفة الوداع

وعلى ذكر الوداع : حكى القاضي أبو بكر بن العربي : أنهم خرجوا لوداع حجّ العراق فنظروا إلى فتى يتأمل الهوادج هودجا هودجا وهو كالذاهل إلى أن تعب وكلّ فوقف وأنشد :

أحجاج بيت الله في أيّ هودج وفي أيّ خدر من خدوركم حبّي
أأبقى رهين الجسم في أرض غربة وحاديكم يحدو فؤادي مع الرّكب
فوا أسفا لم أقض منكم لبانتي ولم أتمتّع بالجوار وبالقرب
يقولون هذا آخر العهد بيننا فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

ثم رمى بنفسه إلى الأرض وجعل يقول :

خلّ نار القلب تشتعل خلّ دمع العين ينهمل

---

(1) البيت لأبي العلاء المعري (وفيات الأعيان 1 / 96).

(2) تملّيت : استمتعت.

(3) سورة الأسراء / 1.

(4) أجياد : جبل بمكة المكرمة ، وهما أجيادان كبير وصغير ، وهما محلتان بمكة.

كـلّ سـرّ صـانـه جـلـد فـهـو يـوم الـبـين مـبـتـذل

ثم خفت فقلبناه فوجدناه ميتا [1].

وقريب من هذا ما حدّث الأصـمعي عن يونس قال : بلغني أن قوما جاءوا إلى ابن عباس بفتى محمول ضعفا فقالوا : استشف لهذا ، فنظر إلى فتى حلو الوجه عاري العظام فقال له : ما بك؟ فقال [2] :

بنـا من جوى الأسـقـام والحـبّ لوعـة تـكـاد لهـا نـفـس الشّـفـيـق تـذوب

ولكنّـمـا أبقى حشـاشـة مـا ترى عـلـى مـا بـه عـود هـنـاك صـلـيـب

فقال ابن عباس : أرأيتم وجها أعتق ، ولسانا أذلق ، وعودا أصلب ، وهوى أغلب ممّا رأيتموه اليوم؟ هذا شهيد الحبّ لا دية ولا قود.

وفي هذا الفراق أقول من بعض أشعار الصّبا ، وهي كما قال شرف السادة [3] : التمر باللّبأ [4] :

فـارقـت مـكّـة والأقـدار تـقـحـمـني ولي فـؤاد بهـا ثـاو مـدى الـزّمـن

فـارقتهـا لا رضـى منّي وقـد شـهـدت بـذاك أمـلاك ذاك الحـجـر والـركـن

فـارقـتـهـا وبـودّي إذ فـرقـت بهـا لو كـان قـد فـارقـت روحي بهـا بـدني

وفيه يقول الأخ الأعز ، المحرز من مكاسب الفضائل ما غلا وعز ، أبو

---

(1) الحكاية في مصارع العشاق 2 / 246 مع اختلاف في السند ، ورواية الأبيات وعددها.

(2) الحكاية في الأغاني 23 / 317 ومصارع العشاق 2 / 245 ، وفي الأول البيتان لعروة بن حزام وهو الفتى المحمول إلى ابن عباس. يلاحظ وجود اختلاف بسيط في رواية البيتين.

(3) هو أبو الحسن محمد بن عبيد الله البلخي المعروف بشرف السادة. توفي سنة اربعمائة ونيّف وخمسين. (أنوار الربيع 3 / 347).

(4) اللّبأ (بكسر ففتح) : أول اللبن في النتاج.

يعلى محمد يحيى [1] لا زال به موات الفضل يحيا :

وبـــاكـــيـــة لمصـــــاب الـــنّـــوى وكـــم بـــالـــنّـــوى مـــن محـــب قـــتـــيـــل

ولم أر مـــثـــلـــي صـــــبّـــا غـــدا بـــقـــلـــب حـــزيـــن ودمـــع هـــطـــول [2]

وصـــــاحـــوا الـــفـــراق فـــهـــا أنـــا ذا عـــزيـــز الـــتـــأسّـــــي كـــثـــير الـــعـــويـــل [3]

وقـــالـــوا الـــرّحـــيـــل فـــيـــالـــيـــتـــني عـــدمـــت حـــيـــاتي قـــبـــل الـــرّحـــيـــل

وتمثل لسان الحال عند الارتحال بقول الشريق الوضيّ الشريف الرضيّ (*) :

تـــزوّد مـــن المـــاء الـــنّـــقـــاخ فـــلـــن تـــرى بوادي الغضـــــا مـــاء نقـــاخـــا ولا بردا [4]

ونـــل من نســـيم البـــان والرّنـــد نفحـــة فـهـيـهـات واد ينبـت البـان والرّنـدا [5]

وعـج بـالحمى طرفـا فلســـت برامق طـوال الـلّـيـالي ذلـك الـعـلـم الـفـردا

وكـــرّ إلى نجـــد بـــطـــرفـــك أنّـــه متى تغـد لا تنظر عقيقـا ولا نجـدا [6]

ثم أدلج الحادي ، وأنشدت تلك النوادي :

مـتّـع لحـاظـك مـن خـلّ تـودّعـه فـمـا إخـالـك بعـد اليـوم بـالـوادي [7]

فـوقـفـت حـتّى ضـــجّ مـن لـغـب نضـــوي وعـــجّ بـــعـــذلي الـــرّكـــب

وتـلـفّـتـت عـيـني فـمـذ خـفـيـت عـنّي الـطّـلـول تـلـفّـت الـقـلـب [8]

---

(1) هو أخو المؤلف لأبيه وأكبر منه سنا. توفي بالهند سنة 1092 (سلافة العصر / 36 ، وخلاصة الأثر 3 / 391 ، ونفحة الريحانة 4 / 196).

(2) في ك (بدمع هطول وقلب غليل).

(3) في ك (دعوا بالفراق فها أناذا).

(4) الماء النقاخ : البارد العذب.

(5) في الديوان (من نسيم الرند والبان).

(6) في الديوان (متى يعد لا ينظر).

(7) البيت في وفيات الأعيان 2 / 365 منسوب لابن نباتة السعدي.

(8) البيتان للشريف الرضي ، وفي الديوان (جّ) مكان (عج).

فائدة :

ذكر جماعة من المفسرين وأهل الحديث : أن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** لما خرج من مكة شرّفها الله تعالى مهاجرا ، وركب الناقة التفت إلى مكة مسكنه ومسكن آبائه وأجداده فظن أنّه لا يعود إليها ولا يراها بعد ذلك ، فأخذته رقّة وبكى ، فأتاه جبرئيل **عليه السلام** وتلا عليه قوله تعالى (**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلى مَعادٍ**)[1]. فاستبشر عليه الصلاة والسلام وتوجه مسرورا. فمعاد على هذا من أسماء مكة المشرفة ، وفسّر أيضا بالجنة ، وقلت على التفسير الأول :

أمعاد هل يفضي إليك معادي ... يوما برغم معاند ومعاد
فأفوز منك بكلّ ما أمّلته ... ذخرا لآخرتي ويوم معادي

ولعمري أنّي لحريّ بقول العلامة الزمخشري [2] :

هو النّفس الصعّاد من كبد حرّى ... إلى أن أرى أمّ القرى مرّة أخرى
سريت بشخصي لا بقلبي وهمّتي ... وهيهات ما للأخشبين وللمسرى [3]
منيخان بالبطحاء ما ذرّ شارق ... مقيمان عند البيت ما ولّت الشّعرى
عكوفهما في عاكفي البيت واصب ... طوافهما بالطّائفين بها يترى
وما جاوزت بي أرض مكة أينقي ... وقد لجّ بي جهد الصّبابة واستشرى
فكيف إذا خلّى الحجاز وراءنا ... وجيف المطايا يا لها كبدا حرّى
فإن حدّثتني بعد بالسّير معنقا ... فلا رزقت يسرا ولا لقيت بشرى
أأبتاع بالفوز الشّقاوة خاسرا ... وأستبدل الدّنيا الدّنيّة بالأخرى
إذا خطرت بالبال ذكرى إناختي ... على حرم الله استفزّتني الذّكرى

---

(1) سورة القصص / 85.

(2) هو جار الله الزمخشري واسمه محمود بن عمر ، توفي سنة 538 هـ (معجم المؤلفين 12 / 186).

(3) الأخشبان : جبلان بين مكة ومنى.

أكابد همّا كاللّيالي وحسرة ودمعا غزير المستقى غائر المجرى
وأدعو إلى السّلوان قلبا جوابه لداعيه مهراق من المقلة العبرى
وما عذر مطروح بمكّة رحله على غير بؤس لا يجوع ولا يعرى
ويرحل عنها يبتغي عوضا بها وحقّك لا عذرا وربّك لا عذرا

فسلكنا طريق اليمن الميمون ، متوجهين نحو ذلك القطر المأمون ، وسرينا نقتحم مهامه وقفارا ، ولا نملك للدموع كفافا ولا للقلوب نفارا ، نجوب جيوب تلك الليلة الدهماء ، ونخبط خبط عشواء في تلك الفلاة الهيماء ، إلى أن أسفر الصباح ، فنزلنا بحمى هنالك مباح ، يقال له (البيضاء) ، قد نشر من محله راية سوداء كأنّه لم ينبت قطّ نجمة خضراء [1] فقلنا فيه ذلك اليوم ، وهيهات أن يجنح طرف إلى نوم. وفي هذا المنزل أقول :

ولقد حللت من المنازل واديا محل الجوانب اسمه البيضاء
فرحلت عنه وقلت للرّكب ارحلوا عنه عليه الرّاية السّوداء

فارتحلنا منه إلى (السعديّة) ، وتبوّأنا ظلالها وإن كانت غير نديّة ، وهي ميقات اليمن بحذاء (يلملم) وهو ميقاتهم الذي وقّته لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، ومنها فارقنا المشيّعون ، وأخذوا يودّعون ، ويودعون القلوب من الوجد ما يودعون ، فعمّ الغمّ وشمل ، وانقرف [2] جرح لم يكن اندمل. وما أحسن قول محمد بن [الحسن بن] عبد الله الزبيدي [3] من أبيات :

ما خلق الله من عذاب أشدّ من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق لولا المناجاة والنّواعي [4]

---

(1) النجمة ، واحدة النجم : ما نجم من النبات على غير ساق ، وهو خلاف الشجر.

(2) انقرف الجرح : انقشر بعد أن يبس.

(3) توفي محمد بن الحسن الزبيدي سنة 379 هـ (معجم المؤلفين 9 / 198).

(4) (المناجاة) كذا ورد في الأصول وهي رواية وفيات الأعيان 4 / 8 والوافي بالوفيات 2 / 351 ، وجاء في معجم الأدباء 18 / 179 وبغية الملتمس / 56 وجذوة المقتبس / 43 (المناحات).

أن يفترق شملنا وشيكا من بعد ما كان ذا اجتماع
فكلّ شمل إلى افتراق وكلّ شعب إلى انصداع
وكلّ قرب إلى بعاد وكلّ وصل إلى انقطاع

وفي المنزل المذكور وقع بين بعض الخدم والمكارين كلام أفضى بهم إلى جراح وكلام ، فعطب من المكارين رجلان وكانوا نحوا من خمسين نفسا ، فاستجاشوا [1] من حولهم من العرب ، وأعولت الحرب بيننا وبينهم بالحرب ، فانتدب لهم من الترك كلّ غلام لا يعرف إلّا جاره ، والعرب تخالهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة ، فتفلّقت من الفريقين رؤوس وهام ، بعصيّ وحجارة أغنت السيوف والسهام ، وآلت الحال إلى قول من قال :

عصيّ مكلّلة بالرؤوس ورؤوس مكلّلة بالعصي

حتى حال بينهم الليل ، فضعف منهم الحيل ، وقد قال بعض الحكماء : من الخصال المذمومة في السفر سوء عشرة المكارين ، وملاقاة الهوان من العشّارين ، وعلى ذلك حدّث أبو بكر محمد بن المظفّر السامانى قال : ضجرت في بعض أسفاري من غلام لي استقصرته في خدمتي ، وحضرني جرير الطبيب [2] فأنشدني :

أكرم رفيقك حتى ينقضي السّفر إنّ الذي أنت موليه سينتشر
ولا تكن كلئام أظهروا ضجرا إنّ اللّئام إذا ما سافروا ضجروا

ويروى أنّ عمر بن الخطاب قال لرجل زكّى عنده رجلا ليقبل شهادته : هل صحبته في السفر الذي يستدلّ به على مكارم الأخلاق؟ فقال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه.

وبالجملة فحسن الصحبة ، ومكارم الأخلاق عموما ، وفي السفر خصوصا من الأمور المحضوض عليها شرعا وعرفا وبالله التوفيق.

---

(1) استجاش فلان فلانا : استثاره وطلب منه جيشا ومددا.

(2) في ك (جرير الخطيب).

ثم ارتحلنا نقطع قفارا ويبابا ، ونفترع إكاما وهضابا ، والنّوى تحدو بنا وتقود.

ولو قال لي الغادون ما أنت مشته غداة جزعنا الرّمل قلت أعود [1]

وفي هذا السفر أقول من صدر قصيدة امتدحت بها الوالد :

سريرة شوق في الهوى من أذاعها ومهجة صبّ بالنّوى من أضاعها

أفي كلّ يوم للبعاد ملمّة تلمّ بنا لا نستطيع دفاعها

فلله جمع فرّق البين شمله وإلفة صحب قد أباد اجتماعها

وساعات أنس كان لهوا حديثها سقى الله هاتيك اللّيالي وساعها

ولا مثل ليلى إذ تبدّت عشيّة مددت لها كفّي أريد وداعها

وقد أقبلت تذري الدّموع تلهّفا إذا هتف الداعي إلى البين راعها

أشاعت بنا أيدي الفراق فأصبحت تؤمّ بنا شمّ الذّرى وتلاعها

نجوب قفارا ما وقفنا بقاعها ونقطع بيدا ما حللنا بقاعها

تميل بنا الأكوار ليلا كأنّنا نشاوى سلاف قد أدمنا ارتضاعها

إذا نفحتنا نسمة حاجريّة أجدّت وهاجت للنّفوس التياعها

فمن مهجة لا يستقرّ قرارها ومن كبد نخشى عليها انصداعها

تجاذبنا فضل الأزمّة ضمّر أهاج نزاع البين وجدا نزاعها

نقيس بها طول الفلاة وعرضها إذا هي مدّت للمسير ذراعها

ومن أحسن ما سمعت به في المسرى قول بديع الزمان [2] ، وعلّامة همذان [3] من قصيدة :

---

(1) البيت من قصيدة للشريف الرضي. جزع الرمل : قطعه عرضا.

(2) هو أحمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان). توفي سنة 398 هـ (أنوار الربيع 1 / 141).

(3) في ك (وباقعة همذان).

لـك الله مـن لـيـل أجـوب جـيـوبـه كـأنّي في عـين الـرّدى أبـدا كـحـل [1]

كـأنّ السّـرى سـاق كـأنّ الكرى طلا كـأنّـا لهـا شـرب كـأنّ المـنى نـقـل

كـأنّـا جـيـاع والمـطـيّ لـنـا فـم كـأنّ الـفـلا زاد كـأنّ السّـرى أكـل

كـأنّ يـنـابـيـع الـثّـرى ثـدي مـرضـع وفي حـجـرهـا منّي ومـن نـاقـتي طـفـل

كـأنّـا عـلـى أرجـوحـة في مسـيرنـا بـغـور بـنـا يـهـوي ونجـد بـنـا يـعـلـو

ومن أحسن قوله منها في المديح :

كـأنّ فـمـي قـوس لسـاني لـه يـد مـديحـي لـه نـزع بـه أمـلـي نـبـل

كـأنّ دواتي مـطـفـل حـبشـيّـة بـناني لها بعـل ونفسـي لها نسـل [2]

كـأنّ يـدي في الـطّـرس غـوّاص لجّـة لـه كـلـمـي درّ بـه قـيـمـي تـغـلـو

وهذا الإمام المتقدم الذي صلّى الحريريّ خلفه ، وأشار إليه في مقاماته بقول القائل [3] :

فلو قبـل مبكـاهـا بكيـت صـبـابـة بسـعـدى شـفيـت النّفس قبـل التنـدم

ولكـن بكـت قبـلي فـهيّـج لي البكـا بكـاهـا فقلـت الفضـل للمتقـدّم

وعلى ذكر الحريري فما ألطف قول بعض الظرفاء الأدباء ، ونقلته من خطّ الصـلاح الصفدي على هامش نسخة من المقامات :

لـنـا صـديـق هـو في نـقـلـه لـكـلّ ذي أكـذوبـة وارث

فـكـلّ مـا يـنـقـلـه مـثـل مـا قـال الحـريـري حـكـى الحـارث

ولم نزل نقطع كلّ فدفد ، وقد نفد التجلّد أو كاد ينفد ، حتى نزلنا ب (الهضـم) [4] وهو واد قفر يتبرّم منه السّفر.

---

(1) الأبيات في يتيمة الدهر 4 / 300 وأنوار الربيع 3 / 130 وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) النقس (بالكسر) : المداد الذي يكتب به.

(3) البيتان في مقدمة الحريري على مقاماته (شرح الشريشي 1 / 20).

(4) قال ياقوت (الهضم) : المطئن من الأرض ، واسم موضع.

قـفـر غـدت ريـح السّـــمـوم مـثـيرة مـن أرضـــه نـقـعـا إلى أفـق السّـــمـا
فـكـأنّـمـا صـــعـد الـتّراب لـيشـــتـكـي مـا يـلتـقـيـه إلى السّـــمـاء من الظّـمـا

فمكثنا به يوما لم نسـتطب فيه يقظة ولا نوما ، ثم ارتحلنا منه إلى (اللّيث) [1] فألفيناه قد كشّـــر عن نابه ، وتحمّلنا منه تالين (**رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**)[2]. ثم أتينا على (ذكوان) منزل طاب لنا فيه الوقت والأوان ، يشـتمل على نخلات باسـقة ، وشـجرات فاغية [3] متناسـقة ، وهو قريب من البحر ، بينه بينه وبين السّـيف مسـير سـاعة مع عذوبة مائه وطيب هوائه.

يـزهـى بـبرّ وبحـر مـن جـوانـبـه فـالـبرّ مـن طـرف والـبـحـر مـن طـرف
ومـا يـزال نسـيـم مـن يمـانـيـة يـأتـيـك مـنـه بـريّـا روضـــة أنـف

وفيه كان أول مشاهدتنا للبحر الزاخر ، والفلك الماخر ، فهالنا من أمر البحر ما رأيناه ، ووددنا إن لم نكن نراه ولا راءيناه [4]. ولما اكتســى الجوّ ثوب الأصــيل أخذ الركب في التقويض والرحيل ، فما سـرنا قليلا حتى ضـللنا الطريق ، فتفرق لذلك جمع الفريق ، فصـار الطريق طريقين ، والفريق فريقين ، وكانت ليلة نجمها مغموم ، وغيمها مركوم ، فلم نزل نقطع تلك الفلاة اليهماء ، ونخبط تلك الليلة الدهماء ، حتى نشر الصبح راياته ، وأرانا الله سبحانه آياته ، فهدانا إلى (الوادين) [5] وهو أكرم الهادين ، وهو المنزل الذي قصدناه ، والموضع الذي أردناه ، فالتأم به جمع القوم ، وأقمنا به ذلك اليوم ، وعلى ذلك قلت (من قصـيدة مدحت بها الوالد) [6] :

---

(1) (اللّيث) ضبطه البكري وياقوت بكسر اللام : واد بأسفل السراة ، أو موضع بالحجاز ، ويظهر أن المؤلف اعتبر الكلمة مفتوحة اللام فورّى بها عن الأسد.

(2) سورة البقرة / 286.

(3) الفاغية : نور الحناء ، ونور كل ما له رائحة طيبة.

(4) راءيناه : قابلناه.

(5) (الوادين) كذا ورد ، وتقتضيه السجعة ، وفي معجم ياقوت ، الواديين (بياءين) : بلدة في جبال السراة بقرب مدائن لوط ، وباليمن من أعمال زبيد : كورة عظيمة.

(6) الذي بين القوسين غير موجود في (ع).

كم مهمه جبته بالسّيف مشتملا والعزم يكحل جفن العين بالسّهر
في ليلة قد أضلّتني غياهبها حتى اهتديت إلى دير من الشّعر [1]
بطلعة كضياء الشّمس غرّتها ونفحة حملتها نسمة السّحر
فظلت والليل تغريني كواكبه أراقب الفجر من خوف ومن حذر [2]
وفي الكنائس من هام الفؤاد بها ترتو إليّ بطرف طامح النّظر
فأقبلت وتجاريناً معانقة كأنّنا قد تلاقينا على قدر
حتى بدت غرّة الإصباح واضحة وطرّة اللّيل قد شابت من الكبر
ثم انثنينا ولم يدنس مضاجعنا إلّا بقايا شذا من ريحها العطر
فاستعجلت تحكم الزنّار عقدته وتسحب الذّيل من خوف على الأثر
واستقبلت دير رهبان قد اعتكفوا يزمزمون بألحان من الزّبر

ثم ارتحلنا فأتينا على (دوقه) [3] وقد بلغ الجهد من كلّ منا طوقه ، وهي أرض قفراء ، وحرّة زوراء [4].

ثم ارتحلنا منها إلى (الحسبه) [5] ومامّنا إلّا والأين قد لسبه ، فنزلنا بها للاستراحة ، وهيهات مع تعب البين راحة.

ثم نهضنا عنها ،

نمزّق جلباب الظّلام كما فرى أخو الحزن ما نالت يداه من البرد

وقد عبّ في كأس الكرى كلّ راكب فمال نزيفا والجياد بنا تردي

---

(1) في الديوان (إلى بيت من الشعر).

(2) في الديوان (الصبح) مكان (الفجر).

(3) دوقه (بفتح الأوّل وسكون الثاني) : موضع بأرض اليمن ، وقيل : واد على طريق الحاج من صنعاء إذا سلكوا تهامة.

(4) الحرّة (بالفتح) : الأرض ذات حجارة نخرة سود. فلاة زوراء : بعيدة.

(5) الحسبة (بالتحريك) : واد باليمن.

وحـلّ عـقـال الـوجـد شـــوق كـأنّـه شـــرارة مـا يـرفـضّ مـن طـرف الـزّنـد
وأوقـــر أجـــفـــاني دمـــوع نـــثـــرتهـــا عـلى محـملـي نـثـر الجـمـان من الـعـقـد

فلم نزل بين إدلاج وتأويب ، وإيجاف وتقريب ، وقد طوينا تلك المراحل ، وقطعنا هاتيك المفاوز المواحل.

فكم من نهـار ضـــمّ قطريـه ســـيرنـا يـذوب الحصـــى من جـزعـه في لهيبـه
ولـيـل طـويـنـاه ولـلـرّكـب طـربـة إذا غـبّ نجـم جـانـح في مـغـيـبـه

إلى أن جئنا (القنفذة) وقد أنفذ فينا البين ما أنفذه ، وهي قرية بالقرب من (حلي) [1] على ساحل البحر ، ويقال : أنها كانت في القديم فرضة مكة المشرفة بها ترسي جميع السفن الواردة من جميع الأقطار ، ثم أهملت وجعلت الفرضة (جدّة) ـــ بضم الجيم ـــ على ما في القاموس ، والعامة تقول : جدة (بكسرها) وهي على مرحلتين من مكة شرّفها الله تعالى. وفي القاموس ، الجداد (بالضم) : ساحل البحر بمكة ، كالجدة ، وجدة : موضع منه [2].

فائدة :

في سـنة سـبع وتسـعمائة غرّق القاضـي أبو السـعود بن ابراهيم بن ظهيرة [3] في بحر القنفذة المذكورة بأمر وإلي مكة المشـرفة : الشـريف بركات بن محمد بن بركات بن الحسـن بن عجلان [4] ، وكان السـبب في ذلك أنه لما توفي الشـريف هزّاع أخو الشـريف المذكور ، وكان والي مكة غير منازع ، وكانت وفاته خامس عشـر رجب الأصـم من السـنة المذكورة ، تولى بعده أخوه أحمد الجازاني بمساعدة القاضي المذكور ، وربّما أمدّه بنفقة وسلاح وغير ذلك.

---

(1) حلي (بوزن ظبي) مدينة باليمن على ساحل البحر.

(2) في القاموس (لموضع بعينه منه).

(3) هو أبو السـعود محمد بن ابراهيم بن علي بن محمد بن أبي السـعود. ترجمته في الضـوء اللامع 6 / 264 ، والبدر الطالع 2 / 80 ، وشذرات الذهب 8 / 36 ، وفيه أنه أغرق سنة 908 هـ.

(4) توفي الشريف بركات سنة 931 هـ (سمط النجوم العوالي 4 / 279 ـ 293).

فلما علم الشريف بركات بذلك سار إلى مكة المشرفة فدخلها منتصف شعبان من السنة المذكورة ، ففرّ منه الشريف أحمد جازان ، واستقرّ بها الشريف بركات ، ولم يقم له أحمد ، وأخبر بما كان من القاضي فلم يكد يصدّق به. ثم دخل عليه القاضي فأظهر غاية الفرح والسرور بقدومه ، وأمره بتفريق جنده وقال له : لا حاجة لك إلى هؤلاء فإنّما هم كثرة نفقة ، ففرّقهم. فلما فعل ذلك كتب القاضي إلى الشريف أحمد يستقدمه ، ويخبره بما تمّ له من المكيدة ، ووعده بالقبض على أخيه إذا هو وصل مكة في الحرم الشريف من غير مشقّة ولا كلفة ، ويقال أنّ بعض خواص الشريف فعل ذلك مكيدة للقاضي فاستدرجه ، وظنّ القاضي صداقته ، ثم أخذ الكتاب منه ودفعه إلى الشريف بركات. فلما وقف عليه أرسل إلى القاضي المذكور وأوقفه على الكتاب فأنكره ، وقد سبقت له ضغائن في قلبه ، فأمر بالقبض عليه ، واستصفى أمواله وسجنه عنده في بيته ، وقيّده وغلّه ، وعصر عليه بالعصّارات ، وصادر ولده وأخاه سيد الناس في خمسة آلاف دينار وأطلقهما على ذلك. فبيعت ذخائرهم وكتبهم النفيسة ، وانكسرت شوكتهم من ذلك اليوم ، ولم تبق لهم باقية ، وكانوا في عظمة لا يقوم بها الوصف.

ثم أرسل الشريف بالقاضي أبي السعود إلى القنفذة فسجنه بها وعياله وخاصته ـــ وكلّ أحد يغضب عليه والي مكة ينفيه إلى القنفذة ـــ ولم يزل مسجونا بها إلى يوم الأحد ثاني ذي الحجة الحرام [1] فجاء أمر الشريف إلى والي القنفذة بتغريق القاضي وأن لا يراجعه في ذلك.

فأخرجه إلى البحر في زورق وغرّقه فيه ، وأولاده وعياله ينظرون إليه. فنسأل الله العافية. ولم يبق الآن من بني ظهيرة إلّا الشاذ النادر ، وكان لهم بمكة قبل أن يوقع الشريف بالقاضي المذكور من الأمر والنهي ما لا يقصر عن ملوكها ، حتى أنّ بنتا للقاضي المذكور قالت له : يا أبتي لم لا يعرض عليك العسكر كما يعرض على الشريف ، لما رأت ما هم عليه من الشوكة والمنزلة.

---

(1) في ك ، وأ (ذي القعدة) ، وفي البدر الطالع (حادي عشر ذي الحجة).

وهذا قصـــارى الدنيا ، وغاية كلّ عليا ، والأيّام لا تلوي على أحد ، ولا تألو أن تثلم كلّ حدّ ، وتفرّق كلّ عدّ ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ولله درّ من قال :

ونهـايـة الـدّنـيـا وغـايـة أهـلـهـا ملـك يـزول وســـتر قـوم يـهـتـك

تحـلـو فـتـجـلـب غصّـــة ومـرارة وتحـبّ وهـي بـنـا تصـــول وتـفـتـك

وتوفي الشريف بركات المذكور سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة.

وفي أيامه وأيّام ابنه أبي نمي انتقل ملك مصـــر إلى ملوك بني عثمان ، وذلك في ســـنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، فأول من ملكها منهم وهو عاشرهم السلطان سليم بن السلطان بايزيد [1] فجهّز إلى الشـريفين المذكورين قاصـدا بالاسـتقرار والاسـتمرار وذلك سـنة ثلاث وعشـرين وتسـعمائة ، وغلط من قال سـنة تسـع وعشـرين. فكان السـلطان المذكور أول من ملك الحرمين من آل عثمان.

وفي مفتاح الخير [2] : لا يملك الحرمين إلّا ملك مصـــر. وكانت مصـــر قبل أن يملكها الســـلطان ســـليم لقانصـــوه الغوري [3] فوقعت بينهما فتنة ، وقصـــد كلّ منهما الآخر في عسـكرين عظيمين ، فالتقيا في موضـع يقال له (مرج رابغ) من نواحي حلب شماليها مسـافته منها نحو مرحلة ، وكان المصاف والوقعة يوم الأحد خامس عشري رجب سنة اثنتين وعشرين وتسـعمائة ، وقيل : بل صـبح يوم الخميس تاسـع عشـر ذي الحجة من السـنة المذكورة. ودام الحرب وصـــابر الفريقان من أول النهار إلى ما بين صـــلاتي الظهر والعصـــر ، ثم نزل نصـــر العثمانية ، وانهزم الجراكسة ، وقتل سلطانهم قانصوه المذكور ، وفتح العثمانية البلاد الشامية ، ثمّ المصرية ، وكانت ولاية الغوري خمس عشرة سنة وتسعة

---

(1) هو سـليم الأول بن بايزيد الثاني. تولى السـلطنة بعد وفاة أبيه سـنة 918 هـ وفي عهده انتقلت الخلافة من العباسيين إلى العثمانيين. توفي سنة 926 هـ. (دائرة المعارف الإسلامية 12 / 121).

(2) يراجع إيضاح المكنون 2 / 5240.

(3) هو قانصوه بن عبد الله الظاهري الغوري الملقب بالملك الأشرف. توفي سنة 922 هـ (الأعلام 6 / 23)

أشهر وخمسة وعشرين يوما.

وأوّل من ملك مكة من الأشـراف من بني حسـن : أبو محمد جعفر بن محمد من بني موسـى الجون [1] وكان ذلك بعد الأربعين والثلثمائة. وكان حاكم مكة انكجور التركي من قبل العزيز بالله الفاطمي ، فقتله الأمير أبو محمد جعفر واسـتوت له تلك النواحي ، وبقيت في يده نيفا وعشرين سنة.

ثم ولي بعده أخوه [2] عيسـى بن محمد ، فقتل وولي الأمير أبو الفتوح الحسـن بن أبي محمد جعفر.

ثم ولي بعده ابنه تاج المعالي شكر ، واشتهرت عنه حكاية غريبة في الكرم ، ومن شعره :

قوّض خيـامـك عن أرض تضـام بهـا وجـانـب الـذلّ إنّ الـذلّ مجـتـنـب [3]

وارحـل إذا كـان في الأوطـان منقصـة فـالمنـدل الرّطـب في أوطـانـه خشـب

ولما توفي سـنة أربع وسـتين وأربعمائة بقيت مكة شـاغرة ، فملكها حمزة بن وهاس [4] من بني سليمان ، وقامت الحرب بينهم وبين بني موسى سبع سنين ، ثم خلصت للأمير محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشـم ، ويقال لهم : الهواشـم ، وبقيت الإمارة في ولده إلى سنة

---

(1) هو جعفر بن محمد بن الحسـن بن محمد بن موسـى بن عبد الله بن موسـى الجون بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى. هكذا ساق نسبه ابن حزم في الجمهرة وقال (غلب على مكة أيام الأخشيدية).

أقول : والأخشـيدية انتهى حكمها سـنة 357 هـ. أما إذا كانت تولية العلوي المذكور في زمن العزيز بالله الفاطمي ـــ كما يقول المؤلف ـــ فالعزيز تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 365 هـ. وإذا أردنا التوفيق بين الروايتين احتملنا وجود تحريف في كلمة (العزيز بالله) والمراد (المعز لدين الله). تراجع جمهرة أنسـاب العرب / 47 ، وشـفاء الغرام بأخبار البلد الحرام 2 / 194 ، والقاموس الإسلامي 1 / 47.

(2) في شفاء الغرام (ابنه عيسى).

(3) في (ك) و (أ): (يجتنب) مكان (مجتنب).

(4) في شفاء الغرام 2 / 192 ، وسمط النجوم العوالي 4 / 200 (حمزة بن أبي وهاس).

سبع وتسعين وخمسمائة فكان آخر من ولي منهم مكثر بن عيسى بن فليتة [1] فغلب عليه الأمير أبو عزيز قتادة بن ادريس بن مطاعن [2] وقتله في السنة المذكورة ، وملك الحجاز سيفا وطرد عنها الهواشـــم ، والإمارة في ولده إلى الآن ، ويقال لهم القتادات ، وأمير مكة في زمننا هذا السيد الشريف ، والأيّد المنيف ، المصدّر في دست العظمة والجلالة ، والمتفرّع من دوحة النبوّة والرسالة ذو الرياسة التي هي نار على علم ، والسياسة التي جمع بها بين السيف والقلم ، محيي آثار أسلافه الكرام ، وواسطة ذلك العقد والنظام :

السيد الشريف زيد بن المحسن بن الحسين ، أقرّ الله ببلوغ مراده النفس والعين. وليها وهي جمرة تحترم ، ونار تضـــطرم ، فأخمد نيرانها ، وأمن جيرانها. وكانت ولايته ســـنة إحدى وأربعين وألف ، وله من العمر سبع وعشرون سنة. وقد أرّخ القاضي الفاضل ، والإمام النحرير الكامل تاج الدين بن أحمد المالكي [3] ولادته ب (تاج الشـــرف) ، وولايته المنيفة ب (صـــدر الخلافة) ولعمري أنّه التاج المكلّل بلآلئ المجد والشـــرافة ، والصـــدر الذي امتلأ علما وحزما ، وبأسا ورأفة ، وفيه يقول :

مـدائح زيـد تـكســـب الـقـول رونـقـا فيســـمو عـلـى زهـر الـكـواكـب والزّهـر
مـلـيـك بـه أقـطـار مـكّـة أصـــبـحـت مـؤرّجـة الأرجـاء نـافـحـة الـعـطـر
نمـت في ريـاض الملـك ســـرحـة فرعـه وأفضـــى إلـيـه مـلـك آبـائـه الـغـرّ
فـمـــن ذا يـوفّي قـدره حـقّ حمـده وأوصـــافـه جلّـت عن العـدّو الحصـــر
وحســـبي هـذا الـقـول في كـنـه مـدحـه عن البســـط في النّظم المهـذّب والنّثر

---

(1) رآه الرحالة ابن جبير وأورد اسمه في عدة مواطن من رحلته ، يراجع فهرس الرحلة طبع دار صادر ببيروت.

(2) قتادة بن ادريس : هو أيضا من أولاد موسى الجون الحسني ، كانت ولايته لمكة سنة 598 هـ ودامت إلى أن توفي سنة 617 هـ أو 618 (شفاء الغرام 2 / 199).

(3) توفي القاضـي تاج الدين المالكي سـنة 1066 هـ (أنوار الربيع 1 / 51) ويراجع كتاب نفحة الريحانة 5 / 350 (الفهرس).

فلســـــت بمحص عـدّ أوصـــــافـه ولو صـــرفـت على مـدحي لـه ســـائر العمر

وهذا نسبه الشريف :

هو زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات بن الحســـن ابن عجلان بن رميثة بن أبي نمي بن الحســـن بن علي الأكبر بن أبي عزيز قتادة بن ادريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسـى بن الحسـين بن سـليمان بن أبي محمد عبد الله بن محمد الثائر بن موسى ابن عبد الله الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه.

نســـــب يـعـير الشّـــــمس نـورا ظـاهـرا ويـقـيـم لـلـفـلـك المـنـير عـمـودا

ولنعد إلى ما نحن بصدده :

ولما أنخنا بالقرية المذكورة الركائب ، وحططنا الحقائب مكثنا بها أيّاما نجوس خلالها هياما ، حتى أهاب داعي النّفر بالسّـــفر ، وأذنت الحال بالارتحال ، فجنحنا إلى ذلك البحر المتقارب ، وامتطينا غارب القارب ، فلما أقلعت الســـفينة عن المرســـى ، ودجى ليل الهموم وأغسى [1] وجعلت تطير بلا جناح ، يقودها القضاء المبرم وتزجيها الرياح ، كأنّها سهم فارق وتره ، أو حكم أمضـــى الله قدره ، ترتفع تارة وتنخفض أخرى ، وتميس طورا كأنّها لا تعقل سكرا. وما ألطف قول أبي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار [2] في وصفها من أبيات :

أنــظــر المــوج حــولهــا فــأخــال ال جـيـم تـاء لخـيـفـتي وهـي جـيـم

لم أجـد لي فـيـهـا صـــــديـقـا حـمـيـمـا غـيـر أنّي بـالمـاء فـيـهـا حـمـيـم

شـــــنـقـوا قـلـعـهـا مـرارا عـلـى الـرّي ح ولا شـــــكّ أنّـه مـظـلـوم [3]

---

(1) أغسى : أظلم.

(2) توفي أبو الحسين الجزار سنة 679 هـ وقيل غير ذلك (أنوار الربيع 1 / 213).

(3) القلع (بالكسر) : شراع السفينة.

يســـــجـد الجـرف كـلّـمـا ركـع المـو ج فـحســـبي هـنـالـك الـتّســـلـيـم

وتلطّف [أبو] علي بن رشيق [1] حيث يقول :

لـقـد ذكـرتـك في السّـــفـيـنـة والـردى مـتـــوقّـــع بـتـــلاطـــم الأمـــواج

والجـوّ يـهـطـل والـرّيـاح عـواصـــف والـلّـيـل مســـودّ الـذّوائـب داج

وعـلـى السّـــواحـل لـلأعـادي غـارة مـتـوقّـعـين لـغـارة وهـيـاج [2]

وعلـت لأصـــحـاب السّـــفينـة ضـــجّـة وأنـــا وذكـــرك في ألـــذّ تـــنـــاج

وفي المعنى للعلامة أبي حيان [3] :

لـقـد ذكـرتـك والبـحـر الخضـــمّ طغـت أمـواجـه والـورى مـنـه عـلـى ســـفـر

في ليلـة أســـدلـت جلبـاب ظلمتهـا وغـار كـوكبـهـا في أعـين البشـــر [4] :

والمـاء تحـت وفـوق المـزن وأكـفـه والبرق يســتـلّ أســيـافـا من الشـــرّر

هـذا وشـــخصـــك لا ينفـكّ في خلـدي وفي فـؤادي وفي سـمـعـي وفي بصـــري

وهذه الطريقة أوّل من أبدعها عنترة العبسي [5] في قوله :

ولـقـد ذكـرتـك والـرّمـاح نـواهـل مـنّي وبـيـض الهـنـد تـقـطـر مـن دمـي

فـوددت تـقـبـيـل السّـــيـوف لأنّهـا لمـعـت كـبـارق ثـغـرك المـتـبسّـــم

وأخـذ المتـأخرون وزادوا عليـه فـأكثروا ، ووقفـت على مقـاطيع كثيرة في هـذا البـاب أحسنها ما تقدم لأبي علي بن رشيق.

---

(1) هو أبو علي الحسن بن رشيق صاحب العمدة (في الأصول : علي بن رشيق). توفي سنة 463 هـ وقيل غير ذلك (أنوار الربيع 1 / 199).

(2) في الديوان (يتوقعون) مكان (متوقعين).

(3) هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (أبو حيان النحوي) توفي سنة 745 هـ (أنوار الربيع 1 / 358).

(4) في الديوان (وغاب كوكبها).

(5) عنترة العبسي : الشاعر الجاهلي المعروف ، وأحد أصحاب المعلقات (أنوار الربيع 1 / 367).

ثم لم تزل السفينة ترتفع بنا وتنخفض ، وترتعش وتنتفض ، وقد بلغت النفوس الحلاقم ، وتجرّعت من البحر العلاقم ، حتى شارفنا بقعة من الأرض ، حقيرة الطول والعرض ، فجنحنا إليها ، ونزلنا عليها ، وأرسينا بها ليلة ، وقد عادت الحال حويله ، ووددنا لو صار البحر دجيلة. فلما شعشع الصباح ، أهاب بالسفينة داعي الرياح ، فعلّق الشراع ، وقد راع من فراق البقعة ما راع ثم غدونا نخوض تلك اللّجج ، ونخاطر بالمهج ، حتى أشرفنا على بندر جازان [1] ، فقصدنا النزول به فلم يوافق أهل السفينة لاغتنامهم موافقة الريح ، ويقال : إنّ بحر ساحله مغاص يخرج منه اللؤلؤ ، لكنه ليس بجيّد ، وقد يقذف البحر إليه العنبر.

ومن الغريب ما استفاض خبره في زماننا هذا : إنّ البحر كان قد ألقى إلى ساحل البندر المذكور قطعة عظيمة من العنبر لم يهتد إلى معرفتها أحد ، وظنوها صخرة ، فكان الغسالون يغسلون عليها الثياب. ومضى على ذلك برهة من الزمان ، حتى جاء بعض تجار زماننا البندر ، وأسلم ثيابا له غسالا ليغسلها ، فذهب بها الغسال إلى تلك الصخرة فغسلها عليها ، وجاء بالثياب إلى التاجر ، فعرف منها رائحة العنبر ، وسأل الغسال هل طيّب هذه الثياب؟ قال : لا ، قال : فأين غسلتها؟ قال : على صخرة على الساحل ، قال : فاذهب بي إليها ، فذهب به فلما رآها علم أنّها غنيمة عظيمة ، فتركها ثم جاءها ليلا واقتلعها على حين غفلة ، فلما أصبح الغاسلون فقدوا الصخرة ، فأخبرهم الغسال بما كان من أمره مع التاجر ، فعلموا أنّ لها شأنا ، فذاع الخبر ونمي إلى الوالي فصادر التاجر حتى أظهر منها قطعة صغيرة ، وصالحهم على شيء من المال واحتوى على سائرها ، فعظم شأنه وكان هذا العنبر سبب غناه ، والله المغني.

وقد اختلف في أمر العنبر فقيل : إنه ينبت في البحر وله رائحة ذكيّة. قال الشافعي : سمعت من قال : رأيت العنبر نابتا في البحر مثل عنق الشاة ، وقال : حدثني بعضهم أنّه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه ، فنظر إلى شجرة

---

(1) جازان موضع في طريق الحج من صنعاء.

مثل عنق الشاة فإذا ثمرها عنبر ، قال فتركناه حتى يكبر فنأخذه ، فهبّت ريح فألقته في البحر.

وقيل : إنّه روث دابة ، وقيل : إنّه من غثاء البحر.

قال الزمخشري : سمعت ناسا من أهل مكة يقولون : هو من زبد البحر ، وقيل : إنّه يأتي طغاوة على الماء لا يدري أحد معدنه ، فلا يأكله شيء إلّا مات ، ولا ينقره طائر إلّا بقي منقاره فيه ، ولا يقع عليه إلّا نصلت [1] أظفاره فيه ، وقيل : إنّ بعض دواب البحر تأكله لدسومته فتقذفه رجيعا ، فيوجد كالحجارة الكبار يطفو على الماء فتلقيه الريح إلى الساحل.

وذكر المسعودي : إن العنبر يقذفه البحر كأكبر ما يكون من الصخور.

وقال ابن سينا : أجود العنبر الأشهب ، ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، ثم الأسود ، قال : وكثيرا ما يوجد في أجواف السمك الذي تأكله وتموت. والدابة التي تأكله تدعى : العنبر.

قال المختار بن عبدون [2] : العنبر حار يابس وهو دون السمك ، وهو يقوّي القلب والدماغ ، ويزيد في الروح ، وينفع من الفالج ، واللّقوة ، والبلغم الغليظ ، ويولّد الشجاعة. لكنّه يضرّ من اعتاده ، وتدفع مضرّته بالكافور وشمّ الخيار ، ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة ، والمشايخ. وأجود ما يستعمل في الشتاء ، قال : وجماجم العنبر أكبرها ألف مثقال ، تبرز من عيون في البحر وتطفو عليه ، وله زهومة [3] لابتلاع السمك ، ويتصفّى منه عند عمله رمل.

والذي حقّقه صاحب الاختيارات : إنّه شمع ، قال : وكلّما كان أشدّ بياضا

---

(1) نصلت . هنا . بمعنى ثبتت.

(2) هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ، الطبيب المشهور بابن بطلان. في تاريخ وفاته أقوال منها سنة 441 و 444 و 461 هـ (هدية العارفين 2 / 422 ، ومعجم المؤلفين 12 / 210).

(3) الزهومة : الدسومة ، وريح لحم دسم منتن ، والزهم (بالضم) : الطيب المعروف بالزباد.

وخفّة كان أجود. والعنبر : سمكة كبيرة يتخذ من جلدها التّراس ، ويقال للترس : عنبر ، وقد يقال لهذه السمكة : البال.

قال القزويني : البال : سمكة طويلة ، طولها خمسمائة ذراع أو أطول ، ويظهر في بعض الأوقات طرف جناحها كالشـــراع العظيم. وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف ، فإذا أحسّــوا بها ضــربوا لها بالطبول لتنفر عنهم. فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها ولا خلاص للبال منها ، فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم ، ولها أناس يرصـــدونها من تحت الريح ، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجبذوها [1] إلى الساحل ، وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها [2] ، انتهى.

قلت : ولهذه السمكة حديث عجيب رواه البخاري وهو مشهور [3]. والسمك أنواع كثيرة ، ولكلّ نوع اســـم خاص ، ومنها ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها ، وما لا يدركها الطرف لصغرها ، وكلّه يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق حيوان البرّ الهواء بالأنوف ، ويصل بذلك إلى قصبة الرئة. والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولّد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء ، وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن عنه وما أشبهنا من الحيوان ، لأنّه من عالم الماء والأرض دون عالم الهواء ونحن من عالم الماء والأرض والهواء ـ قاله الدميري في حياة الحيوان الكبرى ـ وهو صريح في أن الهواء لا يدخل جوفه. وقال أيضا لا يدخل جوفه هواء البتّة.

وفي المسائل الطبيعية للحكيم أرسطا طاليس ما يدلّ على خلاف ذلك ، فإنه قال : ما بال السمك يعيش في الماء ، فإذا خرج منه إلى الهواء تلف؟ لأن

---

(1) جبذ ، كجذب : وزنا ومعنى.

(2) في دائرة معارف القرن العشرين 6 / 756 بحث عن منشأ العنبر وخواصه لا يخلو من فائدة.

(3) أنظر البخاري 5 / 211 باب (غزوة سيف البحر).

قلب السمك بارد جدّا فلذلك يحتاج إلى نفس قليل يجتذبه بمجار ضيّقة ، والماء لكونه أغلظ فما يصل إلى نفسه في تلك المجاري من الهواء شيء يسير ، فإذا برد الهواء فما يصل إلى نفسه أكثر ، لأنه ألطف ، فإذا برد الهواء في قلبه بردا مفرطا تلف ، انتهى. وهذا صريح في أن الهواء يدخل جوفه ، والله أعلم بالواقع.

وقال الجاحظ : السمك يسبح في غمر الماء ولا يسبح في أعلاه ، ونسيم الهواء الذي يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة قتله.

واستثنى الغزالي نوعا لا يضرّه الهواء ، قال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر بمسافة طويلة ثم ينزل.

قلت : وقد رأيت أنا هذا السمك الطيّار على وجه البحر. وما أحسن قول ابن التلميذ [1] يصف السمك :

لبسن الجواشن خوف الرّدى وعلّين من فوقهنّ الخوذ
فلمّا أتيح لها أهلكت ببرد النّسيم الذي يستلذ [2]

وسنذكر جملة من أخبار البحر وعجائبه فيما يأتي إذا أفضت النوبة إليه إن شاء الله تعالى.

رجع ـــ وما زالت السفينة تنساب بنا انسياب الحيّة حتى وصلنا بندر (اللحيّة) [3] فامتطينا صهوة الزورق ، وظننا أنّ غصن الخلاص قد أورق ونزلنا البندر المعمور ، فألفيناه بكلّ خير مغمور ، وفيه من أنواع الفواكه ما يلتذّ به كلّ

---

(1) هو أبو الحسن أمين الدولة هبة الله بن صاعد ، المعروف بابن التلميذ. توفي سنة 560 هـ (أنوار الربيع 2 / 293).

(2) ورد البيت في طبقات الأطباء / 360 هكذا :

فلما أتاها الردى أهلكت بشمّ نسيم الهوا المستلذ

(3) قال في نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف (لابن زبارة الصنعاني) 2 / 96 (اللحية ، بضم اللام الثانية ، تصغير اللحية ، وهي مدينة مشهورة بتهامة اليمن. وجاء في معجم البلدان : حيّة ، بلفظ الحية من الحشرات : من مخاليف اليمن.

مفاكه ، فما ظنك بسقيم بحر ناقه ، من موز كمكاحل الذهب ، ورطب كظلم الحبيب إذا وهب ، وأعناب كالدرر المسلوكة ، وحلاوات كالدنانير المسبوكة. فقضينا به يومنا ، واستطبنا فيه نومنا. وكان فيه أول مشاهدتنا للكفرة أولي الجحيم ، فاستعذنا بالله تعالى من الشيطان الرجيم. ولم يكن يقع النظر قبل ذلك على أحد ممّن هو على غير ملّة الإسلام ـــ عصمنا الله بهدي صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام ـــ وحاولنا المرسول إلينا ، والموكّل علينا في السفر من البرّ ، فقد سئمت النفوس مكابدة ذلك البحر الأغبر [1] فأبى إلّا السفر على الماء ، وامتطاء تلك المطيّة الدهماء. فعدنا وفي النفوس من الألم ما الله سبحانه به أعلم. وما ألطف قول القائل :

البحر أهون من مرارة مائه أن تستقرّ بأضلعي الرّمضاء

فعليه يوم مضيفنا بفراقه من كلّ قلع راية بيضاء [2]

وما كان منعه من ذلك إلّا فرارا من الانفاق ، وخلافا للوفاق. وكان ممن يرى دخول النار ، ولا خروج الدينار ، ووصال الهمّ ، ولا فراق الدرهم.

الشمس أقرب من دينار صرّته والصّخر أندى يدا منه لطالبه

وأبدع البديع في وصف بخيل فقال : قد جعل يمينه أمينه ، ودنانيره سميره ، ودرهمه شقيقه ، ومفتاحه رفيقه ، وصندوقه صديقه ، وخاتمه خادمه. وبالغ من قال وتلطّف [3] :

إنّ هذا الفتى يصون رغيفا ما إليه لناظر من سبيل

فهو في سفرتين من أدم الطّا ئف في جونتين في منديل [4]

---

(1) في ك (البحر الأخضر).

(2) ضاف الرجل : أسرع ، وفر. ضاف وأضاف : مال ، وخاف. القلع (بالكسر) : شراع السفينة.

(3) البيتان في نهاية الارب 3 / 310 بدون عزو.

(4) الجونتان تثنية الجونة (بالفتح) : الخابية المطلية بالقار. في نهاية الارب (الطائف في سلتين من زنبيل).

وكان بعضهم شديد العناية بأمر المال كثير الضنّ به ، فإذا قيل له في ذلك أنشد :

كــلّ الــنّــداء إذا نــاديــت يخــذلــني إلّا الــنّــداء إذا نــاديــت يــا مــالي

وكان المبرّد يقول : الدرهم ذو جناح إن حرّكته طار ، والدينار محموم إن أزعجته مات.

ومن كلام الكندي لابنه : إنّ مالك إذا خرج من يدك لم يعد إليك ، وليس كان مثل يكون. ومثل الدرهم مثل الطير هو لك مادام في يدك ، فإذا طار فهو لغيرك. وأعرف بيتا قد أبات أكثر من مائة ألف إنسان في المساجد ، وهو قول القائل [1] :

فســـــر في بــلاد الله والــتــمــس الــغــنى تــعــش ذا يســـــار أو تــوت فــتــعــذرا

فاحذر بنيّ أن تلحق بهم ، وتكون منهم. ولتكن مع الناس كلاعب الشـــطرنج تحفظ شيئك وتأخذ بشيء غيرك.

وكان هذا الرجل إذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه ، وفدّاه واستبطاه وقال : بأبي أنت وأمي كم من أرض قطعت ، وكيس خرقت ، وكم من خامل رفعت ومن رفيع بمفارقتك إيّاه أخملت. لك عندي ألّا تعرى ولا تضحى ، ثم يلقيه في كيسه ويقول : أسكن على بركة اسم الله في مكان لا تزول عنه ولا تزعج منه.

ومن نوادر البخلاء ما حكاه محمد بن أبي المعافى التميمي قال : كان أبي منتحيا عن المدينة ، وكانت إلى جنبه مزرعة فيها قثّاء ، وكنت صـــبيّا قد ترعرت ، فجاءني صـــبيّان من جيراننا ، وكلّمت أبي ليهب لي درهما أشـــتري به قثّاء ، فقال لي : أتعرف حال الدرهم؟ كان في جحر جبل ، فضرب بالمعاول حتى استخرج ، ثم طحن ، ثم جعل في القدر وصب عليه الماء ، وجمع

---

(1) البيت من قطعة لعروة بن الورد مثبتة في ديوانه ، ووردت في العقد الفريد 3 / 31 منســـوبة لربيعة بن الورد وهو تحريف ، وأوردها ابن قتيبة في عيون الأخبار 1 / 243 بدون عزو. تراجع ترجمة عروة بن الورد ومصادرها في أنوار الربيع 6 / 227.

بالزئبق ، ثم أدخل النار فسبك ، ثم أخرج فضرب ، وكتب في أحد شقّيه : لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله ، ثم وجّه إلى أمير المؤمنين فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووكّل به عوج القلانس صهب السبال [1] ، ثم وهبه لجارية حسناء وأنت والله أقبح من قرد ، أو رزقه رجلا شجاعا وأنت والله أجبن من صفرد [2] ، فهل ينبغي لك أن تمسّ الدرهم إلّا بثوب ، أو تراه إلّا من بعد؟

وفي الحديث : إنّ أوّل من ضرب الدينار والدرهم حين استخراج المعادن آدم (ع) وقال : لا تصلح المعيشة إلّا بهما.

وذكر وهب بن منبّه [3] : إنّ في التوراة : الدينار والدرهم خواتيم رب العالمين ، من جاء بخاتم ربّ العالمين قضيت حاجته.

وكان أنوشروان يقول : من زعم أنّه لا يحبّ المال فهو عندي كاذب حتى يصدق ، فإذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق.

وكان الحصين يقول : وددت لو أنّ لي وزن رضوى ذهبا لا أنتفع منه بشيء ، قالوا : فما يجدي عليك إذن؟ قال : تعظمني له حمقى الرجال. وقال محمود الوراق [4] :

أرى كلّ ذي مال يبرّ لماله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل

فشرّف ذوي الأموال حيث لقيتهم فقولهم قول وفعلهم فعل

وتلطّف الشيخ الفاضل شرف الدين يحيى بن عبد الملك العصامي [5] من

---

(1) الصهب (بالضم) جمع الأصهب ، وهو الذي يخالط بياضه حمرة. السبال جمع السبلة (محركة) : مجتمع الشاربين ، ويريد بهم الجند.

(2) الصفرد (بكسر الصاد والراء وسكون الفاء) : طائر من خشاش الطير يضرب به المثل في الجبن.

(3) وهب بن منبّه : من التابعين توفي سنة 114 هـ (الأعلام 9 / 150).

(4) هو محمود بن الحسن الوراق توفي في حدود المائتين والثلاثين هجرية (طبقات ابن المعتز / 367 ، ونهاية الأرب للنويري 3 / 88 ، وفوات الوفيات 2 / 562).

(5) توفي شرف الدين العصامي سنة 1074 هـ (أنوار الربيع 2 / 182).

فضلاء العصر حيث يقول :

إنّ الـــدّراهـــم مـــرهـــم قـــد جـــاء في تصـــحـــيـــفـــهـــا

فـــدع الـــتـــطـــيّر قـــائـــلا الهـــمّ بـــعـــض حـــروفـــهـــا

ثم ســرنا ليالي وأياما نلاطم تلك الأمواج لطاما حتى وافينا جزيرة (كمران) ـــــ بفتح الأحرف الثلاثة ـــــ [1] وهي جزيرة محيط بها البحر ، إلّا أن ماءها في غاية العذوبة ، وبها مسجد عظيم ، وأشجار وفواكه ، وإليها ينسب الملح الكمراني الذي لا يوجد مثله في غيرها ، وهو لا يستعمل إلّا دواء لشدّة ملوحته ، ينفع لأمراض كثيرة ، ولا يدانيه شيء من أقسام الملح في نقاوته وصلابته. وفيها مدفن الشيخ الكبير الشهير محمد بن (عبد ربّه) [2] المشهور بالورع والزهد ، وضريحه بها من المزارات المشهورة. قال اليافعي : تفقه على الشيخ أبي اسحاق الشـــيرازي في بغداد بكتاب المهذب ، وهو أوّل من دخل به إلى اليمن. وقال ابن سمرة : كانت النواخيذ [3] وأهل الجلالات يأتون للســـلام عليه ، ويقبلون رأســـه وهو قاعد ، وكان كثير الزهد والورع متحرّيا في المطعم ، لا يأكل إلّا الأرز من بلاد الهند ، وكان عبيده يسافرون إلى الحبشـــة والهند ومكة للتجارة ، فحصـــلت له أموال ، فكان ينفق على الطلبة منها. وله تصنيف في أصول الفقه سمّاه الإرشاد ، وارتحل إليه خلائق من فقهاء اليمن من بلدان شتى لعلمه وجوده. وكان له ولد عالم بعلم الكلام والأصـــول ، مع تبريز في الفقه يســـمى عبد الله تفقّه بأبيه ومات قبله في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، ودفن بالجزيرة المذكورة ، فرثاه بعض فقهاء اليمن بقصيدة طويلة يقول في بعضها :

أمـــن بـــعـــد عـــبـــد الله نجـــل محـــمّـــد يصـــون دموع العين من كـــان مســـلـــمـــا

---

(1) جزيرة كمران : باليمن قبالة زبيد.

(2) (عبد ربه) كذا ورد في الأصول ، وفي مرآة الجنان لليافعي 3 / 242 (عبدويه).

(3) النواخيذ ، والنواخذة جمع الناخذاة ، أي صـــاحب الســـفينة (فارســـي معرب). في مرآة الجنان (كانت أهل التوحيد) مكان (كانت النواخيذ).

وقد غاض بحر العلم مذ غاب شـــخصـــه ولـكـنّ بحـر الـوجـد مـن بـعـده طـمـا

قال اليافعي : وكان الشـيخ المذكور قد ابتلي بذهاب البصـر ، فقال عند ذلك مخاطبا نفسه :

وقـالـوا قـد دهـى عـيـنـيـك سـوء فـلـو عـالجـتـه بـالـقـدح زالا

فـقـلـت الـربّ مختـبري بهـذا فـإن أصـبر أنـل مـنـه الجـلالا [1]

وإن أجـزع حـرمـت الأجـر مـنـه وكـان خصـيصـتي مـنـه الـوبـالا

وإنّي صـابـر راض شـكـور ولسـت مـغـيّرا مـا قـد أنـالا

صـنـيـع مـلـيـكـنـا حسـن جمـيـل ولـيـس لصـنـعـه شـيء مـثـالا

وربّي غـير مـتّصـف بحـيـف تـعـالى ربّـنـا عـن ذا تـعـالى

وتوفي سـنة خمس وعشـرين وخمسـمائة عن ثمان وثمانين سـنة ، ودفن بجنب ولده ، وقبراهما هنالك بجنب المسجد يزورهما الصالحون وغيرهم ، والله أعلم.

ولم نقم في هذه الجزيرة إلّا نصـف نهار حتى عدنا إلى اقتحام التيار واسـتلام ذلك الفلك السـيّار. فسـرنا والبحر المديد دائرته مختلفة ، ولم نر مع وافر دوائره دائرة مؤتلفة ، والسـفينة قد اشـتملت بشـراعها الصـماء ، وتشـامت [2] وهي كما قيل : أنف في السـماء وأسـت في الماء ، فلم نزل كذلك حتى جئنا (بندر الحديدة) ، وقد أبدى فينا السـأم أيده ، فألفيناها عامرة بالخيرات ، غامرة بالميرات ، وفيها من أنواع الرطب ما يلهي عن اسـتماع الخطب ، ومن أقسام النّوار ما يسلّي الفرزدق عن النّوار ، فعلمنا أنّ تصغيرها ليس للتحقير ، بل يعذب اسم الشيء بالتصغير ، فأقمنا بها ثلاثة أيام حتى قضينا منها المرام.

ثم أقلعنا منها للمسير مستبشرين بأن لم يبق من التّعب إلّا اليسير ، وإن

---

(1) في ك (النوالا) مكان (الجلالا) والمثبت موافق لرواية اليافعي.

(2) يقال : اشتمل الصمّاء ، إذا جلّل جسده كلّه بالكساء. تشامت : تظاهرت بالشمم ، أي الارتفاع.

كنّا مع أعظم من هذا على وعد ، ولكن المشـــيئة لله فيما بعد. فرحنا نكابد الأهوال ، ونقاسي حؤول الأحوال ، إلى أن أسفر الصبح عن ثاني شهر رمضان المعظّم فوافينا (المخا) [1] معدن الأمن والرّخا ، وألفيناها عارية إلّا من الإيناس. خالية إلّا من كرام الناس ، فكأن أوّل من تلقّانا فيها ببشره ، وهفا علينا بطيب خلقه ونشره : واليها الباسق في دوحة النبوّة غصنه النضير ، المشرق في فلك الفتوّة بدره المنير ، الخافقة رايات عزّه وسعده ، الثابتة آيات فخره ومجده ، ذو الأخلاق التي دلّت على طيب الأعراق ، والمكارم التي انعقد عليها الإجماع والاتفاق ، من لم يزل العزّ الباذخ به يهيم مولانا السيد زيد بن علي بن ابراهيم [2] :

لـه صـــحـائـف أخـلاق مـهـذّبـة منـهـا العـلـى والنّـهـى والمجـد ينـتسـخ

لا زالت الأقلام لمدائحه ناظمة ناثرة ، وآيات فواضله في سائر الأقطار سارية وسائرة. ولعمري أن الأطناب في نشـر مزاياه الشـريفة عليّ دين ، ولكن لسـت بقائل فيه إلّا ما قاله نادرة بأخرز [3] في السيد الرئيس ذي المجدين [4].

(لو ذهبت أصـــف ما تلقّانا به من تشـــريف وتقريب ، وأهّلنا من تأهيل وترحيب ، لخرجت من شرط هذا الكتاب ، واستهدفت من ألسنة النقّاد لسهام العناد. أمّا الأدب فمنه وإليه ، ومعوّل أرباب الصناعة عليه ، وأمّا الخلق فكما يقتضيه الإسلام ، وكأنّه منتسخ من أخلاق جدّه **عليه‌السلام** ، وأمّا الجاه فمسلّم له غير منازع فيه ، وأمّا المحلّ فسلّم لا يسلم من الزلل مرتقيه ، وأمّا السياسة فقد القت إليه الأرسان ، وأمّا الرئاسة فقد فرشت له رفرفها الخضر وعبقريّها الحسان).

---

(1) المخا : من مدن اليمن الساحلية ، سيعود المؤلف إلى ذكرها ووصفها.

(2) ترجم له المؤلف في سلافة العصر / 477 ، وعنه نقل المحبي في نفحة الريحانة 3 / 410 ، والشرواني في حديقة الأفراح / 13 كان حيا سنة 1068 هـ.

(3) هو أبو الحسن الباخرزي (علي بن الحسن) صاحب دمية القصر المتوفى سنة 467 هـ ـــ (أنوار الربيع 1 / 81).

(4) هو أبو القاسم علي بن موسى الموسوي. ترجم له الباخرزي في الدمية 2 / 169 كان حيا سنة 468 هـ.

وهذا مكان غرر من كلماته ، ودرر من حصياته تلوح عليهما سيماء النبوّة ، وتحيط بحواليهما سيماء المروّة.

أخبرني شيخي الأفضل ، وأستاذي الأكمل ، مجمع الفضائل والآداب ، ومرجع الأفاضل في كلّ باب ، الشيخ جعفر كمال الدين البحراني [1] بلّغه الله غايات الأماني ، قال : اجتمعت بالسيد المنوّه باسمه في البندر المذكور سنة ثمان وستين . فأنشدني لنسه :

ولي عتب على قوم أساءوا معاملتي وساموني اغترارا
جنوا عمدا وما راعوا حقوقا وما اعتذروا وساموني صغارا
سأضرب عنهم صفحا وأغضي مخافة أن أقلّدهم شنارا
ولو أنّي ركبت متون عزمي إذن لسقيتهم مرّا مرارا
ولو أنّي هممت بأخذ حقّي لولّوني ظهورهم فرارا

قلت : وعندي أنّ الملح الأجاج لو مزج بمجاج هذه الأبيات لعاد عذبا ، والسيف الكهام لو سنّ على هذا الكلام لصار عضبا.

قال شيخنا المذكور : وسألني أن أقول شيئا يناسب المقام فقلت :

لك العتبى ومنك الصّفح يرجى إذا لم تستبن منهم وقارا
وإن هم قد جنوا عمدا وجهلا وما راعوا وما طلبوا اعتذارا
فإنّ البدر لا يثنيه شيء من العجما ضباحا أو جؤارا [2]
وأنت على أذاهم ذو اقتدار عليّ إن تسامى أو تبارى
فطب نفسا فكلّهم ذليل لعزّتك اختيارا واضطرارا

---

(1) توفي جعفر كمال الدين بحيدر آباد سنة 1088 ه (لؤلؤة البحرين / 70 ، وأنوار البدرين / 128 ، وأعيان الشيعة 16 / 61).

(2) الضباح (بالضم) صوت الأرنب والثعلب والبوم. في سلافة العصر / 448 (صياحا) مكان (ضباحا). الجؤار : الاستغاثة ، ورفع الصوت بالدعاء.

ومما يدوّن من عظيم حلمه ، وحســـن خلقه وخيمه [1] ما شـــاهدته منه ، وذلك أنّي كنت مسـايرا له يوما في موكبه ، فاعترضـه رجل مصـري من زهاة الناس ، فدنا منه حتى أخذ بركابه وقال : أيها الوالي ، أنا منذ أربعة أشـــهر في بلدك ولم ينلني منك شـــيء ، ولم تتفقد لي حالا ، فقال الســـيد : وما علمي أيّها الرجل بمكانك ، ولم تتعرف إلينا فنعرفك ، ولا جئتنا فنصـــلك ، على أنّي لم أرك إلّا في ســـاعتي هذه ، فقال الرجل : والله ما ظننت أنّ مثلك لا يعرف الداخل ببلده والخارج منها ، وإن لم تتلاف الأمر طلعت إلى الإمام وشـــكوتك إليه. وزاد في الكلام حتى أفحش ، والسيد مع ذلك صاغ إليه ، مبتسم من كلامه. فلما انتهى إلى بيته استدعاه ووصله بشيء وصرفه.

وهذا مسـتحيل الكون في زماننا معدوم مفقود ، بل الضـدّ منه هو ما تحلّى به رؤسـاء العصر وأظهروه من أخلاقهم ، والله الموفق.

ومما جاء من تحلّم الرعاة والرؤسـاء وكظمهم عن الزهاة السـفهاء ما يحكى : أنّ طائفة من الناس كانوا على عهد المعتضـــد [2] يجتمعون بباب الطاق [3] ويجلســـون في دكان شـــيخ صيدلاني ، ويخوضون في الفضول والأراجيف ، وفنون الأحاديث ، وفيهم قوم سراة ، وكتّاب ، وأهل بيوتات ، ســوى من يســترق الســمع منهم من خاصــة الناس. وقد تفاقم فســادهم وإفسادهم ، فضاق المعتضد ذرعا ، وامتلأ غيظا ، وحرج صدره ، ودعا بعبيد الله بن سليمان [4] ورمى بالرفيعة [5] إليه وقال : أنظر فيها وتفهّمها. ففعل وشـاهد من تربّد وجه المعتضـد ما أزعج ساكن صدره ، وشرّد إلف صبره وقال : قد فهمت

---

(1) الخيم (بالكسر) : السجية ، والطبيعة.

(2) المعتضد ، هو الخليفة العباسي واسمه حمد بن طلحة. توفي سنة 289 ه (العالم الإسلامي 2 / 67).

(3) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد القديمة.

(4) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي وزير المعتضد توفي سنة 288 ه (الأعلام 4 / 349).

(5) الرفيعة : القصة المرفوعة إلى الحاكم وهي كالعريضة. في ك ، وأ (الرقعة).

يا أمير المؤمنين. قال : فما الدواء؟ قال : تتقدم بأخذهم ، وصـــلب بعضـــهم ، وإحراق بعضــهم ، وتغريق بعضــهم ، فإن العقوبة إذا اختلفت كان الهول أشــدّ ، والهيبة أتمّ ، والزجر أنجع ، والعامة بها أخوف. فقال المعتضــد : والله لقد برّدت لهب غضــبي بقســوتك هذه ، ونقلتني إلى اللّين بعد الغلظة ، وحضـضـت على الرفق من حيث أشـرت بالخرق ، وما علمت أنّك تســـتجيز هذا في دينك وهديك وحلمك. ولو أمرتك ببعض ما رأيت بعقلك وحزمك لكان من حسن المؤازرة ومبذول النصيحة ، والنظر للرعيّة الضعيفة الجاهلة أن تسألني الكفّ ، وتبعثني على الحلم ، وتحبّب إليّ الصفح ، وترغّبني في فضل الأغضاء على هذه الأشياء ، وقد ســـاءني جهلك بحدود العقاب ، وبما يقابل به الجرائر فيما يكون كفاء للذنوب ، ولقد عصـيت الله بهذا الرأي ، ودلّلت على قسـوة القلب ، ورقّة الديانة. أما تعلم أنّ الرعيّة وديعة الله عند سلطانها ، وأنّ الله سائله عنها ولا يسألها عنه. ألا تدري أنّ أحدا من الرعيّة لا يقول ما يقول إلّا لظلم لحقه ، أو لحق جاره ، أو داهية نالته أو نالت صـاحبا له. وكيف نقول لهم كونوا صالحين أتقياء مقبلين على معائشكم ، غير خائضين في حديثنا ، ولا سائلين عن أمرنا والعرب تقول في كلامها : غلب علينا السلطان فلبس فروتنا ، وأكل خضرتنا ، وحقّ المملوك على المالك معروف. وإنّما يحتمل السـيّد على ضـروب تكاليفه ، ومكاره تصـاريفه إذا كان العيش في كنفه واسعا ، والأمل فيه قويّا ، والصدر عليه باردا ، والقلب معه ساكنا. أتظنّ أنّ العمل بالجهل ينفع ، والعذر به يتّسع؟ والله ما الرأي ما رأيت ، ولا الصواب ما ذكرت.

وجّه صـاحبك ، وليكن ذا خبرة ورفق ، ومعروفا ببرّ وصـدق حتى يتعرّف حال هذه الطائفة ، ويقف على شأن كلّ واحد منها في معائشه ودخله ، وقدر ما هو متقلّب فيه وإليه ، فمن كان منهم يصلح لعمل فعلّقه بعمل ، ومن كان سيّيء الحال فصله من بيت المال بما يعيد نضـــرة حاله ، ويفيد طمأنينة باله ، ومن لم يكن من هذا الرّهط ، بل هو غنيّ ومكفيّ وإنما يخرجه إلى دكان هذا الرجل البطر والزهو فادع به ، وانصـــح له ولاطفه ، وقل له : إن لفظك مسموع ، وكلامك مرفوع ، حتى [إذا] وقف أمير المؤمنين على كنه ذلك (لم

تجدك) [1] إلّا في عرصة المقابر ، فاستأنف سيرة تسلم بها من سلطانك ، وتحمد عليها عند أخوانك ، وإيّاك أن تجعل نفسك عظة لغيرك بعد أن كان عظة لك. ولولا أنّ الأخذ بالجريرة الأولى مخالف للسيرة المثلى لكان ما تراه تودّ لو أنّك تسمعه قبل أن تراه.

فإنّك يا عبيد الله إذا فعلت ذلك فقد بالغت في العقوبة (وملكت طرفي المصلحة) [2] وقمت على سواء السياسة ، ونجوت من الجور والمأثم في العاقبة.

قال : وفارق الوزير حضرة الخليفة ، وعمل بما أمره به على الوجه اللّطيف ، فعاد الأمر يرفّ بالسلامة العامة ، والعافية التامة.

وتقدّم إلى الشيخ الصيدلاني برفع حال من يقعد عنده حتّى يؤاسى إن كان محتاجا ، أو يصرف إن كان متعطّلا ، أو ينصح إن كان غفلا.

وهذا من أجلّ الكرم والحلم ، وأعظم التدبير والحزم.

وفسّر عكرمة [3] قوله عزوجل (وَسَيِّداً وَحَصُوراً)[4] بأن السيّد هو الذي يغلب غضبه حلمه ، وجهله علمه. ولما نزل قوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ)[5] قال جبرئيل (ع) : يا محمد ، هو أن تحلم عمّن شتمك ، وتعفو عمّن ظلمك ، وتعطي من حرمك.

وكان الواثق في الخلفاء من المشتهرين بالحلم ، المنتشر ذكرهم بالعفو وكظم الغيظ.

---

(1) في ك (فأخشى أن لا أجدك).

(2) في ك (وسلكت طريق المصلحة).

(3) عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ، من المتقدمين في علم التفسير. توفي سنة 105 هـ (الأعلام 5 / 43).

(4) سورة آل عمران / 39.

(5) سورة الأعراف / 199.

كان المسدود [1] المغني هجاه ببيتين كانا معه في رقعة ، وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه ، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنّها رقعة الحاجة ، فقرأها الواثق فإذا فيها :

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين
أنا طبل له شقّ فيا طبلا بشقّين

وكان في عين الواثق نقطة بيضاء ، فلما قرأ الرقعة قال للمسدود :

(غلطت بين الرقعتين فاحذر أن يقع مثل هذا عليك) [2] وما زاد على هذا القول شيئا ولا تغيّر له عمّا كان عليه.

وفي بعض الخطب : ابسطوا أعنّة حلمكم واطلقوها ، واحبسوا نوازي [3] غضبكم وأوثقوها ، واحسنوا معاشرة من يجاملكم ويواصلكم ، واتركوا معاشرة من يداخلكم ويغايلكم ، ولا تمرّوا في الغيظ على غلوائكم ، ولا تظهروا على أحد صولة جوركم واعتدائكم ، واثبتوا على الكظم إن وجدتم قدما ، واقصدوا في المشئ إن كان طريقكم أمما ، وتجافوا عن ذنوب الأصدقاء ، وتصاموا عن الكلمة العوراء ومما أنشد في هذا المعنى

وعوراء جاءت من أخ فرددتها بسالمة العينين طالبة عذرا
ولو أنّه إذ قالها قلت مثلها ولم أعف عنه أورثت بيننا غمرا [4]
فأغضيت عنه وانتظرت بها غدا لعلّ غدا يبدي لمنتظر أمرا
لا نزع حقدا كامنا في فؤاده وأقلم أظفارا أطال بها حفرا

وما أحسن هذا الوصف [5] :

---

(1) هو أبو علي الحسن الملقب بالمسدود لانسداد أحد منخريه. بغدادي متقدم في الغناء (الأغاني 20 / 250).

(2) في الأغاني (غلطت في الرقعتين فهات الأخرى وخذ هذه ، واحترز من مثل هذا).

(3) النوازي ، جمع النازية : الحدّة والبادرة.

(4) الغمر (بالكسر) : الحقد.

(5) الشعر لودّاك بن ثميل المازني ، يراجع سمط اللآلي للبكري 1 / 544.

وأحـلام عـاد لا يخـاف جـلـيسـهـم وإن نـطـق الـعـوراء غـرب لسـان [1]

إذا حـدّثوا لم يخش سـوء اسـتـمـاعهم وإن حـدّثـوا أدّوا بحسـن بـيـان

رجع : وكان السـيد المنوّه باسمه واليا على المخا من جهة إمام اليمن المتوكل على الله اسماعيل ابن القاسم الزيدي الحسني [2] وهو محتو على جميع اليمن في زماننا هذا غير منازع ، وينتهي نسبة إلى ابراهيم طباطبا بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي (ع). وقد رأيت نسبه مثبتا بخط يحيى بن الحسـين بن المؤيد أخي الإمام اسماعيل المذكور ، وها هو قد نقلته منه بنصّه فهو :

اسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الملقّب بالأشل بن الإمام الداعي إلى الله [3] المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام الأعظم نجل آل الرسـول القاسـم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه.

وفي العمدة [4] : أنّ يحيى الهادي بن الحسين الحافظ خطب له بمكة سبع سنين ، وكان قد خرج باليمن أيام المعتضد سنة ثمانين ومائتين ، وهذا يدلّ على بطلان ما نقلنا فيما تقدم عن مفتاح الخير من أنّه لا يملك الحرمين إلا ملك مصر.

وكان شيخنا الشيخ جعفر [5] اجتمع بالإمام اسماعيل المذكور ، فأنشده

---

(1) البيتان في أمالي القالي 1 / 238 ، والزهرة 2 / 119 ، ولم يرد في سمط اللآلي سـوى البيت الأول وفي روايتهما اختلاف بسيط.

(2) توفي الإمام اسماعيل بن القاسم سنة 1087 هـ (البدر الطالع 1 / 146).

(3) في البدر الطالع 1 / 205 يأتي بعد الداعي إلى الله (يوسف الأكبر بن الإمام المنصور ...).

(4) يريد عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. تراجع الصفحة 145 منه.

(5) هو الشيخ جعفر بن كمال الدين ، وقد تقدم التعريف به.

الإمام قول الشـيخ تقيّ الدين ابن دقيق العيد [1] في مدح اليمن ، وكتبه له بخطّه في تذكرته ، وهو :

تجـادل أربـا الـفضـائـل إذ رأوا بضـاعتهم موكوسـة الحظّ في الثّمن [2]

وقـالوا عرضـناهـا فلم نلف راغبـا ولا من لـه في مثلهـا نظر حسـن [3]

فـلـم يـبـق إلّا رفضـهـا واطّـراحـهـا فقلـت لهم لا تعجلوا السّـوق في اليمن

قال مولانا الشيخ : فقلت مادحا له لما رأيت من شغفه بهذه الأبيات بقولي وفيه لزوم ما لا يلزم :

نعم قـد وجـدنـاهـا فـإن كنـت راغبـا فـقـرن أمـير المـؤمـنـين أبي الحسـن

أليف النّدى بحر الهدى كاشـف الصـدى ومصـقع أربـاب البلاغـة واللّسـن [4]

وذاك الـذي قـد سـيط بـالقلـب حبّـه كمـا سـيط حـبّ النّوم بـالعين والوسـن

فائدة : اليمن حدّه مما يلي مكة : الموضع المعروف بطلحة الملك سبع مراحل ، ومن صنعاء إلى عدن وهو آخر عمل اليمن تسع مراحل [والمرحلة من خمسة][5] فراسخ إلى ستة ، والحد الثالث [6] من حكم ، وجا [7] إلى ما بين مفاوز حضـرموت وعمان عشـرون مرحلة ، ويلي الوجه الثالث بحر اليمن وهو

---

(1) هو قاضـي القضـاة تقي الدين محمد بن علي المعروف بابن دقيق العيد ، توفي سـنة 702 هـ. يراجع (أنوار الربيع 2 / 273).

(2) موكوسة : منقوصة.

(3) في الديوان ، والطالع السعيد / 595 (طالبا) مكان (راغبا).

(4) الأصوب (أليف الهدى بحر الندى). في ك (أليف الندى ري الصدى قمر الهدى).

(5) في الأصول (والمراحل من خمس فراسخ) وهو من أخطاء النساخ.

(6) في مروج الذهب 2 / 89 (الحدّ الثاني).

(7) في المصـدر المذكور (من وادي وحا) مكان (من حكم وجا). وحكم (بالتحريك) مخلال باليمن سمي باسـم الحكم من سعد العشيرة. (جا) : لم أجد له ذكرا.

بحر القلزم والصين والهند. فجميع ذلك عشرون مرحلة في ست عشرة مرحلة ، كذا في مروج الذهب للمسعودي. وفي بغية المستفيد في أخبار زبيد [1] : اليمن يمنان ، أعلى وأسفل ، فالأعلى قصبته صنعاء وهي إحدى جنان الأرض وقصرها غمدان من أعظم العجائب الذي عمّره سام بن نوح عند بنائه صنعاء ، وأمّا اليمن الأسفل فقصبته زبيد. انتهى ملخصا.

قلت : وقد اختلف في العلّة التي من أجلها سمّي اليمن يمنا ، فقيل : ليمنه ، وقيل : لأنه يمين الكعبة ، وقيل غير ذلك ، وهو خلاف لا ثمرة فيه.

وأما غمدان فقد اختلف في بانيه ، وفي القاموس (غمدان) كعثمان : قصر في اليمن بناه (ليسرح) [2] بأربعة وجوه : أحمر ، وأبيض ، وأصفر ، وأخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعا. وقيل أنّه من عمل الجنّ لسليمان (ع).

وفي مروج الذهب : إنّ بانيه الضحّاك ، وهو البيت الخامس من البيوت المعظّمة المتخذة على أسماء الكواكب. قال : وكان الضحّاك بناه على اسم الزهرة ، وخرّبه عثمان بن عفان ، فهو في وقتنا هذا خراب قد هدم فصار تلّا عظيما كأنّه لم يكن. وكان أسعد بن يعفر [3] صاحب قلعة كحلان ، وصاحب مخاليف اليمن أراد أن يبني غمدان فأشار عليه يحيى بن الحسين الحسني الرسّي [4] أن لا يعرض لشيء من ذلك ، إذ كان بناؤه على يد غلام يخرج من بلاد سبأ وأرض مأرب يؤثر في صقع هذا العالم تأثيرا عظيما.

وقد قيل : إنّ ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في هذا البنيان بالليل ، واشتعلت الشموع رأى الناس ذلك على مسيرة أيّام كثيرة والله أعلم. وهو الذي

---

(1) مؤلفه : أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الديبع الشيباني المتوفى سنة 944 هـ (معجم المطبوعات 1 / 150 ، ومعجم المؤلفين 5 / 159).

(2) كذا في الأصول ، وفي حاشية القاموس وتاج العروس (ليشرخ).

(3) هو أسعد بن يعفر الحوالي ملك اليمن توفي سنة 332 هـ (الإكليل 2 / 184).

(4) إمام زيدي توفي سنة 298 هـ (الأعلام 9 / 171).

عناه الشاعر [1] بقوله :

اشـــرب هنيـا عليـك التـاج مرتفقـا في رأغـمـــدان دارا مـــنـــك محـــلالا

ومن الآثـار الغريبـة بـاليمن عرش بلقيس ، قـال في معجم البلـدان : حـدثني الإمـام الحافظ أبو الربيع سـليمان بن الريحاني [2] قال : شـاهدت موضـعا بينه وبين ذمار يوم ، وقد بقي من آثاره ســـتة أعمدة رخام عظيمة ، وفوق أربعة منها أربعة ، ودون ذلك مياه كثيرة جارية وحفائر ، ذكر لي أهل تلك البلاد أنه لا يقدر أحد على خوض تلك المياه إلى تلك الأعمدة ، وأنّه ما خاضـــها أحد إلّا عدم. وأهل تلك البلاد متفقون على أنّه عرش بلقيس. انتهى.

قلت : إن صحّ ذلك فلعلّ عرش بلقيس كان يوضع على هذه الأعمدة ، وإلّا فوصفه في التفاسير غير هذا الوصف ، ولم يقل أحد أنه كان مبنيّا أو مصنوعا من رخام ، بل المروي أنّه كان من فضّـة وذهب مرصّـعا بالياقوت والجواهر. وفي الكشـف والبيان [3] للثعلبي : إنّ عرشها كان سريرا ضخما حسنا ، وكان مقدمة من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر ، والزمرّد الأخضر ، ومؤخره من فضة مكلّل بألوان الجواهر ، وله أربع قوائم : قائمة من ياقوت أحمر ، وقائمة من ياقوت أصفر ، وقائمة من زمرّد أخضر ، وقائمة من درّ أبيض ، وصفائح السرير من ذهب. انتهى.

وما أظن هذا خفي على صاحب المعجم لكنه نقل كما سمع على جاري

---

(1) الشعر لأبي الصلت الثقفي ، وقيل لولده أمية (العقد الفريد 2 / 23). تراجع ترجمة أمية ومصادرها في أنوار الربيع 3 / 35).

(2) في ع (سلمان) مكان (سليمان) وفي معجم البلدان . مادة عرش بلقيس . (سليمان بن الريحان).

(3) الكشف والبيان : كتاب في التفسير لأبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة 427 وفي رواية 437 هـ (معجم المؤلفين 2 / 60). وقال ابن خلكان 1 / 61 نقلا عن السمعاني أنه يقال له الثعلبي ، والثعالبي. أقول : وقد وهم صاحب كشف الظنون فنسب الكتاب إلى الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن أحمد.

عادته في كتابه. وكانت اليمن هي مقر ملوك التبابعة وغيرهم من ملوك العرب ، وهي من الإقليم الثالث ، وأسلم أهلها سلما على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وورد بفضلها كثير من الأخبار والآثار ، ووصفها بعض العرب فقال : تضعف الأجسام ، وتقوى الأفهام. لأهلها هم كبار ، ولهم أحساب وأخطار ، مغايضه [1] خصبة وأطرافه جدبه ، في هوائه انقلاب ، وفي سكانه اغتيال [2] ، ولهم قطعة من الحنين ، وشعبة من الرقّة ، وفقرة من الفصاحة.

وكانت لشيخنا المذكور مع إمام اليمن اسماعيل المقدّم ذكره مناظرات ، ومنها الكلام على المنزلة بين المنزلتين. فإن اعتقاد الزيدية والمعتزلة : أنّ الفاسق يخرج بفسقه عن حدّ الإيمان ولا يصل إلى مرتبة الكفر. وهذه المقالة أول من ذهب إليها واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزّال [3]. قال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي : إن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري ، فلما ظهر الاختلاف وقال الخوارج بتفكير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، منزلة بين منزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد [4] فقيل لهما ولأتباعهما : معتزلون ، وألّف مولانا الشيخ في الردّ عليهم رسالة.

ومنها أنّه سأله عن إمامة نفسه وقال : ألست بإمام حق؟ قال : لا. والزيدية يجوزون أنّ كلّ من يكون عالما زاهدا شجاعا خرج بالسيف يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن ، أو من أولاد الحسين. وعلى هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وابراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن

---

(1) مغيض الماء : مدخله في الأرض ، ومجتمعه. جمعه مغايض.

(2) الاغتيال . هنا . الكثرة والكثافة.

(3) واصل بن عطاء رأس المعتزلة ، وأحد البلغاء المبرزين توفي سنة 131 هـ (معجم المؤلفين 13 / 195).

(4) عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة وأحد الزهاد المشهورين توفي سنة 144 هـ (الأعلام 5 / 252).

اللّذين خرجا في أيام المنصور وقتلا [1]. وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان الخصال المذكورة ، ويكون كلّ واحد منهما واجب الطاعة.

وممن كان على بيعة محمد الإمام أبو حنيفة [2] وكان من شيعته فرفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد ، وقيل أنّه أرسل ابنه حمادا [3] إلى ابراهيم وبعث معه إليه بأربعة آلاف درهم ، وكان يفتي بنصرته وإعانته ، وكتب إليه كتابا يعتذر فيه عن عدم السير إليه بنفسه وقال : لولا ما يمنعني من الوصول إليك للحقت بك وأعنتك ، فإذا لقيت القوم ، وظفرت بهم فافعل (كما فعل أبوك [4]) في أهل صفين : أقتل مدبرهم ، واجهز على جريحهم ، ولا تفعل كما فعل في أهل الجمل ، فإن القوم لهم فئة.

فظفر بعضهم بالكتاب ، وأوصله إلى المنصور ، فلما استبان ما فيه تغيّر عليه وحبسه وآذاه حتى مات في الحبس سنة خمسين ومائة.

والزيدية أصناف ثلاثة : جارودية ، وسليمانية ، وبترية ــ والصالحية منهم ــ ، والإمام اسماعيل المذكور من الجارودية. وكلّ فرقة منهم تخالف الأخرى في مسائل تفرّدت بها ، ولسنا بصدد بيان ذلك [5].

---

(1) قتل محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ولدا عبد الله المحض سنة 145 هـ. الأول في المدينة المنورة والثاني بباخمرا في العراق (الأعلام 7 / 90 ، و 1 / 41).

(2) هو الإمام الأعظم النعمان بن ثابت. توفي سنة 150 هـ (الأعلام 9 / 4).

(3) هو أبو اسماعيل حماد ابن الإمام أبي حنيفة المتقدم ذكره. توفي سنة 176 (وفيات الأعيان 1 / 447).

(4) رواية غريبة ، إذ أن الأخبار متواترة على أنّ الإمام عليا لم يجهز على جريح ، ولم يقتل مدبرا ولا فارا في كل حروبه ، وكان يوصي أصحابه بذلك. قال نصر بن مزاحم في كتاب صفين / 519 (وكان علي لا يجهز على الجرحى ولا على من أدبر بصفين). ولعل أصل الخبر (فافعل [لا كما] فعل أبوك في أهل صفين).

(*) والذي بعد هذا الكلام ــ ويستغرق زهاء ست صفحات ، وثلاثة وعشرين هامشا ــ جاء معقودا على خلاف طائفي ، وقد استغنينا عنه تمشيا مع النهج الذي التزمناه ، وهو ــ بأية حال ــ لن يسبب أية خسارة لهذه الرحلة النافعة. [المورد]

وزيد بن عليّ هو الأب التاسع والعشرون من أجدادنا ، وبه يتصل نسبنا هكذا :

فأنا علي بن أحمد نظام الدين بن محمد معصـــوم بن أحمد نظام الدين بن ابراهيم بن سلام الله ابن مسعود عماد الدين بن محمد صدر الدين بن اسحاق عزّ الدين بن علي ضياء الدين بن عربشاه فخر الدين بن أمير عزّ الدين أبي المكارم بن أميري خطير الدين بن الحسن شـرف الدين أبي علي بن الحسـين أبي جعفر العزيزي بن علي أبي سـعيد النصـيبيني بن زيد الأعشـم أبي ابراهيم بن علي أبي شـجاع الزاهد بن محمد أبي جعفر بن علي أبي الحسـين بن جعفر أبي عبد الله بن أحمد نصـير الدين السـكين النقيب بن جعفر أبي عبد الله الشـاعر بن محمد أبي جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين أبي عبد الله سيّد الشهداء بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب **عليهم‌السلام**.

أولـئـك آبـائـي فـجـئـني بمـثـلـهـم إذا جمـعـتـنـا يـا جـريـر المجـامـع [1]

وكان أول من انتقل من أجدادنا إلى شـيراز المحروسـة : علي أبو سـعيد النصـيبيني **رحمه‌الله** ، وأوّل من انتقل إلى مكة المشـرفة من شـيراز : السـيد محمد معصـوم وذلك بعد انتقال عمّه وختنه [2] الأمير نصير الدين حسين إليها. وكان الأمير نصير الدين إماما فاضلا مجتهدا مبرزا في العربية ، غالبا عليه الزهد والصـــلاح ، يقال أنه لم يمس بيده درهما ولا دينارا قط توزعا وعزوفا من نفسه عن الدنيا ، وكان يكتب جميع ما يعمله في اليوم ، فإذا كان الليل نظر فيه ، فإن كان صـــالحا حمد الله عليه ، وإن كان غير ذلك اســـتغفر الله منه ، وكان لا يؤرّب أحدا من خدمه في الحرم. وفيه يقول الفاضـل الأفندي محمد بن حسـن الشـهير بدراز [3] المكي ، وكتبه إليه في صدر كتاب :

---

(1) البيت للفرزدق (همام بن غالب) المتوفى سنة 110 هـ (أنوار الربيع 2 / 35).

(2) الختن (محركة) كل من كان من قبل الزوجة ، أو الزوج كالأب والأخ ، ويريد به : أبا زوجته.

(3) هو القاضي محمد جمال الدين بن حسن دراز المكي. كان حيا سنة 1012 هـ (سلافة

أمــولاي يــا نجــل خــير الــبرايــا ومــن في الــعــلــوم إلــيــه المصـــــير
أبــوك غــيــاث لــديــن تســـــامــى وأنــت لنــا صـــرت نعم النّصـــير [1]

وفيه يقول أيضا :

أنــت نــعــم الــنّصـــــير في كــلّ نــاد أنــت نــعــم المــولى لــكــلّ الــعــبــاد
ذو الأيــادي والأيــد أنــت جمــيــعــا ســـــيــد الــنــاس أوحــد الــعــبّــاد [2]
ولـــك الإرث في الـــولاء بحـــقّ في رقــاب الــورى لــيــوم الــتّــنــاد
لمــقــال الــنــبيّ في مــاء خــمّ أنــت مــولى لمــؤمــن ذي انــقــيــاد [3]
فــتــهــادى بــالــطّــوع قــوم فــفــازوا وتمــادى الــغــبيّ بــالانــتــقــاد [4]
ثم قــال الــنــبيّ وال عــلــيّــا يــا إلهــي فــكــان حــتــف المــعــادي [5]
خــصّ بــالــلّــعــن مــن تــولّى عــتــوّا وحشـــــاه مــقــطّــع بــالــعــنــاد
شـــــرف شـــــامــخ ومجــد وفــيــع وافــتــخــار يــذيــل غــلــب الهــوادي [6]
كــنــت في الصّـــــلــب إذ دنــا فــتــدلّى كــنــت في الصّـــــفّ في مــقــرّ الجلاد [7]
ثمّ مــن قــبــل ذا أجــبــت نــداء لألســـــت الإلــه في كــلّ واد [8]
مــن يــبــاريــك في السّـــــيــادة غــرّ مــا لــه في الــفــهــوم من مســـــتــفــاد [9]

العصر 107 ، ونفحة الريحانة 4 / 94).

(1) في ك (وأنت له بعد نعم النصير).

(2) في ك (لعمري) مكان (جميعا).

(3) في ك (للمؤمن المنقاد) وفي سلافة العصر (لمؤمن ذي قياد).

(4) في ك (وتمادى بكرهه المتمادي).

(5) في ك (يا إلهي ومن يعاديه عادي).

(6) يذيل : يهين. غلب الهوادي : غلاظ الرقاب.

(7) في ك (وعلى الصف في مقر الجلاد).

(8) في ك وأطعت الإله في كل ناد.

(9) في ك (عزا. عاد في حينه بلا مستفاد).

أنت أنت المعروف في كلّ فضل أنت صدر الإصدار والإيراد
وسوى بيتك المنكّر جهلا وسواك الضّنين بالأمداد
فابق واسلم لك السّلامة دار والمثاني من الثّنا في ازدياد [1]

وتوفي الأمير نصير الدين سنة ثلاث وعشرين وألف بالطائف المأنوس ونقل إلى مكة المشرفة ودفن فيها.

وهنا فائدة سنيّة : تتعلق بنسبنا أحببت التنبيه عليها حيث انجرّ الكلام إليها وهي أني قرأت على ظهر كتاب من كتب الوالد بخط السيد صدر الدين محمد الواعظ بن منصور غياث الدين ابن محمد صدر الدين بن منصور غياث الدين ـ جدنا المذكور في عمود النسب ـ : إنّ أبا الحسن وأبا زيد علي بن محمد الخطيب الحماني بن جعفر أبي عبد الله الشاعر أحد أجدادنا. قال : وهو جدي وأدخله في النسب هكذا.

قال : فأنا صدر الدين محمد الواعظ بن ناصر الشريعة منصور بن محمد صدر الدين بن منصور غياث الدين بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن اسحاق بن علي عربشاه بن أمير انبه بن أميري بن الحسن بن الحسين العزيزي بن علي النصيبيني بن زيد الأعشم بن علي ـ المحكي عنه ، يعني الحماني ـــ بن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب **عليهم‌السلام**.

هذا كلامه وأقول : ليس علي بن محمد الحماني هذا داخلا في عمود نسبنا ، بل ينتهي نسبه إلى زيد الشهيد هكذا.

هو علي بن [محمد] الخطيب بن جعفر أبي عبد الله الشاعر ـ الذي هو أحد أجدادنا ـ بن محمد بن محمد بن زيد الشهيد.

وإنّما أوقع السيد صدر الدين في هذا الغلط تشابه الأسماء ، فإن جعفرا جد السيد علي الحماني المذكور الذي توهم صدر الدين أنّه ابن أحمد

---

(1) في ك (وقف) مكان (دار).

السكين ، هو أبو أحمد السكين ، لكن اشتبه عليه بابنه ، فإن ابنه أيضا اسمه جعفر كما مرّ في النسب ، ويتّضح ذلك بأن محمد بن زيد الشهيد وهو أصغر بني أبيه له عدّة بنين منهم محمد ابنه ، والعقب منه في أبي عبد الله جعفر الشاعر وحده ، فأعقب أبو عبد الله جعفر هذا من ثلاثة بنين : محمد الخطيب الذي هو أبو السيد علي الحماني ، وأحمد السكين الذي هو جدنا ، والقاسم ، فيكون السيد علي الحماني إبن أخي أحمد السكين لا إبن ابنه ، فأحمد السكين عمه لا جدّه.

وأيضا ما تمّ للسيد صدر الدين إدخال السيد علي الحماني في النسب حتى أسقط منه أبا الحسين عليا الذي هو بين أبي جعفر محمد ، وبين جعفر بن أحمد السكين وهو غلط فاحش.

ولقد مرّ على ذلك برهة من الزمان ، ولم يتنبّه له أحد من أجدادنا فينبّه عليه. وقد سمعت الوالد مرارا يقول : إن السيد علي الحماني جدّنا ، اعتمادا منه على كلام السيد صدر الدين الواعظ ، فذكرت له أن هذا غلط منه.

وكان السيد علي الحماني المذكور [1] شاعرا مفلقا نبيلا مفتيا مدرسا نسّابا ، لم يكن في زمنه من يتقدمه في الرئاسة ، واشتهر بالشعر ، وشعره في الطبقة العليا من الحسن والرقّة ، عذب بديع المعاني. وكان نازلا بالكوفة ومنزله في حمان [2] فأضيف إليهم.

حدّث بعض الصالحين قال : لقيت علي بن محمد المذكور بالكوفة بعد خلاصه من حبس الموفق [3] . وكان قد حبس مرتين ، مرّة لكفالته بعض أهله ،

---

(1) سيورد المؤلف ترجمته بعد قليل. تراجع مصادر ترجمته أيضا في (أنوار الربيع 2 / 332).

(2) حمّان : قبيلة من تميم رحلوا من البصرة ونزلوا الكوفة فسمّيت المحلة باسمهم ، ونسب إليها كل من سكنها وإن لم يكن من القبيلة.

(3) هو الموفق بالله العباسي واسمه طلحة بن جعفر المتوكل. توفي سنة 278 هـ (الأعلام 3 / 330).

ومرة لسعاية عليه ـــ وهنيته بالسلامة ، وقلت : قد عدت إلى وطنك الذي تلذّه ، وإخوانك الذين تحبّهم ، فقال : يا أبا علي ذهب الأتراب والشباب والأصحاب ، وأنشد

هبني بقيت على الأيّام والأبد ... ونلت ما شئت من مال ومن ولد
من لي برؤية من قد كنت آلفه ... وبالزّمان الذي ولّى ولم يعد
لا فارق الحزن قلبي بعد فرقتهم ... حتى يفرّق بين الرّوح والجسد

ومن شعره العالي الطبقة :

لنا من هاشم هضبات مجد ... مطنّبة بأبراج السّماء [1]
تطوف بنا الملائك كلّ يوم ... ونكفل في حجور الأنبياء
ويهتزّ المقام لنا ارتياحا ... ويلقانا صفاه بالصّفاء

ومن جيد شعره قوله :

أفي كلّ أرض أو بكلّ تنوفة ... أخو أمل منّا يحاول مطمعا
كأنّا خلقنا للنّوى وكأنّما ... حرام على الأيّام أن نتجمّعا

ومن بديع افتخاره قوله :

إنّي وقومي من أحساب قومكم ... كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف
ما علّق السّيف منّا بابن عاشرة ... إلّا وهمّته أمضى من السّيف [2]
ولا استضاف بنا ضيف يؤمّلنا ... إلّا غدا مالنا في قبضة الضّيف [3]

ومن رقيق تغزّله :

بأبي فم شهد الضّمير له ... قبل المذاق بأنّه عذب
كشهادتي لله خالصة ... قبل العيان بأنّه الرّبّ

---

(1) في عمدة الطالب / 240 (هضبات عزّ).

(2) يريد بالعاشرة : السنة العاشرة.

(3) سقط هذا البيت من (ع) و (أ).

والـعـين لا تـغـني بـنـظـرتـهـا حـتّى يـكـون دلـيـلـهـا الـقـلـب

ومن قوله الحسن ومطبوعه المستحسن :

وجـه هـو الـبـدر إلّا أنّ بـيـنـهـمـا فضـلا تحـيّر في حـافـاتـه الـنّـور

في وجـه ذاك أخـالـيـط مسـوّدة وفي مضـاحـك هـذا الـدّرّ مـنـثـور

ومن نسيبه وهو المرقص المطرب :

يـا شـادنـا افـرغ مـن فضّـه في خـدّه تـفّـاحـة غضّـه

كـأنّمـا الـقـبـلـة في خـدّه لـلـحسـن مـن رقّـتـه عضّـه

يـهـتـزّ أعـلاه إذا مـا مشـى وكـلّـه في لـيـنـه قـبضـه [1]

ارحـم فـتى لمـا تمـلّـكـتـه أقـرّ بـالـرقّ فـلـم تـرضـه

ومن بديع شعره :

كـأنّ همـوم الـنّـاس في الأرض كـلّـهـا عـلـيّ وقـلـبي بـيـنـهـم قـلـب واحـد

ولي شـاهـدا عـدل سـهـاد وعـبرة وكـم مـدّع لـلـحـقّ مـن غـير شـاهـد

ومن قوله يرثي يحيى بن عمر الحسيني [2] الخارج بالكوفة في خلافة المستعين [3] :

---

(1) في الغدير 3 / 67 (في يمنه) مكان (في لينه).

(2) هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين السبط (ع). خرج بالكوفة أيام المستعين ، وقتل سنة 250 هـ ، وهو الذي رثاه ابن الرومي بفريدته التي مطلعها :

أمـامـك فـانـظـر أيّ نهـجـيـك تـنـهـج طـريـقـان شـتّى مسـتـقـيـم وأعـوج

ترجمته في الطبري 9 / 266 ، ومروج الذهب 4 / 147 وفيه خلط في نسـب المترجم وتاريخ مقتله. ومقاتل الطالبين / 636 ، والكامل لابن الأثير 5 / 314 ، والفخري في الآداب السلطانية / 240.

(3) هو المستعين بالله العباسي واسمه أحمد بن محمد بن المعتصم. عزل عن الخلافة ثم توفي سنة 252 هـ (الأعلام 1 / 193).

لعمري لئن سرّت قريش بهلكه فما كان وقّافا غداة التّوقّف [1]

فإن مات تلقاء الرّماح فإنّه لمن معشر يشنون موت التترّف

فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم على سنن منهم أمام المخلّف

لهم معكم أمّا جدعتم أنوفكم مقامات ما بين الصّفا والمعرّف

تراث لهم من آدم ومحمّد إلى الثّقلين من وصيّ ومصحف

ومن مراثيه المستحسنة قوله في رثاء أخيه اسماعيل [2] :

هذا ابن أمّي عديل الرّوح في جسدي شقّ الزمان به قلبي إلى كبدي [3]

فاليوم لم يبق شيء أستريح به إلّا تفتّت أعضائي من الكمد

أو مقلة (بحياء) الهمّ باكية أو بيت مرثيّة يبقى على الأبد [4]

ترى أناجيك فيها بالدّموع وقد نام الخليّ ولم أهجع ولم أكد

من لي بمثلك أدعوه لحادثة يشكى إليه ولا يشكو إلى أحد [5]

قد ذقت أنواع ثكل كنت أبلغها على القلوب وأجناها على كبدي

قل للرّدى لا تغادر بعده أحدا وللمنيّة من أحببت فاعتمدي

إنّ الزمان تقضّى بعد فرقته والعيش آذن بالتّفريق والنّكد

وله في الافتخار :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمطّ خدود وامتداد أصابع

---

(1) القطعة في مروج الذهب 4 / 152 والغدير 3 / 62 وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) في الغدير (في رثاء أخيه لامه اسماعيل العلوي).

(3) في ك (شقيق) مكان (عديل).

(4) (بحياء الهم) كذا ورد في الأصول ، والغدير. الحيا (بالقصر) : المطر ، ويجوز مدّ المقصور عند الضرورة ، ولأنّ الشاعر من الفحول الذين لا تأسرهم الضرورات أرجح رواية مروج الذهب للمسعودي (بخفي الهمّ)

(5) في ك (وأين مثلك أدعوه).

فلما تنازعنا الفخار قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصّوامع

ترانا سكوتا والشهود بفضلنا عليهم جهير الصّوت في كلّ جامع [1]

والسيد **رحمه‌الله** نظم في هذه الأبيات ما وقع للحسين [2] مع يزيد بن معاوية ، وذلك أن الحسين [3] دخل يوما على يزيد فجعل يزيد يفتخر ويقول : نحن ونحن ، ولنا من الفخر والشرف كذا وكذا ، والحسين [4] ساكت. فأذّن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، قال الحسين **عليه‌السلام** : يا يزيد جدّ من هذا [5]؟ فخجل يزيد وانقطع [6].

وكانت وفاة السيد علي بن محمد الحماني المذكور في خلافة المعتمد سنة ستين ومأتين [7] **رحمه‌الله** تعالى.

وإنّما أكثرت من شعره لحسنه وقلّة وجوده. وقد جمعت هذه المقاطيع من عدّة كتب ، وشعره مرغوب فيه جدا. ولقد تغلغل بنا الكلام وجرّ بعضا فأدّى إلى هذا التطويل ، لكن أرجو أن لا يخلو ذلك من فائدة إن شاء الله تعالى. ولنعد إلى ما نحن بصدده.

ولما وافينا المخا اتّصل بنا الخبر بأنّ العدوّ قصد جهة مولانا السلطان ـ خلّد الله ملكه ـ فعاث فيها ، وأغار على نواحيها بجموع لا تحصى ، وجنود لا

---

(1) في أعيان الشيعة 42 / 51 (وأنا سكوت).

(2) في ك (ما وقع لعلي بن الحسين).

(3) في ك (عليا) مكان (الحسين).

(4) في ك (الإمام) مكان (الحسين) في الموضعين.

(5) في ك (يا يزيد ، ألك جد مثل هذا).

(6) يأتي في ك بعد هذه الكلمة (ورويت هذه الواقعة للحسين معه لا لعلي. أقول : والمشهور المتواتر أنها لعلي بن الحسين مع يزيد ، ذكرها جماعة منهم ابن شهر اشوب في المناقب 4 / 168 ، والطبرسي في الاحتجاج 1 / 39 ، والأمين العاملي في المجالس السنية ، وغيرهم.

(7) هذه رواية الكامل لابن الأثير ، وفي هدية العارفين 1 / 673 : توفي سنة 245 هـ وجاء في الغدير 3 / 57 أنه توفي سنة 301 هـ.

تستقصى ، ولا يعلم ما آل الأمر إليه ، وما استقر الحال عليه ، فأجمعنا على الإقامة بالبندر المذكور إلى أن توافينا الأخبار من تلك الأقطار.

والمخا (بالخاء المعجمة المخففة وفتح الميم قبلها) : مكان قريب من زبيد على ساحل البحر. كذا ضبطها اليافعي في تاريخه في حوادث سنة أربع عشرة وخمسمائة عند ذكر الشيخ أبي بكر بن جعفر بن عبد الرحيم المخائي. والعوام يقولون : المخا (بضم الميم) وهو بندر في غاية العمارة ، فيه قصور مشيّدة ، وحدائق عديدة تحتوي على نخل كثير ، ويجلب إليه أنواع الفواكه من تعز وغيرها.

ومستقى أهلها من أبآر [1] في جانبه الشرقي إلّا أن ماءها لا يخلو من ملوحة ، ويجلب للأكابر من موزّع ماء عذب جدّا.

وفيه حمّام لطيف ، بناه رجل من أكابر أتباع مولانا السلطان ، يقال له : الشيخ ملك محمد ، وأخبرني من كان حاضر بنائه ، أنّ الشيخ المذكور فرش أرضه بالقرنفل ، ثم ألقى عليه الجص لتطيب رائحته. ولقد اكتسب أجرا عظيما في بنائه ، وكانت وفاة بانيه المذكور سنة ثلاث وسبعين وألف **رحمه‌الله** تعالى.

ولم يمدح أحد من الشعراء الحمّام كما مدحه السريّ الموصلي [2] فإنّه أحسن في مدحه وأبدع جدّا في وصفه حيث قال من أبيات :

بيت بنته حكماء الورى فهو إلى الحكمة منسوب

مجاور النّار ولكنّه يجاور الحرّ به الطّيب [3]

حرّ هو الرّوح لأجسامنا والحرّ للأجسام تعذيب [4]

---

(1) أبآر ، جمع بئر ، كآبار ، وأبور ، وبئار.

(2) هو أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الموصلي المعروف بالرفاء. توفي سنة 362 وقيل 366 هـ (أنوار الربيع 1 / 273).

(3) في الديوان (تجاور الروح).

(4) في الديوان (الظل) مكان (الروح).

وأبدع أبو بكر بن بقي [1] حيث يقول في مدحه ووصفه أيضا :

حمّامنا فيه فصل القيظ محتدم وفيه للبرد برد غير ذي ضرر [2]

ضدّان ينعم جسم المرء بينهما كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

فائدة : قال الحكيم أرسطاطاليس في المسائل الطبيعيّة : ما بال من عطش إذا دخل الحمّام سكن عطشه ، ومن لا عطش به يعطشه الحمام؟

لأنّ من به عطش فإنّ بدنه يابس يجذب الرطوبة إلى داخل بالمسام الخفيفة ، ومن لا عطش به فإنّ بدنه رطب يستفرغ الرطوبة بالعرق.

لطيفة : حكي أنّ بعض ملوك العجم أحضرت له حلوى مشهورة فقال : أيكون من لا يعرف هذه الحلوى؟ قالوا : كثير من لم يسمع بها فضلا عن أن يعرفها ، قال : فأحضروا من لا يعرفها ، فجاؤا بأعرابيّ فأطعموه من الحلوى وسألوه : أتعرف ما هذا؟ قال : نعم ، هو إمّا الحمّام أو الفجل ، قالوا : كيف عرفت ذلك؟ قال لأن أبي دخل هذه البلاد قبلي بعشرين سنة ، فلما عاد إلى البادية سألناه عن أحسن ما رآه في الحضر قال : شيئان : الفجل والحمام ، ولا شك الآن في أن هذا الذي أطعمتمونيه أحد هذين الشيئين ، ولكن لا أعرف أيّهما هو بعينه.

ولاقيت بالمخا الشيخ الأديب أحمد بن [3] محمد بن علي الجوهري [4]

---

(1) هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي القرطبي المتوفى سنة 540 هـ (أنوار الربيع 5 / 254).

(2) احتدم الحر : اشتد. في نفح الطيب 3 / 347 (حمامنا كزمان القيظ) و (وفيه للبرد صرّ).

(3) ابتداء من الكلمة التي بعد القوس إلى نهاية الجملة التي ستختم بقوس آخر ، سقط من (ع) وهو يشتمل على قصيدة لوالد المؤلف ، وثانية للجوهري ، وثالثة للمرزوقي.

(4) توفي أحمد بن محمد الجوهري سنة 1079 هـ (أنوار الربيع 5 / 114) و (نفحة الريحانة 4 / 157) وفيه أنه توفى سنة 1069 هـ.

متوجها من الديار الهندية إلى الأقطار الحرميّة قاصدا الحجّ هو ووالده ، وله شعر كاد يلمّ في بعض الإحسان ، وإن زعم بعضهم أنّه أحسن من شعر حسان ، ولم يتفق أن ينشدني من شعر نفسه شيئا ، وإنّما استنشدته من شعر والدي فأنشدني قصيدته الدالية المردوفة بالهاء ، وهي قوله :

مثير غرام المستهام ووجده ... وميض سرى من غور سلع ونجده
وبات بأعلى الرّقمتين التهابه ... فظلّ كئيبا من تذكّر عهده
يحنّ إلى نحو اللّوى وطويلع ... وبانات نجد والحجاز ورنده
وضال بذات الضّال مرخ غصونه ... تفيّأه ظبي يميس بقدّه [1]
كثير التجنّي ذو قوام مهفهف ... صبيح المحيّا ليس يوفي بوعده [2]
يغار إذا ما قست بالبدر وجهه ... ويغضب إن شبّهت وردا بخدّه
مليح تسامى بالملاحة منفردا ... كشمس الضّحى كالبدر في برج سعده
ثنا ياه بدر والصّباح جبينه ... وأمّا الثريّا قد أنيطت بعقده [3]
فمن وصله سكنى الجنان وطيبها ... ولكن لظى النّيران من نار صدّه
تراءى لنا بالجيد كالظّبي تالعا ... أسارى الهوى من حكمه بعض جنده
روى حسنه أهل الغرام وكلّهم ... يتيه إذا ما شاهدوا ليل جعده
يعنعن علم السّحر هاروت لحظه ... ويروي عن الرّمّان كاعب نهده
مضاء اليمانيّات دون لحاظه ... وفعل الرّدينيّات من دون قدّه
إذا ما نضا عن وجهه البدر حجبه ... صبا كلّ ذي نسك ملازم زهده
وأبدى محيّا قاصرا عنه كلّ من ... أراد له نعتا بتوصيف حدّه

---

(1) في سلافة العصر / 19 ونفحة الريحانة 4 / 180 (يميس ببرده).

(2) في سلافة العصر (لا وفاء لوعده) وفي أ(ليس يوفي بعهده).

(3) في السلافة ، ونفحة الريحانة (ثناياه برق) ، وفي ك (ونجم الثريا قد أنيطت) وما أثبته عن أوهو موافق لرواية المصدرين المذكورين.

هو الحسن بل حسن الورى منه مجتدى وكلّهم يعزى لجوهر فرده
وما تفعل الراح العتيقة بعض ما بمبسمه بالمحتسي صفو ورده

وقد عارض هذه القصيدة جماعة وقفت على قصائدهم عند الوالد ، منهم الشيخ أحمد المذكور فقال يمدح الوالد :

سلام على ورد العقيق ورنده وغرّ ليالية وسالف عهده
فلي فيه ظبيّ صائد كلّ ضيغم أغار عليه بين كثبان نجده
إذا الشمس غابت في مغارب أفقها بدا لك بدر من فواحم جعده
يعلّك من فيه شرابا له شذا كنفحة روض عند تفتيح ورده
أرى الدّعص يربوكي يشاكل ردفه وغصن النّقا ينمو لتشبيه قدّه
وبدر الدّجى يزهو إذا قيل مثله ويطوى حديث المسك مع نشر برده
ويعلو مقام النّجم إن قيل أنّه كمبسمه الوضّاح أو درّ عقده
غدوت أجيل الطرف في روض حسنه فعدت وقلبي في وثاق بوجده
فمن لي بقلب مثل قلبي بعدما أضيع زمانا في مهامه بعده
يقولون لي في الحبّ هل لك رتبة فقلت لهم أعلى الذّرى لي بسعده
فما العشق إلّا من كرام عشيرتي وما الحسن إلّا من توابع جنده
وما القطر إلّا من تقاطر أدمعي ولا البرق إلّا من حشاي ووقده
فقولوا له إنّي صريع لحاظه وإنّي عليل مذ بليت بفقده
عسى أنّه يرضى بلثمة كفّه إذا هو لم يمنن بتقبيل خدّه [1]
سلامي عليه بكرة وعشيّة وإن لم يفه تيها عليّ بردّه
وقد لذت من شوقي إلى غير منصف بحضرة من لاذ الأنام بمجده
فما سائل إلّا على جود أحمد ولا قائل إلّا بإعلان حمده
جزيل العطايا يسبق القول فعله كريم السّجايا غير مخلف وعده

---

(1) في سلافة العصر / 119 (يسمح) مكان (يمنن).

يصـــول على أســـد العرين بنفســـه ويثني عنـان الجيش صـــارم عبـده [1]

يلوح ســـنـاء الفضـــل من درّ نطقـه ويظهر قـدر الفصـــل من قطع حـدّه

يحـار بســـيط البحر في وســـع علمـه ويقصـــر فهم الحبر عن نيـل قصـــده [2]

فلا زلـت أهـدي للمســـامع وصـــفـه وأقـطـف زهـر الـقـول مـن روض ورده [3]

ومنهم الشـيخ الأديب علي بن حسـن المرزوقي [4] وقد أحسـن فيها وبزّ المعاصـرين ، ونقتصر على القليل خشية الملال والتطويل ، وهو قوله منها [5] :

تـألّـق مـن نحـو الـكـثـيـب ووهـده بـريـق تـلالا في خمـائـل بـرده

تـراءى لـعـين قـد تـقـرّح جـفـنـهـا وعـوّض عـن طـيـب المـنـام بسـهـده

فـهـيّـج وجـدا مضـمـرا في ســرائـري وأبـدى مصـونـا مـا اسـتطعـت لردّه

فـبـتّ كـئـيـبـا والـه الـقـلـب عـائـمـا بـبـحـر غـرام بـين جـزر ومـدّه

ومـا افـترّ إلّا جـاد بـالـدّمـع نـاظـري وأذكـرني مـاء الـعـذيـب ووردة [6]

ومسـرح غـزلان يـرحـن عشـيّـة بـذات الـلّـوى والأبـرقـين وثمـده

ومـيّـاد غصـن مـذ تـثـنّى بـعـطـفـه لوى عقربي صـدغيـه خفّـاق بنـده [7]

---

(1) في سلافة العصر (ماضي فرنده) مكان (صارم عبده).

(2) في ك (في وسط علمه) وفي أ(بسيط بوفر الفضل في وسط علمه) والمثبت من سلافة العصر.

(3) في الأصلين (وأطلع) مكان (وأقطف) والتصويب من سلافة العصر ، (ورده) كذا ورد في الأصلين وسلافة العصر ، ولعلها (ودّه).

(4) ترجم المؤلف للمرزوقي في كتابه سلافة العصر / 460 فقال (... مقامه في الأدب كاسمه ، وشعره كاسم أبيه ، رأيته بحضـرة الوالد وقد أخنى عليه الكبر ...) ولم يذكر تاريخ وفاته ، وعنه أخذ المحبي في نفحة الريحانة 3 / 498 وسمّاه (حسن بن علي) وهو وهم.

(5) القصيدة في سلافة العصر ونفحة الريحانة ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(6) في ك (ما في العذيب) وفي نفحة الريحانة (واذكر ماء بالعذيب).

(7) في الأصلين (لوى عبقري صدغيه حقان بنده) والتصويب من سلافة العصر ونفحة الريحانة.

كـثـيـر الـتـجـنّي والمجـون وطـالمـا جنى سـيـف لحظ منـه وهـو بغـمـده
لـه حـدق صـحّـت بسـقـم جفونها ومـن عـجـب تـقـويم شـيء بضـدّه
وإنّي إذا مـا جـنّ لـيـلـي تخـالـني أحـنّ حـنـين الـثّـاكـلات لـفـقـده
ويـطـربـني صـدح الحـمـام بـأيـكـة إذا صـاح قـمـريّ الـبشـام بـردّه
وترجيع صـوت العـنـدليـب كـأنّـه غـدا راهـبـا فـيـه زعـيـمـا بـورده [1]
وإن شـقّ نحر الفجر قـامـت بـلابـل تسـبّـح لله الـعـظـيـم بحـمـده
وإني عـلـى ودّي مـقـيـم عـلـى الـوفـا ومـا ملـت بـل بـاق على حفظ عهـده
كـأنّي ومـا أرجـو كـثـيّر عـزّة متى حـار فكري فيـه أو بشـر هنـده [2]
ألا في سـبـيـل الله دهـر قضـيـتـه عـلـى ظـمـأ لم يـروه مـاء صـدّه
أبـيـت عـلـى جمر الـغضـا متـقـلّـبـا وفي طـيّ أحشـائـي تـلـظّ بـوقـده [3]

وكان الشيخ أحمد قدم الهند مع والده في أوائل عمره ، فأقام بها نحوا من عشرين سنة ، ولما دخل الوالد الهند اختصّ الشيخ أحمد به ، فنشأت بينهما مودة أكيدة وكانت بينهما مراسلات من نظم ونثر ، فمن ذلك قصيدة كتبها إليه الوالد مطلعها :

إلى أحمـد الشـيـخ الـنـبـيـل تحـيّـة تـغشّـاه مـني بـكـرة وأصـيـلا [4]

فأجابه الشيخ أحمد بقصيدة مطلعها [5] :

أتـت كـي تـداوي بـالسّـلام عـلـيـلا فـقـلـت سـلام لا عـدمـت مـنـيـلا

---

(1) الورد (بالكسر) : مقدار معلوم من قراءة القرآن ، أو الدعاء تدوم على قراءته في أوقات معينة.

(2) تراجع قصّة بشر وهند في مصارع العشاق 2 /. 235

(3) تلظّ : تلحّ. إلى هنا انتهى ما سقط من (ع).

(4) سقط هذا البيت والسطر الذي بعده من (ك) فأوهم أن القطعة التي بعدهما من نظم والد المؤلف.

(5) القطعة في سلافة العصر / 199 وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

هي الشمس جاءت في صباح صحائف هي البدر نالت من مدادك نيلا
هي الخمر في أفعالها بعقولنا هي السحر قد زادت بيانا وتمثيلا
إذا أنشدت فالطّرف وقت نشيدها عن السّمع يهوى أن يكون بديلا
ترجّلت الركبان عند سماعها وقالوا أعدها لا فقدت خليلا
وساقت بها العيس الحداة تشوقا إليه وساروا بكرة وأصيلا

وهي قصيدة طويلة حسنة ، كلّها على هذا النمط.

وكان شعراء العصر قد تجاروا في ميدان هذين البيتين وهما للشيخ عز الدين الموصلي [1] :

هجرتك البيض لما نصل الصّبغ فضرّك
كشف الدهر المغطّى يا جميل السّتر سترك

فكان ممن جرى في هذا الميدان ، وسابق أولئك الفرسان الشيخ أحمد الجوهري فقال :

زاري والليل داج قلت أخفى الله أمرك
هجم الصبح فنادى يا جميل السّتر سترك

وقال العلامة خطيب المالكية بمكة المشرفة القاضي تاج الدين بن أحمد المالكي* :

إن تكن صبّا أنيسا فافن في الصهباء عمرك [2]
ثم قل عند احتساها يا جميل السّتر سترك

وقال الوالد على هذا الأسلوب [3] :

قالت الحرّة يوما لم أخالف قطّ أمرك

---

(1) هو علي بن الحسين (عز الدين الموصلي) المتوفى سنة 789 هـ (أنوار الربيع 1 / 92).

(2) في ك (فاقض بالصهباء).

(3) سقطت هذه الجملة والأبيات التي بعدها من (ك).

فـــأتـــتـــني بـــاحـــتـــفـــال واخـــتـــفـــاء لـــيـــس يـــدرك [1]

ودنـــــت مـــــنّي ونـــــادت يـــا جمـــيـــل السّـــــتر ســـــترك

وقلت أنا في سنة تسع وستين [وألف] :

زرتهـــا يـــومـــا فـــقـــالـــت وافـــني مـــن قـــبـــل تـــدرك

مـــذ كشـــفـــت السّـــــتر نـــادت يـــا جمـــيـــل السّـــــتر ســـــترك

وأخبرني الوالد أنّه كتب يوما إلى الشيخ أحمد بهذه الأبيات :

يـــا ذا المـــعـــالي إنّ لي نـــزهـــة أرجـــاؤهـــا أرخصـــــت الـــغـــالـــيـــه [2]

أنشـــــدت فـــيـــهـــا حـــين شـــــاهـــدتـهـا كـــالشّـــمس من بين الظّبـا غـالـيـه [3]

(أنـــت الـــتي لـــو تشـــــترى ســـــاعـــة مـــنـــك بـــدهـــر لم تـــكـــن غـــالـــيـــه)

فأجابه بقوله :

يـــا أيّـــهـــا المـــولى الـــذي خـــلـــقـــه يخـــجـــل عـــرف المســـــك والـــغـــالـــيـــه

لـــو بـــعـــت روحـــي عـــارفـــا قـــدرهـــا مـــنـــك بـــوقـــت كـــانـــت الـــغـــالـــيـــه [4]

والبيت الثالث من أبيات الوالد مضـــمّن وهو توأم بيت للســـيد الأديب محمد كبريت المدني [5] وهما بيتان قالهما مستدعيا بعض أصحابه ، أنشدنيهما الوالد ، قال : أنشدنيهما السيد المذكور وهما :

يـــا ذا المـــعـــالي نحـــن في نـــزهـــة فـــانـــقـــل إلـــيـــنـــا الـــقـــدم الـــعـــالـــيـــه

---

(1) الاحتفال . هنا . : الزينة ، ولعلها (باحتفاء).

(2) الغالية : صنف من الطيب.

(3) الظبا . هنا . وأصلها (الظباء) : كواكب ، ويقال لها أيضا : أولاد الظباء (أقرب الموارد). غالية : مرتفعة.

(4) في ع ، وأ (منك بدهر) ، والدهر : الزمان الطويل. ما أثبته عن (ك) وأخال الأصوب (منك بيوم).

(5) هو السيد محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي المعروف بكبريت المدني. توفي سنة 1070 هـ (نفحة الريحانة 4 / 355).

أنت الذي لو تشترى ساعة منه بدهر لم تكن غاليه

وزرت بالمخا ضريح الشيخ أبي الحسن علي بن عمر الشاذلي [1] ، وعليه قبّة عظيمة معتنى بها غاية الاعتناء ، وهو من أتباع السيد أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الشاذلي الكبير المدفون بالحمراء. قال في القاموس : شادلة : قرية بالمغرب ، أو هي بالذال ــ يعني المعجمة ــ ومنها السيد أبو الحسن الشاذلي أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الاسكندريّة ، وفيهم يقول أبو العباس ابن عطاء :

تمسّك بحبّ الشاذليّة تلق ما تروم فحقّق ذاك منهم وحصّل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنّهم شموس هدى في أعين المتأمّل

انتهى كلام القاموس. وفي تاريخ اليافعي : إن أبا الحسن الشاذلي المذكور ـ يعني الكبير ــ مبدأ ظهوره بشاذلة على القرب من تونس. قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله : لم يدخل في طريق القوم حتى كاد [2] يعدّ للمناظرة ، وكان متضلعا بالعلوم الظاهرة جامعا لفنونها ، من تفسير وحديث ونحو ، وأصول وأدب. وكانت له السياحات الكثيرة. ثم جاءه بعد ذلك العطاء الكثير ، والفضل الغزير. واعترف بعلوّ منزلته من عاصره من أكابر العلماء والأولياء العارفين بالله تعالى.

قال : وقيل له من هو شيخك يا سيدي؟ فقال : كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش (بالشين المعجمة المكررة ، وبينهما مثناة من تحت ، وفتح الميم في أوله). ثم قال : وأنا الآن لا أنتسب لأحد. انتهى.

قلت : والشيخ عبد السلام المذكور هو أحد أجدادي من قبل الأم ، وهو من أكابر صوفية المغرب ، وترجمته مشهورة عند أهل المغرب.

وتوفي الشيخ أبو الحسن الشاذلي المذكور سنة ستّ وخمسين وستمائة.

---

(1) هو علي بن عمر بن ابراهيم القرشي الصوفي اليمني الشاذلي ، استوطن المخا وتوفي بها سنة 828 هـ (الأعلام 5 / 132).

(2) في مرآة الجنان لليافعي 4 / 146 (كان) مكان (كاد).

وأمّا هذا أبو الحسن المدفون بالمخا فلم أقف له على ترجمة [1].

والإجماع على أنّه الذي أظهر القهوة المتعارفة في هذا الزمان ، التي طبّقت شـــهرتها العالم. والقهوة في الأصـــل من أسماء الخمرة ، ثم أطلقت الآن على ما يطبخ من البن ، أو قشره.

قيل : وســـبب اهتدائه إليها أنّه كانت له لقحة [2] يســـرّحها كل يوم للرعي ، وكانت ترعى ثمرة هذه الشجرة ، فاستطاب لبنها طعما وخاصية ، فتبعها يوما فرآها ترعى هذه الثمرة فجنى منها شيئا وقلاه واستعمله ، فأحدث في نفسه نشاطا وأريحيّة ، فواظب على استعماله. ثم طبخه فرآه أجدى من استعماله مقليا ، فلم يزل الأمر يزيد حتى بلغ هذه الشهرة.

وقرأت بخطّ بعض فقهاء اليمن أنها حدثت في القرن الثامن أو التاسـع ، قال بعضـهم أنّها تطيّب النكهة ، وتصفّي البدن ، وتعين على العبادة.

وأخبرني بعض الأصـحاب أنّه وقف على رسـالة لبعض فضـلاء اليمن في الكلام على تحليلها وخواصها ومنافعها [3].

قلت : وهي على مقتضـــى ما ذهب إليه جماعة من الإمامية ، ومعتزلة بغداد حرام ، لأنهم ذهبوا إلى تحريم الأشياء التي ليست باضطرارية قبل ورود الشرع ، وجنح إلى هذا القول الشـيخ أبو علي بن أبي هريرة من فقهاء الشـافعية ، وذهب معتزلة البصـرة وباقي الإمامية إلى الإباحة ، وتوقّف الأشـــعري ، واختلف في معنى توقّفه. والحق الإباحة ، والمســـألة أصـــولية يطلب تحقيقها من مظانّها. وبالجملة فلم يتوقّف أحد في اســـتعمال هذه القهوة ، لا معتزلي ولا أشعري ولا غيرهما والأشاعرة أرغب فيها من غيرهم ، وقد تلقتها الأمة بالقبول.

---

(1) تقدم التعريف به في الهامش قبل قليل

(2) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(3) في مباحث عراقية 2 / 180 بحث طريف مفيد عن القهوة ومكتشفها وانتشارها وطريقة استعمالها.

والأطباء مختلفون فيها. فمنهم من مدحها وعدّد منافعها ، ومنهم من ذمّها حتى إنّي رأيت بعض أطباء العجم ينهى عن استعمالها ، وينفّر عنها غاية التنفير. وقد ذكر الشيخ داود [1] في التذكرة خواصها فقال : البن ثمر شجر باليمن يغرس حبّه في آذار ، وينمو ويقطف في آب ، ويطول نحو ثلاثة أذرع على ساق في غلظ الإبهام ، ويزهر زهرا أبيض يخلف حبا كالبندق ، وربّما تفرطح [2] كالباقلّا ، وإذا قشّر انقسم نصفين ، وأجوده الرزين الأصفر ، وأردؤه الأسود ، وهو حارّ في الأولى ، يابس في الثانية. وقد شاع برده ويبسه وليس كذلك ، لأنّهمرّ وكلّ مرّ حار ، ويمكن أن يكون القشر حارا ونفس البن إمّا معتدل أو بارد في الأولى ، والذي يعضد برده عفوصته. وبالجملة فقد جرّب لتخفيف الرطوبات والسعال البلغمي ، وفتح السدد ، وإدرار البول. وقد شاع الآن اسمه بالقهوة إذا حمّص وطبخ بالغا. وهو يسكّن غليان الدم. وينفع من الجدري والحصبة والشرى الدموي ، ولكنّه يجلب الصداع الدوريّ ، ويهزل جدّا ، ويورث السهر ، ويولد البواسير ، ويقطع شهوة الباه ، وربّما أفضى إلى الماليخوليا ، فمن أراد شربه للنشاط ودفع الكسل فليكثر معه من أكل الحلو ، ودهن الفستق والسمن. وقوم يشربونه باللّبن وهو خطأ يخشى منه البرص. انتهى.

وما ألطف قول الصلاح [3] القرشي في الشيخ أحمد بن عواد [4] :

انّ ابن عوّاد له قهوة بحسنها كلّ الورى يشهد

يحتار من ينظر في لونها ووجهه أيّهما أسود

---

(1) هو داود الأنطاكي الطبيب الأديب المكفوف. توفي سنة 1008 هـ (معجم المؤلفين 4 / 140).

(2) المفرطح : العريض.

(3) في ك (ابن الصلاح) وفي أ(أبي الصلاح).

(4) ترجم الخفاجي لابن عواد في ريحانة الألباء 2 / 107 ترجمة مختصرة ولم يذكر تاريخ وفاته.

ومثله قول البدر البشتكي [1] في التقي ابن حجة الحموي [2] وكان يصبغ ذقنه بالحنّاء :

صقيع دعاويه لا تنتهي ويخطي الصّواب ولا يشعر
تفكّرت فيه وفي ذقنه فلم أدر أيّهما أحمر

وقد أكثر الشعراء من النظم في هذه القهوة ، فمن ذلك للفاكهي [3] :

اشرب القهوة صرفا تجد الصّفو مزاجا
واذكر الله عليها تشهد الأنس سراجا

وقلت أنا من أول نظمي فيها [4] :

يا قهوة قشريّة حكت النّضار بلونها
ولكم حباك حبابها بخلاصها ولجينها
جليت عليّ مصونة بزفافها وبصونها
وكأنّ كلّ حبابة ترنو إليّ بعينها

وقال آخر وأبدع في الجناس :

هات اسقني قهوة فضحت بكر المدام وشنّف لي الفناجينا
تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا
لو أنّ ألفا أحاطوا حول ساحتها قصد النّجاة رأيت الألف ناجينا

---

(1) هو أبو البقاء محمد بن ابراهيم المعروف بالبدر البشتكي. توفي سنة 830 هـ (أنوار الربيع 1 / 128).
(2) هو أبو بكر بن علي المعروف بتقي الدين ابن حجة الحموي. توفي سنة 837 هـ ، وقيل 838 (أنوار الربيع 1 / 123).
(3) لعله محمد بن أحمد بن علي الفاكهي الناظم الناثر اللغوي المتوفى سنة 922 هـ (معجم المؤلفين 8 / 298).
(4) في ع (وقال آخر وأبدع في الجناس) وهو وهم من الناسخ. يلاحظ العنوان الذي بعده.

وزاد عليها زين العابدين الطبري [1] فقال :

يـا ربّـة الحســـن حـلّـيـنـا حمـاك فـإن نطلـب فجودي وإن نســـأل فنـاجينـا

وأنشد الشيخ البهائي [2] في الكشكول لبعضهم :

يـقـولـون لي قـهـوة الـبنّ هـل تـبـاح وتـؤمـن آفـاتهـا

فـقـلـت نـعـم هـي مـأمـونـة ومـا الصّـعـب إلّا مصـافـاتهـا

وقال آخر ، وعزاه بعضهم إلى الشريف حسن بن أبي نمي والي مكّة [3] :

شـربـنـا قـهـوة مـن قشـر بـنّ تـعـين عـلـى الـعـبـادة لـلـعـبـاد

حـكـت في كـفّ مـن أهـواه صـرفـا زبـادا ذائـبـا وسـط الـزبـاد [4]

وعـادات الـظّـبـا تـأتي بمسـك وهـذا الـظـبي يـأتي بـالـزّبـاد [5]

وفي تذكرة العلامة جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين [6] قال :

حدثني صـديقي وتربي أمام المحراب النبوي الشـيخ ابراهيم بن الشـيخ يحيى بن الشـيخ ابراهيم ابن الشـيخ أحمد بن الشـيخ ابراهيم بن الشـيخ الأجل جلال الدين الحميدي الإمام العلامة ، قال : قرأت على باب قهوة بالشام هذين البيتين على لسان القهوة [7] :

---

(1) هو زين العابدين بن عبد القادر الطبري إمام المقام الابراهيمي بمكة. توفي سنة 1078 هـ (سلافة العصر / 50 ، وخلاصة الأثر 2 / 195).

(2) هو بهاء الدين محمد بن الحسين الحارثي المتوفي سنة 1031 هـ (أنوار الربيع 4 / 129).

(3) هو الشريف حسن بن محمد بن بركات بن محمد بن أبي نمي. توفي سنة 1010 هـ (الأعلام 2 / 235)

(4) الزباد (بالضم وتشديد الباء ، ويجوز تسهيلها عند الضرورة الشعرية) : لغة في الزبد ، وهو خلاصة اللبن ، ونبت سهلي له ورق عريض يأكله الناس وهو طيب.

(5) الزباد (بالفتح) : نوع من الطيوب يستخرج من حيوان كالهر يسمّى (سنّور الزباد).

(6) هو جمال الدين بن صدر الدين اسماعيل العصامي. ترجم له شهاب الدين الخفاجي في ريحانة الألباء 1 / 417 ولم يذكر تاريخ وفاته.

(7) البيتان في ريحانة الألباء 1 / 419 ، وأنوار الربيع 5 / 96 ، و 111 منسوبان لمحمد ـ ـ البكري ، أو لمحمد ماماي (أو مامي) الرومي.

أنـــا المـــعشـــــوقـــة السّـــــمـــرا وأجـــلـــى في الـــفـــنـــاجـــين
وعـــود الهـــنـــد عـــطّـــربني وذكـــري شـــاع في الصّـــين

نكتة لطيفة : قال الســـيد الأديب محمد كبريت المدني* في رحلته : يحكى أنّ بعض الصـالحين قال لمسيح باشـا وقد أمر بإبطال القهوة : لا تبطل أصـلا ، قال : ولم؟ قال : لأن حسـابها موافق لاسـم الله تعالى (القوي) يعني أن كلّا منهما له من العدد مائة وسـتة عشـر ، فلها منه الاستمداد ، فأمرها وشأنها قوي ، وكان كذلك. انتهى.

وقال أيضـا : لفظ (جبا) لا أعرف له أصـلا ، إلّا أنّه يسـتعمل بمعنى الهبة [1] ، فكأنه يقول : خذها هبة لك مني.

قال : واســـتخرج بعضـــهم لطيفة من ذلك وهي أن لفظ (جبا) عدد ســـتة ، فكأنّ القائل يقول : جلبت لك الصفاء من الست الجهات وحياته هبة مني لك فاقبله. انتهى.

قلت : لم أسمع في عمري بأسمج من هذه اللطيفة ، ولا يخفى غموض هذا الاســتنباط ، والذي بلغني في هذا المعنى : أن الشـيخ الشـاذلي كان له غلام يهيء له القهوة في كلّ يوم ، وكان اسـم الغلام (جبا) فإذا أتى بالقهوة إلى الشـيخ قرع عليه باب الخلوة ، فيقول الشـيخ : من هذا ، فيقول : جبا ، فبقي ذلك ســـنّة إذا جيء بالقهوة قيل : جبا ، وهذا ألطف ما سمعت به في هذا المعنى والله أعلم.

المفتي أبو السعود [2] :

---

(1) كانت كلمة (جبا) مستعملة في العراق إلى ما بعد سنة 1925 م وذلك عندما يقدم صاحب المقهى الشاي ، أو القهوة المرة إلى أحد الزبائن يكرّر عارفوه من الجالسـين كلمة (وير) وهي تركية ، فيجيب القهواتي بكلمة (جبا من أبي فلان) . ويعيّن اسم أحدهم . وعندها يكون الرجل المعين ملزما بدفع الثمن.

(2) هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، من علماء الترك المستعربين وله شعر مقبول. توفي سنة 982 هـ (الأعلام 7 / 288).

أقول لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا في مجلس هي فيه

وما ذاك عن بغض ولا عن كراهة ولكن غدت مشروب كلّ سفيه

غريبة : وفي أيام إقامتنا بالمخا انقضّ كوكب عظيم هائل من جهة الجنوب إلى الشمال بعد المغرب فأضاءت له الدنيا وهو كشعلة النار ، وترك وراءه ضياء مستطيلا جدا ، وفي مثله يقول الأديب أبو محمد بن سارة من شعراء المغرب [1].

وكوكب أبصر العفريت مسترقا للسّمع فانقضّ يذكي اثره لهبه [2]

كفارس حلّ إعصار عمامته فجرّها كلّها من خلفه عذبه

فائدة : وهذا الكوكب هو الشهاب الذي أشار إليه تعالى بقوله (**إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ**)[3]. قال الشيخ البهائي (*) في المفتاح [4] : والشهاب ما يرى كأنه كوكب انقضّ ، وما خمّنه الطبيعيون من أنه بخار فيه دهنيّة يصعد إلى كرة النار فيشتعل لم يثبت. ولو صحّ لم يناف ما دلّت عليه الآية الكريمة ، ولا ما دل عليه قوله جلّ شأنه (**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ**)[5]. فإن المصباح والشهاب يطلقان على المشتعل ، وكلّ مشتعل في الجوّ زينة للسماء ، ولا استبعاد في إصعاد الله سبحانه ذلك البخار الدهني عند استراق الشيطان السمع ، فيشتعل نارا فتحرقه ، وليس خلق الشيطان من محض النار الصرفة ، كما أن خلق الإنسان ليس من محض التراب ، فاحتراقه بالنار التي هي أقوى من ناريته. ولعل الشياطين لا يسمعون كلام

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ساره (ويقال أيضا : صارة البكري. توفي سنة 517 هـ (أنوار الربيع 5 / 182).

(2) في نفح الطيب 2 / 652 (يدني خلفه لهبه).

(3) سورة الصافات / 10.

(4) هو مفتاح الفلاح للبهائي مطبوع عدة طبعات. قال الأمين في أعيان الشيعة 44 / 242 : لنا على الطبعة المصرية بعض الحواشي.

(5) سورة الملك / 5.

الملائكة إلّا إذا انتهوا في الصعود إلى قرب كرة الأثير ، فإذا استرق الشيطان السمع وبادر إلى النزول لحقه الشهاب فأحرقه ، لذلك عبّر سبحانه عن انتهاء الشهاب إليه باتباعه له. انتهى.

وحكي السيوطي [1] في المحاضرة [2] : أن في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة في آخر المحرم انقضّ كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد.

وفي بغية المستفيد [3] أن في ليلة الاثنين الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ست عشرة وتسعمائة انقضّ كوكب عظيم قريبا من نصف الليل آخذا في الشام وأضاءت الدنيا لذلك إضاءة عظيمة ، حتى لو أنّ الإنسان حاول رؤية الذرّ بذلك الضوء لم يمتنع عليه ، ثم غاب في الجهة الشامية ، وبقي أثره في السماء ساعة [4] طويلة.

وفيها في حوادث سنة أربعين ومائة تناثرت النجوم كالمطر نحو المغرب من أوّل الليل إلى الصبح ، وعوفي في تلك الليلة كثير من المجانين فأصبحوا لا بأس بهم.

فائدة : قرأت بخط بعض الفضلاء ما نصّه : أخبرني بعض الثقات عن بعض الأعراب أنّه قال : إذا انقضّ بعض الكواكب ونظر إليه الشخص حال انقضاضه واضعا في فيه بعض أصابعه ـ إصبعا فما فوقه ـ قائلا عند وضع الأصابع أو الإصبع : اللهم صل على محمد وآل محمد ، يكرر الصلاة ثلاثا أو

---

(1) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة 911 ه (معجم المؤلفين 5 / 128).

(2) الاسم الكامل للكتاب (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) مطبوع.

(3) هو بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، لابن الديبع الشيباني (عبد الرحمن بن علي) تقدم التعريف به.

(4) كذا ورد في الأصول ، ولعلها (ساعات) أو أنه أراد بها : الوقت والحين غير المحدود.

أكثر ، ويعقبها بالتكبير ثلاثا أو أكثر أمن من وجع العين سنة إن كان وضع إصبعا واحدا ، وسنتين إن كان وضع إصبعين وهكذا. وأخبرني أنه واظب على ذلك نحو عشرين سنة فسلم من وجع العين. انتهى.

قلت : وقد جرّبت أنا ذلك فوجدته صحيحا.

ومن الحوادث السماوية الغريبة ما حكاه اليافعي في حوادث إحدى وستين ومائة : أنه رأى الناس قمرا ثانيا في السماء ، وكان يرى ذلك في مسيرة شهرين ، فسبحان الفعال لما يشاء.

وأغرب من ذلك ما حكاه في البغية : أنّ في خامس شعبان سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ظهر عمود من نور في ناحية المشرق كان يرى كالمنارة الكبيرة. ووقف مكانه لا حركة له إلى يوم العشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين ، ولم يزل ينحلّ قليلا قليلا حتى غاب ، وكان من تأثيره ــ بقدرة الله تعالى ــ حصول موت عظيم في البلاد المرتفعة عن تعز ، كجحاف ، ووصاب ، وصهيب [1] وما والاها من المشرق حتى كان يمرّ المار بالقرية فيجد الأنعام سائمة والآدميين موتى في منازلهم لا يتولّى دفنهم أحد البتّة ، فسبحان من هذا صنعه.

رجع : وبعد انقضاء الموسم بالمخا وذهاب جميع السفن عنها خليت عمّن رأيناه بها من الأكابر ، فلم يبق فيها سوى رعاع أهلها من السوقة وغيرهم ، حتى أن واليها والسيد المقدّم ذكره لم يقم بها ، بل فارقها وأناب منابه غيره ، فوجدنا لذلك من الوحشة والغربة ما ضاعف علينا الكربة ، مع سوء عشرة الأتباع الذين كانوا في صحبتنا ، وعدم الألفة والأنس بهم. وقد كتبت إلى

---

(1) (صهيب) كذا ورد في الأصول ولمأجد لها ذكرا فيما تيسر لي من كتب البلدان.

وجاء في معجم ياقوت (صهيد) : مفازة بين اليمن وحضرموت ، وفيه أيضا وفي معجم ما استعجم (صيهد) : أرض باليمن منحرفة ما بين بيحان فمأرب فالجوف ...) وجاء في الإكليل 1 / 121 : أنها بلدة وأفاض المحقق في وصفها ووصف بيحان ومأرب والجوف.

الوالد بهذين البيتين مشيرا إلى سوء أخلاقهم وهما لابن بسام [1] :

لـقـد صـــبرت عـلـى المـكـروه أسمـعـه من معشـــر فيـك لولا أنـت مـا نطقوا

وفـيـك داريـت قـومـا لا خـلاق لهـم لـولاك مـا كـنـت أدري أنّهـم خـلـقـوا

فبلغني أنه أعجب باستشهادي بهما. ولله درّ القائل [2] :

ومـا غربـة الإنســـان في شـقّـة النّوى ولـكـنّـهـا والله في عـدم الشّـــكـل [3]

وإنّي غـريـب بـين بســـت وأهـلـهـا وإن كـان فـيـهـا أســـرتي وبهـا أهـلـي

وقد مسخ هذين البيتين السيد الحسن بن شدقم الحسيني فقال [4] :

ولـيـس غـريـبـا مـن نـأى عـن ديـاره إذا كـان ذا مـال وينســـب للفضـــل

وإنّي غـريـب بـين ســـكّـان طـيـبـة وإن كـنـت ذا مـال وعـلـم وفي أهـلـي

ولـيـس ذهـاب الـرّوح يـومـا مـنـيّـة ولكن ذهـاب الرّوح في عـدم الشّـــكـل

وكنت أعاشرهم معاشرة مداراة لا مماراة ، ومحاسنة لا مخاشنة ، والحال معهم كما قال أبو الفتح البستي (*) :

يـقـولـون لي عـاشـــرتـنـا ووصـــلـتـنـا وهيـهـات أين القوم منّي ومن جنســـي

وكـيـف وصـــالي فـرقـة فـرق بـيـنـهـم وبـيـني كـفـرق الجـنّ مـن فـرق الأنـس

ومن كلام أمير المؤمنين علي (ع) : من سـالم الناس سـلم منهم ، ومن حارب الناس وحاربوه فإن العزّة للكاثر.

وكان يقال : العاقل خادم الأحمق أبدا ، إن كان فوقه لم يجد من مداراته والتقرب إليه بدّا ، وإن كان دونه لم يجد من احتماله واستكشاف سرّه بدّا.

---

(1) هو علي بن محمد بن بسام البغدادي المتوفى سنة 302 هـ (أنوار الربيع 2 / 372).

(2) الشعر لأبي سليمان الخطابي (حمد بن محمد) المتوفى سنة 388 هـ (معجم المؤلفين 4 / 74)

(3) في يتيمة الدهر 4 / 335 (وما غمة الإنسان).

(4) السيد حسن بن شدقم الحسيني المدني ، هاجر إلى الهند ولقي حظوة عند أحد ملوكها وبها توفي سنة 1046 هـ (نفحة الريحانة 4 / 327).

ومن كلام محمد ابن الحنفية . رض . [1] قد يدفع باحتمال المكروه ما هو أعظم منه.

وقال الحسن : حسن السؤال نصف العلم ، ومداراة الناس نصف العقل ، والقصد في المعيشة نصف المؤنة.

وقال الشاعر وهو لسان الحال :

وأنـزلـني طـول الـنّـوى دار غـربـة متى شـئـت لا قيت أمرا لا أشـاكله [2]

أحـامـقـه حـتى يـقـال سـجـيّـة ولـو كـان ذا عـقـل لـكـنـت أعـاقـلـه

وكانت تهب بالبندر المذكور ريح عاصف لا تسكن ليلا ولا نهارا ، حتى أنّه لا يمكن الخروج معها من البيوت إلّا اضطرارا ، ويسميها أهل اليمن (الأزيب) [3] ـــ كأحمر ـــ وهي الجنوب المقابلة للشمال ، وتسمى النعامى ، وما أحسن قول ابن القيسراني [4] :

بـالسّـفـح مـن نـعـمـان لي قـمـر مـنـازلـه الـقـلـوب [5]

حمـلـت تحـيّـتـه الشـمـا ل فـردّهـا عـنّي الجـنـوب

فـرد الصّـفـات غـريـبـهـا والحسـن في الـدّنـيـا غـريـب

لم أنـس لـيـلـة قـال لي لمـا رأى جسـدي يـذوب

بـالله قـل لي مـن أعـلّـك يـا فـتى قـلـت الـطّـبـيـب

فائدة : الرياح المعروفة أربعة : الصّبا والدّبور والشمال والجنوب. أمّا الصّبا وتسمّى القبول ، فهبوبها من مطلع الشمس. قال القزويني [6] : وهي قريبة

---

(1) هو محمد بن أمير المؤمنين علي (ع). توفي سنة 81 هـ وقيل غير ذلك (الأعلام 7 / 152).

(2) البيتان في عيون الأخبار 3 / 24 بدون عزو أيضا وفي روايتهما اختلاف بسيط.

(3) في القاموس (الأزيب : الجنوب ، أو النكباء تجري بينها وبين الصّبا).

(4) هو أبو عبد الله محمد بن نصر المعروف بالقيسراني. توفى سنة 547 (أنوار الربيع 1 / 130).

(5) الأبيات في وفيات الأعيان 4 / 83 وفي روايتها اختلاف.

(6) هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى سنة 682 هـ (الأعلام 3 / 80).

والقول في كتابه عجائب المخلوقات / 63.

إلى الاعتدال ، فإن كان هبوبها في أول النهار فهي مائلة إلى البرد ، لأنّها تمرّ على مواضع باردة ، بردت ببعد الشمس عنها بالليل فتكون طيبة جدا إلا أنّ زمانها قليل ، لأن شعاع الشمس يسوقها من خلفها ، فإذا أشرقت الشمس ساقتها إلى قدامها فلا زالت تمرّ قدّام الشعاع والشمس تلطّفها وتسخنها بحرّها وضيائها حتى تصير معتدلة ، وهي النسيم التي تدعى : الريح السحرية يلتذ الإنسان بها ، فإذا مسّته يطيب له النوم عليها.

قلت : وعلى ذلك فما ألطف قول الملك عضد الدولة [1] :

وقالوا أفق من لذّة اللهو والصّبا فقد لاح صبح في دجاك عجيب

فقلت أخلّائي دعوني ولذّتي فإنّ الكرى عند الصّباح يطيب

والمريض والمكروب يجد عند هبوب هذه الريح راحة ، فهبوبها بالاسحار من الليل والغدوات من النهار ، لأنّ في هذا الوقت اعتدال الهواء لاختلاط برودة الليل بحرارة النهار.

طريفة : حكى أبو الفرج في الأغاني قال : إن أهل المجنون [2] خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحّشه ليمتاروا خوفا عليه من أن يضيع ويهلك. فمرّوا في طريقهم بجبلي نعمان ، فقال بعض فتيان الحي : هذان جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزل بهما ، قال : فأيّ الرياح تأتي من ناحيتهما؟ قالوا : الصّبا ، قال : فوالله لا أريم هذا الموضع حتى تهبّ الصّبا. فأقام ومضوا ، فامتاروا لأنفسهم ، ثم أتوا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيّام حتى هبّت الصّبا ، فانطلق معهم وأنشأ يقول :

أيا جبلي نعمان بالله خلّيا نسيم الصّبا يخلص إليّ نسيمها

أجد بردها أو تشف منّي حرارة على كبد لم يبق إلّا صميمها

---

(1) هو أبو شجاع فنا خسرو عضد الدولة بن الحسن بن بويه الديلمي. توفي ببغداد سنة 372 هـ (أنوار الربيع 4 / 255).

(2) هو قيس بن الملوح (مجنون ليلى). توفي سنة 68 هـ ، وقيل غير ذلك (الأعلام 6 / 60 وأنوار الربيع 1 / 376).

فـإنّ الصّـــبـا ريح إذا مـا تـنـفّســـت على نفس مكروب تجلّت همومهـا [1]

وقد أكثرت الشـعراء من ذكر الصّـبا ، فمن أحسـن ما سمعت به في هذا الباب قول بعضهم :

نـاشـــدتـك الله نســـيـم الصّـــبـا مـن أيـن هـذا الـنّـفـس الـطـيّـب
هـل أنـت من ليلى رســول الرّضـــا أم أنـت عـن أســـرارهـا تـعـرب [2]
أم جـزت في أرض بهـا قـد مشـــت أم ثـغـرهـا قـبّـلـك الأشـــنـب
فـــهـــات أتحـــفـــني بـــأخـــبـــارهـــا فـــعـــهـــدك الـــيـــوم بهـــا أقـــرب

ومما هو أرقّ من النسيم قول ابن المعلم الواسطي [3] من قصيدته المشهورة :

تـنـبّـهـي يـا عـذبـات الـرّنـد كـم ذا الـكـرى هـبّ نســـيـم نجـد
مـرّ عـلـى الـرّوض وجـاء ســـحـرا يســـحـب بـردي أرج وبـرد
حـتى إذا عـانـقـت مـنـه نـفـحـة عـاد سمـومـا والـغـرام يـعـدي [4]
واعـجـبـا مـنّي أســـتشـــفى الصّـــبـا وهـل تـزيـد الـنـار غـير وقـد [5]

والقصيدة كلّها على هذا النسق الذي فاق الدرر في أسلاكها ، والدراري في أفلاكها ، وقد اقتفيت أثره فقلت :

ســـل الـدّيـار عـن أهـيـل نجـد إن كـان تســـآل الـدّيـار يجـدي
وقـف بهـا نـبـك الـطّـلـول ســـاعـة لـعـلّـه يشـــفـي غـلـيـل وجـدي [6]

---

(1) في الديوان والأغاني 2 / 24 (إذا ما تنسمت على نفس محزون).

(2) في ك (بشير الرضا).

(3) هو أبو الغنائم محمد بن علي الواسطي المعروف بابن المعلم. توفي سنة 592 هـ (أنوار الربيع 3 / 78).

(4) في خريدة القصر . القسم العراقي . 4 / 439 (نفحه) مكان (نفحة).

(5) في خريدة القصر (وما تزيد النار).

(6) ورد البيت في ديوان المؤلف هكذا :

منازل قد حزت فيها أربي ونلت سؤلي وقضيت وعدي
ما عنّ لي ذكر زمان قد مضى في ظلّها إلّا أهاج وقدي [1]
أصبو من الهند إلى نجد هوى وأين نجد من ديار الهند
وألتقي كلّ رياح خطرت أحسبها ليلا نسيم نجد
آه من البين المشتّ والنّوى كم قرّحا من كبد وخدّ
فهل ترى ينتظم الشّمل الذي قد نثرته البين نثر العقد
وهل لأيّام الصّبا من مرجع أم هل لأيّام النّوى من بعد [2]
أنوح ما ناح الحمام غدوة هيهات ما قصد الحمام قصدي
أبكي وتبكي لوعة وطربا وما بكاء الهزل مثل الجدّ
ظنّت حمامات اللّوى عشيّة في الحبّ أنّ عندها ما عندي
تبكي على غصن النّقا لهوا ومن شبّه غصنا في الهوى بقدّ [3]
شتّان ما بين جو وفرح وبين مخف سرّه ومبدي
ما مشربي صاف وإن ساغ ولا عيشي من بعد النّوى برغد
سل أدمعي عمّا تجنّ أضلعي فالقلب يخفي والدموع تبدي
كم أنشد الروض إذا هبّت صبا (تنبّهي يا عذبات الرّند)

وأما الدبور فتقابل الصّبا ، لأنّ هبوبها من مغرب الشمس ، وخواصها مخالفة لخواص الصّبا ، لأنّها تهبّ والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصّبا. وهبوبها في آخر النهار ولا تهبّ قبله ، ولا [تهبّ][4] بالليل لأن الشمس

وقف بهاتيك الرسوم ساعة لعلّه يطفي لهيب وجدي

(1) في الديوان (بظلها إلّا وهاج).

(2) في الديوان (رجعة) مكان (مرجع).

(3) رواية الديوان للبيت كالآتي :

تلهو على غصونها ومهجتي تصبو إلى تلك القدود والمللد

(4) في الأصول (ولا تهب قبل ولا بالليل) والتصويب من عجائب المخلوقات / 63.

تبلغ محلّ مهبّها في ذلك الوقت ، فتتحلّل البخارات منه ، ولذلك يكون هبوبها قليلا جدّا وأمّا الشمال فهي من ناحية الشام ، وهبوبها من نحت بنات نعش ، وهي باردة يابسة لأنّها تأتي من الجهة التي لا تسامتها الشمس أصلا بل لا تقربها ، ويكون الثلج وجمود الماء بها كثيرا ، وهي أشد هبوبا من الجنوب لأنّها تهب من موضع ضيّق كالماء الذي يخرج من الأنبوب الضيّق بخلاف الجنوب .كذا في عجائب المخلوقات للقزويني.

والذي رأيناه في اليمن : ان الجنوب أشدّ هبوبا من كلّ الرياح ، فلعلّ ذلك في غير اليمن ، وتكون العلة ظاهرة حينئذ ، لأن الجنوب يمانيّة ــ كما سنذكره ــ وقد ذكرت الشعراء الشمال في أقوالها ، فمن ذلك قول سيّدنا الشريف الرضي **رضي‌الله‌عنه** (*) من قصيدة

وهبّت لأصحابي شمال لطيفة قريبة عهد بالحبيب بليل
ترانا إذا أنفاسنا مزجت بها نرنّح في أكوارنا ونميل
ولم أر نشوى للشّمال عشيّة كأنّ الذي غال الرّؤوس شمول

قال النواجي [1] : وتجمع الشمال على شمائل ، ولذا حسن به التورية ، ومنه قول الشيخ شمس الدين محمد الأرموي [2] :

كم للنّسيم على الرّبى من نعمة وفضيلة بين الورى لن تجحدا
ما زارها وشكت إليه فاقة إلّا وهزّ لها الشمائل بالنّدى

وكان الصاحب بن عباد **رحمه‌الله** يترنّم بقول أبي نواس (*) :

هبّت لنا ريح شماليّة متّت إلى القلب بأسباب [3]

---

(1) هو شمس الدين محمد بن حسن النواجي المتوفى سنة 895 هـ (معجم المؤلفين 9 / 203).

(2) لعله شمس الدين محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن ظفر العلوي الحسيني الأرموي المصري المعروف بقاضي العسكر المتوفى سنة 650 هـ (الوافي بالوفات 3 /. 17 في خزانة ابن حجة / 350 ، وأنوار الربيع 5 / 86 هـ (شمس الدين الأدفوي).

(3) البيتان في حلبة الكميت للنواجي / 317 وخزانة ابن حجة / 224 منسوبان لأبي نواس ولا وجود لهما في ديوانه.

أدّت رسالات الهوى بيننا عرفتها من بين أصحابي

قال في الحلبة : والله إنّ الصاحب لمعذور ، فإنّ هذا مما يرنّح الجماد.

وقال ابن حجة في تقديمه [1] بعد أن مثّل بهما لنوع النوادر : وقد جارى أبا نواس في بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى محيي الدين الخياط [2] ، ولولا الحياط [3] لقلت إنّه أحرز قصبات السبق عليه حيث قال :

يا نسيم الصّبا الولوع بوجدي حبّذا أنت إن مررت بهند [4]

ولقد رابني شذاك فبالله متى عهده بأطلال نجد

قال : بين (ولقد رابني شذاك) ، وبين (عرفتها من بين أصحابي) معرك ذوقيّ لا يدركه إلّا من صفت مرآة ذوقه في علم الأدب. انتهى.

وأما الجنوب فتقابل الشمال وهي من ناحية اليمن ، وهي حارة رطبة ، لأنّ هبوبها من ناحية خطّ الاستواء ، والحرّ هناك مفرط ، لأنّ الشمس تسامتها في السنة مرتين ، ولا تباعد عنها فتزداد بذلك حرّا ، وايضا هذه الجهة كثيرة البخار فتبخر الشمس منها أبخرة كثيرة رطبة ، فتكتسب الجنوب منها الرطوبة ، وهي ترخي الأبدان وتحدث ثقلا في الأسماع وغشاوة في الأبصار ، وتورث الكسل ومن العجب أنّ الجنوب إذا هبّت على المار الحار برّدته ، والشمال تتركه على حرارته كما كان.

قالوا : سبب ذلك أنّ عند هبوب الشمال تكمن الحرارة في داخل الماء

---

(1) سمّى ابن حجة الحموي شرحه لبديعيته التي احتواها كتابه خزانة الأدب (تقديم أبي بكر).

(2) في خزانة ابن حجة / 224 (بدر الدين) مرة ، و (مجير الدين) أخرى ، والبيتان اللذان سيذكرهما المؤلف من قصيدة لأبي عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الدمشقي المتوفى سنة 517 هـ وموجودة في ديوانه. تراجع ترجمته ومصادرها في أنوار الربيع 4 / 127 ومقدمة ديوانه لخليل مردم.

(3) في ع (الحياء) مكان (الحياط) ، والحياط : التحفّظ.

(4) في الديوان (مررت بنجد) وتأتي قافية البيت الثاني (بأطلال هند).

كما نرى في الشـــتاء ، فإن الحرارة تكمن في جوف الأرض ، فيبقى داخلها حارا. وأمّا عند هبوب الجنوب فالحرارة تخرج من داخل الماء كما نرى في الصـيف فإنّ الحرارة تخرج من جوف الأرض إلى ظاهرها ، ويبقى (داخلها باردا يعود إلى طبعه) [1] ، والعرب تحمد الجنوب لأنّها تنشيء السحاب ، ويزعمون أنّ اللواقح إنما تكون من الجنوب ، ولا مطر مع شيء من الرياح ، والله أعلم. انتهى من عجائب المخلوقات.

وكلّ ريح انحرفت عن مهابّ هذه الرياح الأربع فوقعت بين ريحين منها فهي نكباء ، وجمعها : نكب. ونظم بعضهم مهاب الرياح فقال :

شملـت بشـــام والجـنـوب تـيـامـنـت وصـــبـا بشـــرق والـدّبـور بمـغـرب

فائدة سنيّة : قال العلامة بدر الدين الدماميني [2] في شرح التسهيل : قال ابن هشام : سألني سائل ، من أين تهبّ الصّبا؟ فأنشدته [3] :

ألم تـعـلـمـي يـا عـمـرك الله أنّـني كـريم عـلـى حـين الـكـرام قـلـيـل

وأنّي لا أخـزى إذا قـيـل مـمـلـق ســـخـيّ وأخـزى أن يـقـال بخـيـل

ولم يزد على ذلك ، وفيه غموض فتنبّه. انتهى.

وقال في شـرح المغني بعد حكايته ذلك : وجه صـلاحية هذا للجواب ، إنه اشـتمل على بناء (حين) المضافة إلى الجملة في قوله (على حين الكرام قليل). فأشار به بيت مشارك له في هذا الحكم ، وهو قول الشاعر :

إذا قـلـت هـذا حـين أســلـو يـهـيـجـني نســيم الصّــبـا من حيث يطّلع الفجر [4]

---

(1) كذا ورد في الأصـــول ، وجاء في عجائب المخلوقات (داخلها باردا ، فخرجت الحرارة من داخل الماء عند هبوب الجنوب ، والماء في نفسه بارد يعود إلى طبعه).

(2) هو محمد بن أبي بكر المخزومي الاسـكندري المعروف بابن الدماميني. توفي سـنة 827 هـ (أنوار الربيع 2 / 56).

(3) البيتان من شواهد مغني اللبيب لابن هشام ، يراجع الشاهد (780).

(4) يراجع مغني اللبيب أيضا ، الشاهد (779).

حيث قيل فيه (حين أسلو) فبنى (حين) المضافة إلى الجملة ، ولا يخفى أن هذا البيت المشار إليه بإنشاد ذينك البيتين صريح في ذكر محل الصبا ، إذ قيل فيه (نسيم الصبا من حيث يطّلع الفجر). فظهر المقصود ولله الحمد. انتهى.

رجع : ثم لم نزل نقاسي محن الغربة ، ونكابد إحن الكربة ، وقد طالت أيّام البين والنوى ، واضطرمت لواعج الوجد والجوى ، تتجرّع من كأس الاغتراب ما هو أمرّ من العلقم ، ونعاني من بأس الاكتئاب ما يهون عنده نهش الأرقم. إذا عنّ التذكّر لما مضى تزايدت آلام الحزن والأسى ، وإذا اعترض التفكر فيما حلّ به القضا ، قطعنا الأيّام بلعلّ وعسى. فواها لتلك الأعوام التي مضت كيف انقضت ، وآها من هذه الأيام. (التي برت كيف انبرت [1]).

وهكذا الدّهر ما زالّت نوائبه تقلّب المرء بين الصّفو والكدر

ولقد كنت أبرز إلى تلك الحدائق الأنيقة ، وأتنقّل فيها من حديقة إلى حديقة ، لعلّي أجد بذلك سلوة عمّا أنا فيه ، وهيهات ما لمثلي وللتسلّي أنّي إذن لسفيه. فأعود وقد تضاعفت بواعث الهمّ والتذكار ، وترادفت نوابث الغمّ والأفكار.

وما ذات طوق في فروع أراكة لها رثّة تحت الدّجى وصدوح [2]

ترامت بها أيدي النّوى وتمكّنت بها فرقة من أهلها ونزوح

فحلّت بزوراء العراق وزغبها بعسفان ثاو منهم وطليح

نحنّ إليهم كلّما ذرّ شارق وتسجع في جنح الدّجى وتنوح

إذا ذكرتهم هيّجت ذا بلابل وكادت بمكتوم الغرام تبوح

بأبرح من وجدي لذكرى أحبّتي إذا لاح برق أو تنسّم ريح [3]

---

(1) في ك (التي مرت كيف انمرت).

(2) الشعر لأبي منصور فخر الدين عيسى بن مودود صاحب تكريت المتوفى سنة 584 هـ (وفيات الأعيان 3 / 166).

(3) في وفيات الأعيان (بأبرح من وجدي لذكراكم متى. تألّق برق ...).

ولم نزل من أمرنا على غمّة ، ومن دهرنا في ليال مدلهمّة ، لا نعرف لمآلنا قبيلا من دبير ، ولا نجد لما تتشـوّفه من الخبر من يقول على الخبير. حتى وافت البشـائر ، ونصـبت للتهاني الأشـائر ، بأن قد أقلع ذلك السـحاب ، وجاء من ألطاف الله تعالى ما لم يكن في الحساب ، وصفت الأحوال ، وسكنت الفتن ، فسكن الفؤاد عند ذلك واطمأن. وأخذنا في أهبة السفر مستبشرين بالنيل والظفر ، زاعمين أن في وصولنا إلى تلك الدار أمنا من شوائب الدهر والأكدار ، والقضاء يقول من مكمنه : قد يؤتى الحذر من مأمنه.

ليت الذي علق الرجاء به إذ لم يجد للصّبّ لم يجد
لم يثمر الظنّ الجميل به فقدي من الظنّ الجميل قدي
كم من مطامع قد عقدت بها طمعي فحلّ مرائر العقد
وأعادني منها على أسف وأباتني فيها على ضمد

ولما أهاب بنا من البين داع ، وآن أوان الارتحال والوداع ، كتبت إلى والي مخا السـيّد المقدم ذكره . وكان قد عاد من حضرة مخدومه إلى خدمته . بهذين البيتين :

مددت إلى التوديع كفا ضعيفة وأخرى على الرّمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا العهد آخر عهدنا ولا كان ذا التّوديع آخر زادي

وهذان البيتان أنشدهما أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك [1] قال أنشدنيهما والدي عند خروجه إلى الحج.

فكتب إليّ السيد المشار إليه قول أبي الطيب [2] :

يا من يعزّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلّ شيء بعدكم عدم

ثم ودعناه توديع الولد للوالد ، ولقينا من فراقه ما هان معه الطارف

---

(1) هو عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي المعروف بشيذلة ، فقيه واعظ ، توفي سنة 494 هـ (معجم المؤلفين 6 / 281).

(2) هو أبو الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين) المقتول سنة 354 هـ (معجم المؤلفين 1 / 201).

والتالد ، فشيّعنا تشييع الأقارب ، إلى أن تبطّنا القارب ، فشكر الله سعيه وأدام بفضله رعيه.

أبو تمام [1] :

وما ابن آدم إلّا ذكر صالحة أو ذكر سيّئة يسري بها الكلم

أما سمعت بدهر باد أمّته جاءت بأخبارها من بعدها أمم

وكان خروجنا من المخا يوم السبت لثمان خلون من ذي القعدة الحرام سنة سبع وستين ، فكانت مدة إقامتنا بها أربعة عشر شهرا وستة أيام ، وعلى ذلك فما ألطف قول عمر بن أبي ربيعة [2] :

بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن [3]

إن كنت حاولت دنيا قد رضيت بها فما أصبت بترك الحجّ من ثمن

أخبر خلاد بن يزيد الباهلي [4] قال : ركب ابن جريج [5] دين ـ سمّاه وكثّره ـ فأتى معن بن زائدة [6] باليمن فوعده فطول عليه ، قال ابن جريج : إني لفي منزلي ودخل شهر الحج فذكرت بيتي عمر ــ بالله قولي له ، البيتين ــ قال : قلت : والله هو ذلك ، وأصبحت غاديا على معن فقلت : أستودع الله الأمير ، قال : وما ذاك؟ قلت : حضر الحج وطال مقامي ، قال : لا والله ولكن هذا حادث رأي. فلم يزل بي حتى أنشدته بيتي عمر ، فقال : لا جرم ، لا تمش حتى

---

(1) لا وجود للبيتين في ديوان أبي تمام ، وأوردهما ابن عبد ربه في العقد الفريد 1 / 232 منسوبين إليه.

(2) هو أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة المخزومي. توفي سنة 93 هـ (أنوار الربيع 2 / 93).

(3) البيتان في الديوان وفي روايتهما اختلاف.

(4) توفي خلاد بن يزيد سنة 220 هـ. في الأصول (بن زيد) والتصويب من ميزان الاعتدال 1 / 657.

(5) هو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي فقيه حافظ. توفي سنة 150 هـ (معجم المؤلفين 6 / 183).

(6) هو معن بن زائدة الشيباني أمير جواد قتله الخوارج سنة 151 هـ (الأعلام 8 / 192).

تقضى حاجتك. وكان معن يتولى عمل اليمن للمنصور ، ثم تولاها بعده ابنه زائدة.

قلت : والشيء بالشيء يذكر ، والحديث شجون. قيل : إن المنصور سخط على أحمد بن يزيد السلمي فصرفه عن أرمينية ، وألزمه بيته ، فنمي الخبر إلى معن وهو يتقلّد اليمن ، فكتب إليه :

نمي إليّ يا أمير المؤمنين أن سخطة لحقت أحمد بن يزيد بن أسيد السلمي من أمير المؤمنين ، ولم تزل الملوك تعاقب على أشياء ، وتصفح عن أشياء ، فأمّا الذي تعاقب عليه : فالقدح في الملك ، وإفشاء السرّ ، والتعرّض للحرم. وأمّا الذي تصفح عنه : فاحتجان الأموال ، فإنّ مال الخادم للمخدوم ، في يومه وغده. فإن كان أحمد بن يزيد أتى ما يعاقب عليه الملوك فما ينبغي أن يكون حيّا وإن كان احتجن مالا فأحمد خير لأمير المؤمنين من أرمينية وأموالها. فقال المنصور : أف لكم معاشر الكتّاب ، ذهب عليكم أن تخبروني به حتى تناولني به معن من اليمن ، على لوثة [1] أعرابية. ووجه إلى أحمد بن يزيد فخلع عليه وردّه إلى عمله.

وما كلّ ذي لبّ بمؤتيك نصحه ولا كلّ مؤت نصحه بلبيب [2]

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فحقّ له من طاعة بنصيب

ولما امتطينا من السفينة صهاها ، وتلونا (**بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها**)[3] شاهدنا من هذا البحر الزاخر ، ما أنسينا معه الأول والآخر ، حتى استبان لنا أن ذلك البحر الذي أكبرناه ، وأنكرنا منه ما أنكرناه ، إنّما هو قطرة من ماء ، بالنسبة إلى هذا الدأماء [4]. ولقد سرنا فيه أياما لا نرى سوى الماء تحت

---

(1) يريد باللوثة . هنا . : البطء والتمكث في العمل.

(2) البيتان لأبي الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) المتوفى سنة 69 هـ (أنباه الرواة 1 / 13).

(3) سورة هود / 41.

(4) الدأماء : البحر.

السماء. (وألطف قول بعض المعاصرين [1]).

قالوا مسير الفلك في بحره كالطّير يسري بجناحين
والفرق ما بينهما واضح لكلّ ذي عين بلا مين [2]
الطير في الجوّ غدا طائرا بين السّما والأرض عن عين
وفلكنا لما طما بحره طار بنا بين سمائين

وللصاحب تاج الدين :

أنظر إلى قطع المراكب إذ بدت والماء يعلو حولها ويدور
مثل السّحائب لا يفرّق بينها نظر وكلّ بالرّياح يسير

ولابن النطاح [3] يصف البحر :

يا مادح البحر وهو يجهله مهلا كفاني قليله علما
مكسبه مثل قعره بعدا ورزقه مثل مائه طعما [4]

ابن رشيق (*) في ذمه وركوبه :

البحر صعب المرام مرّ لا جعلت حاجتي إليه
أليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه

وقال ابن حمديس [5] : اجتمعت مع أبي الفضل جعفر بن المقترح [6]

---

(1) كذا في (ع). وجاء في (أ) بعد كلمة المعاصرين (وهو المؤلف). وفي ك. (وقلت فيه) مكان الجملة التي بين قوسين.

(2) في ك (لكل ذي لبّ).

(3) (ابن النطاح) كذا ورد في الأصول ، ومعاهد التنصيص 2 / 25 ، ولعله بكر بن النطاح المتوفى سنة 192 هـ (الأعلام 2 / 46) ، أو أنه : أبو محمد عبد الله بن الطباخ الكاتب ، ورد ذكره في نوادر المخطوطات (الرسالة المصرية) 1 / 53 ، وترجم له العماد في خريدة القصر (قسم شعراء مصر) 2 / 98 ولم يذكر تاريخ وفاته.

(4) البعد (بضمتين) : لغة في البعد (بضم فسكون).

(5) هو عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس الصقلي. توفي سنة 527 هـ (أنوار الربيع 4 / 234).

(6) في الأصول (جعفر بن المعوج) والتصويب من معاهد التنصيص ، وديوان ابن حمديس.

الكاتب بسبتة فذكر لي بيتي ابن رشيق ثم قال : أتقدر على اختصار هذا المعنى؟ فقلت : نعم أقدر على ذلك وأنشدته [1] :

لا أركب البحر خوفا عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، فأقام عني أياما ثم اجتمعت به فأنشدني لنفسه في المعنى :

ان ابن آدم طين والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى ما جاز عندي ركوبه [2]

فأنشدته :

وأخضر لولا آية ما ركبته وذلك تصريف القضاء بما شاء
أقول حذارا من ركوب عبابه أيا ربّ إنّ الطين قد ركب الماء

ومن بديع إنشاء ابن حجة الحموي (*) رسالته البحرية التي كتب بها إلى البدر الدماميني (*) يصف البحر والسفينة ، منها قوله :

يا مولانا وأبثك ما لاقيت من أهوال هذا البحر ، وأحدّث عنه ولا حرج ، فكم وقع المملوك من أعاريضه في زحاف تقطّع منها القلب لما دخل إلى دوائر تلك اللجج ، وشاهدت منه سلطانا جائرا (**يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**)[3]. ونظرت إلى الجوار الحسان وقد رمت أزر قلوعها ، وهي بين يديه لقلّة رجالها تسبى ، فتحقّقت أنّ رأي من جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب ، واستصوبت هنا رأي من جاء يمشي وهو راكب. وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ في البحر سبيله ، وكم قلت من شدّة الظمأ : يا ترى قبل الحفرة هل أطوي من البحر هذه الشقة الطويلة :

---

(1) انفردت (أ) في إيراد كلمة (وأنشدته) ، وهي موجودة في معاهد التنصيص 2 / 25 وديوان ابن حمديس.
(2) يريد الآية الكريمة(**وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها**) سورة هود / 41.
(3) سورة الكهف / 79.

وهـل أبـاكـر بحـر الـنّيـل مـنشـــرحـا وأشـــرب الحـلـو مـن أكـواب مـلّاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف ، وحملنا على نعش الغراب ، وقامت واوات دوائره مقامع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والأخشاب ، وقارن العبد فيها سوداء استرقّت موالينا وهي جارية (**فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ**)[1] ، (**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ**)[2]. واقعها الحرب فحملت بنا ، ودخلها الماء فجاءها المخاض ، وانشق قلبها لفقد رجالها ، فجرى ما جرى على ذلك القلب وفاض. وتوشّحت بالسواد في هذا المأتم ، وسارت على البحر وهي مثل ، وكم سمع للمغاربة على ذلك التوشيح زجل. برج مائي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت ، وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسنّدة عدّ من المقبرين في تابوت. تأتي بالطباق ولكن بالقلوب ، لأن صغيرها كبير ، وبياضها سواد ، وتمشي على الماء ، وتطير مع الهواء ، وصلاحها عين الفساد. إن نقّر الموج على دفوفها لعبت أنامل قلوعها بالعود ، وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود. تتشامم وهي ـــ كما قيل ـــ أنف في السماء وأست في الماء ، وكم نطيل الشكوى إلى قامة صاريها [3] عند الميل وهي الصعدة الصمّاء ، فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين ، وتتصابى إذا هبّت الصّبا وهي ابنة مائة وثمانين ، وتوقف أحوال القوم (**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ**)[4] وتدعي براءة الذمّة وكم استغرقت لهم من أموال. هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الأمواج ، وكم وجلت القلوب لما صار لأهداب مجاذيفها في مقلة البحر اختلاج ، وكم أسبلت على وجنة طرّة قلعها فبالغ الريح في تشويشها ، وكم مرّ على قريتها العامرة فتركها (**وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها**)[5]. تتعاظم فتهزل إلى أن ترى ضلوعها من السقم تعدّ ، ولقد رأيناها

---

(1) سورة طه / 78.

(2) أصل الآية (هل أتاك حديث الغاشية) سورة الغاشية / 1.

(3) الصاري : عمود يركز قائما في وسط السفينة يعلّق به الشراع ، جمعه صوار.

(4) سورة هود / 42.

(5) سورة البقرة / 259 وسورة الكهف / 42.

بعد ذلك قد ثبتت وهي (**حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**)[1].

لطيفة : ذكر القاضي ابن خلكان قال : حكى تاج العلى أبو زيد المعروف بالنسّابة قال : حدثني أبو الأصبغ نباتة بن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثي الأندلسي عن جده زيد بن محمد قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية [2] إلى أبي العرب الزبيري خمسمائة دينار ، وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه ــ وكان بجزيرة صقلية وهو من أهلها ، وهو أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الصقلي الشاعر [3] ــ وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحصري [4] وهو بالقيروان ، فكتب إليه أبو العرب :

لا تعجبنّ لراسي كيف شاب أسى ... واعجب لأسود عيني كيف لم يشب

البحر للرّوم لا تجري به سفن ... إلّا على غرر والبرّ للعرب [5]

وكتب إليه الحصري (*) :

أمرتني بركوب البحر أقطعه ... غيري ، لك الخير ، فاخصصه بذا الداء [6]

ما أنت نوح فتنجيني سفينته ... ولا المسيح أنا أمشي على الماء

وما ألطف قول الخباز البلدي [7] وقد سافر محبوبه في البحر :

---

(1) سورة أبي لهب / 5.

(2) هو أبو القاسم المعتمد على الله بن المعتضد بالله عباد أكبر ملوك الطوائف. توفي سنة 488 هـ (أنوار الربيع 1 / 103).

(3) توفي أبو العرب مصعب سنة 506 هـ وقيل : كان حيا سنة 507 (أنوار الربيع 2 / 39).

(4) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري. توفي سنة 488 هـ (معجم المؤلفين 7 / 125).

(5) في وفيات الأعيان 3 / 21 (لا يجري السفين به).

(6) البيتان منسوبان أيضا لابن رشيق وهما في ديوانه. وفيه رواية البيت الأول كالآتي :

أمرتني بركوب البحر مجتهدا ... وقد عصيتك فاختر غير ذا الداء

وما أثبته المؤلف موافق لرواية وفيات الأعيان.

(7) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن حمدان المعروف بالخباز البلدي. لم

سـار الحبيب وخلّف القلبا يبدي العزاء ويضمر الكربا [1]

قد قلت إذ سار السّفين به والشوق ينهب مهجتي نهبا

لو أنّ لي عزّا أصول به لأخذت كلّ سفينة غصبا

قيل : وليس في المعمور أعظم من هذا البحر الذي ركبناه وهو البحر الهندي ، ويقال له : الحبشي.

قال المسعودي : يمتد طوله من المغرب إلى المشرق ، من أقصى الحبش إلى أقصى الهند والصين ثمانية آلاف ميل ، وعرضه ألفان وتسعمائة ، وفي مواضع أخر ألف وتسعمائة ، وقد يتقارب في قلة العرض في موضع دون موضع ويكثر. وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة أعرضنا عن ذكره لعدم الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة.

وقد ذكر كيفية تشعّب الخلجان منه ، وامتدادها إلى أماكن لا حاجة بنا إلى ذكرها. وإن بحر فارس ، وبحر اليمن ، وبحر القلزم ، وبحر الحبش ، وبحر الزنج ، وبحر الصين كل هذه البحور خلجان من هذا البحر. وعدّ بحورا أخرى تتشعب من هذا البحر ، ولسنا بصدد بيان ذلك. ولا بأس بذكر شيء من أخبار البحر وعجائبه ، وجزائره إلى غير ذلك مما يفضي إليه المقام لما فيه من الإشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه.

ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد [2]

تنازع المتقدمون من الحكماء في مبادئ كون البحار وعللها. فذهب طائفة منهم إلى أنّ البحر هو بقيّة من الرطوبة الأولى التي جفّف أكثرها جوهر النار ، وما بقي منها استحال لاحتراقه ملحا.

ومنهم من قال : انّ الرطوبة الأولى المجتمعة لما احترقت بدوران

أقف على تاريخ وفاته. تراجع ترجمته في يتيمة الدهر 2 / 208 ، والذريعة إلى تصانيف الشيعة 9 / 288.

(1) في (ع وك) : ويظهر الكربا. وفي (أ) : ويبدى الكربا. والتصويب من يتيمة الدهر.

(2) البيت لأبي العتاهية. والذي في الديوان (وفي كلّ شيء).

الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقي إلى ملوحة ومرارة.

ومنهم من رأى أنّ البحار عرق تعرقه الأرض لما ينالها من احتراق الشمس لاتصال دورها.

ومنهم من رأى أنّ البحر هو ما بقي مما صفّته الأرض (من الرطوبة الثانية [1]). وقيل غير ذلك.

وهو خلاف لا ثمرة فيه. وذكر أنّ الله تعالى لما أمر نوحا (ع) بركوب السفينة (وغرق الأرض [2]) خمسة أشهر ، ثم أمر الأرض أن تبلع الماء ، والسماء أن تقلع ، واستوت على الجودى ، أسرع بعض الأرض إلى بلع الماء عندما أمرت ، وبعضها لم يسرع. فمن أطاع كان ماؤه عذبا إذا احتفر ، وما تأخّر أعقبه الله بماء ملح. وما تخلّف من الماء الذي امتنعت الأرض من بلعه صار [3] إلى قعور مواضع من الأرض ، فمن ذلك البحار وهي بقية ماء غضب أهلك به أمم. كذا نقله المسعودي في أول كتابه.

وهذا إن صح في الأثر فلا كلام ، وإلّا فقضيته أنّ البحار لم تتكون قبل زمان نوح (ع) وفيه نظر ظاهر لمن تتبّع الأثر.

وذكر صاحب المنطق : أنّ مواضع البرّ ليست هي أبدا برّا ، ولا مواضع البحر أبدا بحرا بل قد تكون برا حيث كان مرة بحرا ، وتكون بحرا حيث كان مرة برا ، وعلّة ذلك الأنهار وبدؤها ، فإن لمواضع الأنهار شبابا وهرما ، وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك في الحيوان ، إلّا أنّ الشباب والكبر في الحيوان لا يكون جزءا بعد جزء ، بل تشبّ وتكبر أجزاؤها معا ، وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد. فأما الأرض فإنها تهرم وتكبر جزءا بعد جزء وذلك بدوران الشمس. وقد اختلف في علة المدّ والجزر اختلافا طويلا لا حاجة بنا إلى التطويل بذكره.

وأمّا عجائب البحر فلا تدخل تحت الحصر ، ويكفي في ذلك الحديث :

---

(1) في مروج الذهب 1 / 127 (من الرطوبة المائية).

(2) في مروج الذهب 1 / 40 (وقد غرق جميع الأرض).

(3) في مروج الذهب (انحدر) مكان (صار).

حدثوا عن البحر ولا حرج. قيل : الواو للحال ، أي حدّثوا عنه حال لا حرج عليكم في ذلك. ولنذكر منها نبذة مستطرفة :

قال القشيري : يقال : أنّ سليمان (ع) سأل ربّه أن يأذن له أن يضيف يوما جميع الحيوانات ، فأذن الله تعالى له ، فأخذ في جمع الطعام مدة طويلة ، فأرسل الله تعالى له حوتا واحدا من البحر فأكل كلّ ما جمعه سليمان في تلك المدة الطويلة ثم استزاد ، فقال سليمان : لم يبق لي شيء ، ثم قال له : وأنت تأكل كلّ يوم مثل هذا؟ فقال : رزقي كلّ يوم ثلاثة أضعاف هذا ، ولكن الله تعالى لم يطعمني اليوم إلّا ما أطعمتني أنت ، فليتك لم تضفني ، فإني بقيت اليوم جائعا حيث كنت ضيفك.

وفي هذا إشارة إلى عظيم سلطان الله تعالى وسعة خزائنه ، إذ مثل سليمان (ع) مع عظم ملكه الذي آتاه الله تعالى عجز عن أن يشبع مخلوقا من مخلوقات الله تعالى ، ثم انظر ما اشتمل عليه البحر مما يشبع هذا الحوت في كل يوم ، فسبحان المتكفّل بخلقه.

وقال أبو حامد الأندلسي [1] : رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة من نسل الحوت الذي أكل منه موسى (ع) وفتاه يوشع ، فأحيا الله نصفه فاتّخذ سبيله في البحر سربا ، ونسلها في البحر إلى الآن في ذلك الموضع ، وهي سمكة طولها أكثر من ذراع ، وعرضها شبر واحد ، في جانبيها شوك وعظام ، وجلدها رقيق على أحشائها (ولها عين ونصف رأس [2] من رآها من هذا الجانب استقذرها ، ويحسب أنّها مأكولة ميّتة ، ونصفها الآخر صحيح ، والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المواضع البعيدة قال ابن عطية [3] : وأنا رأيته كذلك.

---

(1) أبو حامد الأندلسي صاحب كتاب تحفة الغرائب. كان حيا سنة 556 هـ ، يروي عن كتابه كلّ من الدميري في كتابه حياة الحيوان ، والقزويني في كتابه عجائب المخلوقات (كشف الظنون / 1127 و 1128)

(2) في ع (وعينها ورأسها نصف رأس) وفي ك ، وأ (ورأسها نصف رأس) والتصويب من حياة الحيوان 1 / 269.

(3) (ابن عطية) يروي عنه الدميري في كتابه المذكور.

(وعن ابن عباس [1]) إن الحوت إنما حيي لأنّه مسه ماء عين هنالك تدعى عين الحياة ، ما مسّت شيئا ميتا قطّ إلّا وحيي ، وكانت حياة الحوت عند مجمع البحرين : بحر [العرب] وبحر القلزم [2] مما يلي الشرق ، وقيل : هما بحر الأردن ، وبحر القلزم ، وقيل غير ذلك.

والحكمة في جمع موسى مع الخضر **عليهماالسلام** بمجمع البحرين : أنّهما بحران في العلم ، أحدهما أعلم بالظاهر ـ يعني الشرع ـ وهو موسى (ع) ، والآخر أعلم بالباطن ـ يعني علم الحقيقة وأسرار الملكوت . وهو الخضر (ع). كذا في حياة الحيوان الكبرى للدميري.

ومن العجائب ما حكاه القزويني في عجائب المخلوقات عن عبد الرحمن بن هارون المغربي قال : ركبت بحر المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له : البرطون ، وكان معنا غلام صقلّي معه صنارة فألقاها في البحر ، فاصطاد سمكة نحو الشبر ، فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب : لا إله إلّا الله ، وفي قفاها : محمد ، وخلف أذنها اليسرى : رسول الله.

ومن عجائب البحر : إنسان الماء ، وهو يشبه الإنسان إلّا أن له ذنبا. قال القزويني : وقد جاء شخص بواحد منها في زماننا مقددا كما ذكرنا ، ويقال : أنه يظهر في بحر الشام في بعض الأوقات من شكله شكل إنسان ، وله لحية بيضاء يسمونه : شيخ البحر ، فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب.

وحكي أن بعض الملوك حمل له إنسان الماء ، فأراد الملك أن يعرف

---

(1) في حياة الحيوان (ومن غريب ما يروي البخاري عن ابن عباس في قصص هذه الآية).

(2) (بحر القلزم) كذا ورد في الأصول ، وفي حياة الحيوان (بحر الروم).

قال سيد قطب ـ في ظلال القرآن ، في تفسير الآية (60) من سورة الكهف ـ : والأرجح ـ والله أعلم ـ أنه مجمع البحرين : بحر الروم وبحر القلزم ، أي البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، ومجمعهما : مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح.

حاله فزوّجه امرأة ، فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه ، فقال للولد : ما يقول أبوك؟ قال يقول : أذناب الحيوانات كلّها في أسفلها ، فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوههم؟ وبنات الماء كالنساء.

قال ابن أبي الأشعث : هي سمك ببحر الروم تشبه النساء ، ألوانهنّ إلى السمرة ، ذوات شعور وفروج عظام وثدي ، وكلام لا يكاد يفهم ، ويضحكون ويقهقهون ، وربّما وقعن في أيدي بعض أهل المراكب فينكحوهنّ ثم يعيدونهن إلى البحر. ويقال : إن هذا الجنس يوجد في برّ رشيد [1].

وحكي عن الشيخ أبي العباس الحجازي ، قال : حدثني بعض التجار : أنه في سنة من السنين خرجت إليهم سمكة عظيمة ، فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ، ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء ، سوداء الشعر ، حمراء الخدين نجلاء العينين من أحسن ما تكون من النساء ، ومن سرّتها إلى نصف ساقيها شيء كالثوب يستر قبلها ودبرها ، ودائر عليها كالإزار ، فأخذتها الرجال إلى البر فصارت تلطم وجهها ، وتنتف شعرها ، وتعضّ يديها ، وتصيح كما يصيح النساء حتى ماتت في أيديهم ، فألقوها في البحر ، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وقال صاحب تحفة الغرائب : حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال : حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد أنّه ركب سفينة في بحر الهند ، فرأى طاووسا قد خرج من البحر أحسن من طاووس البر ، وأجمل ألوانا ، قال : فكبّرنا لحسنه ، فجعل يسبح وينظر إلى نفسه ، ينشر أجنحته وينظر إلى ذنبه ساعة ثم غاص في البحر.

وفرس البحر يوجد بالنيل أفطس الوجه ، ناصيته كالفرس ، وأرجله كالبقر ، وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير ، وجلده غليظ ، ووجهه أوسع من وجه الفرس. يصعد البرّ ، ويرعى الزرع ، وربما قتل الإنسان وغيره.

وفي البحر سمكة تسمّى (الدلفين) تنجي الغريق ، يدنو منها فتمكّنه من

---

(1) رشيد : بلدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية.

ظهرها ليستعين على السباحة فتكون من أقوى الأسباب في نجاته ، وصفتها كصفة الزقّ المنفوخ ، ولها رأس صغير جدّا ولا تؤذي أحدا ، ولا تأكل إلّا السمك.

وحكى القزويني : أنّه يؤتى في بعض الجزائر على قصر مصنوع من بلّور على قلعة محكمة البناء ، وحولها قناديل لا تطفأ.

ونقل عن أبي حامد الأندلسي صاحب تحفة الغرائب (*) : أنّ على البحر الأسود [1] من ناحية الأندلس كنيسة من الصخر منقورة في الجبل عليها قبة عظيمة ، وعلى القبة غراب لا يبرح. ومقابلة القبة مسجد تزوره الناس ، يقولون : إن الدعاء فيه مستجاب. وقد شرط على القسيسين ضيافة من زار ذلك المسجد من المسلمين ، فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه في روزنة على تلك القبة ويصيح صيحة ، فإن قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما قدم زوّار صاح على عددهم ، فيخرج الرهبان بطعام يكفي الزائرين. وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب ، ويزعم القسيسون أنّهم ما زالوا يرون غرابا على تلك القبة ولا يدرون من أين يأكل.

ومن جزائر البحر العجيبة : جزيرة القمر (بضم القاف وإسكان الميم ثم راء مهملة) [2] طولها أربعة عشر في عرض عشرين يوما إلى أقل من ذلك ، وتحاذي جزيرة سرنديب ـ كذا في الخطط ـــ وقال السمعاني في الأنساب : أظنّها بمصر. وفي المستطرف : يقال أنها بالقرب من نيل مصر. قال : ويقال أن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ، ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا ، وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحفون بورق الشجر ، وهو ورق يشبه ورق الموز لكنّه أسمك وأعرض وأنعم ، ويقال أنّ هذه الأمة التي بها يتمذهبون

---

(1) (البحر الأسود) كذا ورد في الأصول وعجائب المخلوقات / 82 ، ولعل المقصود (بحر الظلمات) وهو المحيط الأطلسي.

(2) كذا ضبطها ياقوت أيضا في معجمه وقال (هي في وسط بحر الزنج ، وليس في ذلك البحر أكبر منها. فيها عدة مدن وملوك ، ويوجد في سواحلها العنبر).

بمذهب الشافعي ، وهم في غاية اللّطافة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بالقرب منهم معدن الذهب والياقوت ، وبها الفيلة البيض ، وحيوانات مختلفة الأشكال من الوحوش وغيرها ، وبها العود القماري ، والأبنوس ، والطواويس ، وبها مدن كثيرة. قال في الخطط : وإليها ينسب الطائر القمري. ونقله السمعاني في الأنساب أيضا عن صاحب الجمل قال : والقمري طائر ينسب إلى هذه البلدة.

ومنها جزيرة واق خلف جبل يقال له أصطنون داخل البحر الجنوبي ، قال القزويني : إن هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة ، وإن بعض المسافرين [1] وصل إليها ودخل فرأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير ، وعلى رأسها تاج من الذهب ، وحولها أربعمائة وصيفة [2] كلهنّ أبكار. قيل : وفي هذه الجزيرة شجر يشبه شجر الجوز والخيار الشنبر [3] ويحمل حملا كهيئة الإنسان ، فإذا انتهى يسمع له تصويت يسمع منه (واق) ثم يسقط.

وعن الجاحظ أن الواق واق نتاج بين بعض النبات وبين بعض الحيوانات ، ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى.

قال القزويني : وهذه الجزيرة كثيرة الذهب ، يقال أن (سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها [4]) من الذهب ، والله سبحانه أعلم.

وبالجملة فعجائب البحر لا تدخل تحت الحصر ، وهذه قطرة من بحر ، وقليل من كثير.

غريبة : روى أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان بن عيينه عن مسعر [5]

---

(1) في عجائب المخلوقات / 71 (قال موسى بن المبارك السيرافي : دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة ، وعلى رأسها تاج ...).

(2) في المصدر المذكور (أربعة الاف وصيفة).

(3) في القاموس (خيار شنبر : شجر).

(4) في عجائب المخلوقات (سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم).

(5) في ع (مشعر) وفي ك ، وأ (معشر) والتصويب من حلية الأولياء 7 / 289.

بن كدام أنّه قال : أن رجلا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة ، فمكث ثلاثة أيام لم ير أحدا ، ولم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال :

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللّبن الحليب [1]

فأجابه صوت مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب [2]

فنظر فإذا سفينة أقبلت ، فلوّح لهم فأتوه فحملوه فأصاب خيرا كثيرا.

كان شريح القاضي لا يقبل شهادة من ركب البحر ويقول : من لا يكون أمينا على نفسه لا يكون أمينا على غيره.

وفي الحديث : لا تركب البحر إلّا حاجا ، أو معتمرا ، أو غازيا في سبيل الله ، فإنّ تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا.

وأراد عمر بن الخطاب يغزو قوما على البحر ، فكتب إليه عمرو بن العاص وهو عامله على مصر : يا أمير المؤمنين إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، دود على عود. فقال عمر : لا يسألني الله عن أحد أحمله فيه.

امتنع حكيم من ركوب البحر فقيل له في ذلك فقال : إني لأكره أن أركب ما لا أملك عنانه ، ولا أضبط زمامه.

قيل لبعض التجار : ما أعجب ما رأيت في البحر؟ قال : سلامتي منه.

فائدة : إذا اضطرب البحر يتكئ الراكب على جانبه الأيمن ويقول : أسكن بسكينة الله. وقرّ بقرار الله ، واهدأ بإذن الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : أمان لأمتي من الغرق إذا هم ركبوا السفن أن يقولوا : بسم الله الملك (**وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا**

---

(1) ورد البيت في أما لي المرتضى 2 / 221 بدون عزو ، وفيه (رجوت أهلي).

(2) البيت لهدبة بن الخشرم المتوفى حوالي سنة (50) هـ (الأعلام 9 / 69) وهو من قصيدة ـــ أوردها القالي في أماليه 1 / 72 ، وابن الشجري في حماسته / 227.

يُشْرِكُونَ)[1]. (بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)[2].

وما أحسن قول الوزير الكاتب أبي بكر بن سعيد ابن القبطرنة البطليوسي [3] من رقعة كتبها إلى الوزير أبي الحسين بن سراج [4] :

ولولا عوائق الزمان لطرت إليك بجناح ، أو لا متطيت أعناق الرياح. إلى أن قال : أو اتخذت السمكة سفينة ، وأقمت لها من النعائم ألواحا ، وعطارد ملّاحا ، وشرعتها بالغيوم ، وسمرتها بالنجوم ، وجدفت بالفرقدين ، وحملت من آمالي فيها من كل زوجين اثنين ، واعتصمت بالقوّة والحول ، وخالفت كلّ من سبق عليه القول ، واستعذت من شيطان الكسل وهو رجيم ، وقلت (بِسْمِ اللهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وتلطّف من قال :

بلغت رشدي وما أدركت منك منى ... وا حيرتي من بلوغي قبل إدراكي [5]

سفينة الصّبر في بحر الدموع رست ... فقال جفني باسم الله مجراك

وما ألطف قول الشيخ الأديب اللابس من أثواب الفصاحة بردها القشيب جعفر بن محمد الخطّي [6] شاعر البحرين ، وهو المبلغ من محاسن الشعر الأماني ، وناهيك باللؤلؤ البحراني ، من قصيدة :

وعبرة لو دعي نوح ليركبها ... بفلكه قال باسم الله مجريها [7]

---

(1) سورة الزمر / 67 ، وأصل الآية (وما قدروا ...).

(2) سورة هود / 41.

(3) هو أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد بن القبطرنة ، وفي قلائد العقيان / 154 (القبطرنية) وفي المغرب في حلى المغرب 1 / 367 (القبطورنة) وما أثبته المؤلف موافق لرواية الإحاطة في اخبار غرناطة 1 /. 528

(4) هو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج. توفي سنة 508 ه (بغية الوعاة 1 / 576 وقلائد العقيان / 210).

(5) في ك (أدركت رشدي).

(6) هو أبو البحر جعفر بن محمد بن حسن بن علي بن ناصر الشهير بالخطّي من بني عبد القيس ، شاعر فحل توفي سنة 1028 ه (أنوار الربيع 2 / 257).

(7) في أنوار الربيع (ليسلكها) مكان (ليركبها).

وما أحسن قوله بعد هذا البيت :

ومقلة ألفت فرط السّهاد فلو ردّ الرقاد عليها كاد يؤذيها
ماذا على الطّير إذ أبلى الضّنى جسدي فخفّ لو حملتني في خوافيها
إن يقعد الطّير عن حملي لكم وسرت ريح الصّبا فاطلبوني في مساريها
تلقي لكم جسدا لو أنّ علّته يدعى المسيح لها ما كان يبريها
لقد تضاءل حتّى لو قذفت به في مقلة ما أحسّته مآقيها

قلت : هذا والله الشعر الخالص من الحشو ، الذي يأخذ بمجامع القلوب ، وتستشفّه الأسماع [1]. وكانت وفاة الشاعر المذكور سنة ثمان وعشرين وألف بشيراز ، وله ديوان شعر أجاد فيه كلّ الإجادة ، وكان ذا بديهة قوية بارعا مفلقا ، مستحضرا لأشعار العرب وأخبارها.

ومن بديع قصائده التي تشهد له بقوة الملكة ، وقدرة التصرّف في المعاني والألفاظ : قصيدته الرائية المشهورة التي يصف فيها حاله وقد ضربته سمكة تعرف بالسبيطيّة في وجهه فشجته وهو عابر من قرية تسمى (مرّي) ــ بكسر الميم ، وتشديد الراء المهملة ، وبعدها ياء مثناة من تحت ــ إلى بحرين يقال لأحدهما (البلاد) ، وللآخر (توبلي) ــ بضم التاء المثناة من فوق ، وبعد الواو باء موحدة مكسورة ، وبعدها لام وياء مثنّاة من تحت ــ وكان صحبته ابنه حسان ، ولا بأس بإيرادها لحسنها وغرابتها ، على انّا لم نخرج عن ذكر البحر ، وهي :

برغم العوالي والمهنّدة البتر دماء أراقتها سبيطيّة البحر
ألا قد جنى بحر البلاد وتوبلي عليّ بما ضاقت به ساحة البرّ
فويل بني شنّ بن أفصى وما الذي رمتهم به أيدي الحوادث من وتر [2]
دم لم يرق من عهد نوح ولا جرى على حدّ ناب للعدوّ ولا ظفر

---

(1) يأتي في (ك) بعد كلمة الأسماع (وتحسوه العقول للنشو).

(2) بنو شن بن أفصى بن عبد القيس : قبيلة الشاعر.

تحامته أطراف القنا وتعرّضت ... له الحوت يا بؤس الحوادث والدّهر
لعمر أبي الأيّام إن باء صرفها ... بثار امرئ من كلّ صالحة مثر
فلا غرو فالأيّام بين صروفها ... وبين ذوي الأخطار حرب إلى الحشر
ألا فابلغ الحيّين بكرا وتغلبا ... فما الغوث إلّا عند تغلب أو بكر
أيرضيكما أنّ امرءا من بنيكما ... وأيّ امرئ للخير يدعى وللشّرّ
يراق على غير الظّبى دم وجهه ... ويجري على غير المثقّفة السّمر
وتنبو نيوب اللّيث عنه وينثني ... أخو الحوت عنه دامي الفم والثّغر
ليقض امرؤ من قصّتي عجبا ومن ... يرد شرح هذا الحال ينظر إلى شعري
أنا الرجل المشهور ما من محلّة ... من الأرض إلّا قد تخلّلها ذكري
فإن أمس في قطر من الأرض أنّ لي ... بريد اشتهار في مناكبها يسري
تولّع بي صرف القضاء ولم تكن ... لتجري صروف الدّهر إلّا على الحرّ
توجّهت من مرّي ضحى فكأنّما ... توجّهت من مرّي إلى العلقم المرّ
تلجّجت خور القريتين مشمّرا ... وشبلي معي والماء في أوّل الجزر [1]
فما هو إلّا أن فجئت بطافر ... من الحوت في وجهي ولا ضربة الفهر [2]
لقد شقّ يمنى وجنتيّ بنطحة ... وقعت لها دامي المحيّا على قطري [3]
فخيّل لي أنّ السماوات أطبقت ... عليّ وأبصرت الكواكب في الظهر
وقمت كهدي ندّ من يد ذابح ... وقد بلغت سكّينه ثغرة النّحر [4]

---

(1) تلجّجت : ركبت اللجّة. الخور (بفتح فسكون) : الخليج من البحر ، ومصب الماء في البحر.

(2) الفهر : الحجر قدر ما يملأ الكفّ ، مذكر ويؤنث.

(3) القطر (بالضم) : الناحية ، والجانب.

(4) الهدي : ما يذبح ويهدى إلى الحرم من النعم. ندّ : نفر ، وذهب على وجهه شاردا.
في سلافة العصر / 530 (كجدي) مكان (كهدي).

يطوّحني نزف الدّماء كأنّني نزيف طلا مالت به نشوة الخمر [1]

فمن لا مرئ لا يلبس الوشي قد غدا وراح موشّى الجيب بالنّقط الحمر

ووافيت بيتي ما رآني امرؤ ولم يقل أو هذا جاء من ملتقى الكرّ

فها هو قد أبقى بوجهي علامة كما اعترضت في الطرس إعرابة الكسر

فإن يمح شيئا من محيّاي أثرها بمقدار أخذ المحو من صفحة البدر

فلا غرو فالبيض الرّقاق أدلّها على العتق ما لاحت به سمة الأثر

وقل بعد هذا للسبيطيّة افخري على سائر الشجعان بالفتكة البكر

وقل للظبى فيئي إليك عن الطّلى وللسّمر لا تهززن يوما إلى صدر [2]

فلو همّ غير الحوت بي لتواثبت رجال يخوضون الحمام إلى نصري

فأمّا إذا ما عزّ ذاك ولم أكن لأدرك ثاري منه ما مدّ في عمري

فلست بمولى الشّعر إن لم أزجّه بكل شرود الذكر أعدى من العرّ [3]

أضرّ على الأجفان من حادث العمى وأبلى على الآذان من عارض الوقر

يخاف على من يركب البحر شرّها وليس بمأمون على راكب البرّ [4]

تجوس خلال البحر تطفح تارة وترسو رسوّ الغيص في طلب الدر

تناول منه ما تغالى بسبحة وتدرك دون القعر مبتدر القعر

لعمر أبي الخطّيّ إن بات ثاره لدى غير كفء وهو نادرة العصر

فثار عليّ بات عند ابن ملجم وأعقبه ثار الحسين لدى شمر

ولما وقف الشريف العلامة السيد ماجد بن هاشم البحراني [5] **رحمه‌الله**

---

(1) النزيف : السكران. الطلا (بالكسر) وأصله الطلاء : ما يطبخ من عصير العنب ، ويطلق على الخمر.

(2) في سلافة العصر (مهلا) مكان (فيئي). الطلى (بالضم) : الرقاب.

(3) العر (بفتح العين وتشديد الراء) : الجرب.

(4) في سلافة العصر (على سالك البرّ).

(5) هو السيد ماجد بن هاشم بن علي بن المرتضى بن علي بن ماجد الحسيني البحراني.

تعالى على هذه القصيدة كتب مقرّظا :

أجلت رائد الفطنة في معانيها ، وسرّحت صاعد الفكرة في أركانها ومبانيها ، فوجدتها قرّة في عين الابداع ، ومسرّة في قلب الاختراع ، والحقّ أحقّ بالاتباع. فالحمد لله على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها ، وتقويم راية البلاغة بعد انتكاسها ، وردّ غرائب الفصاحة إلى مسقط رأسها ، [وإزالة وحشتها إلى إيناسها][1].

ولنعد إلى ما نحن بصدده : ولم نزل في أسر البحر ، وقد دارت علينا منه الدوائر ، واختلفت تفاعيله ، فهو طويل وبسيط ومديد ووافر ، نكابد من نحوه ما مللنا معه رفعه وخفضه ، ونلاقي من نصبه ما اخترنا عليه رفضه ، حتى رأينا العلامات فرجونا الحياة بعد خشية الممات. والعلامات : حيّات ، أو حيتان طوال رقاق كالحيّات في ألوانها وحركاتها ، سمّيت بذلك لأنها علامات الوصول إلى بلاد الهند ، وإمارات النجاة من المهالك لطول هذا البحر وصعوبته [2]. قال بعضهم : إنّها التي أراد الله بقوله (**وَعَلامـاتٍ وَبِـالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**)[3]. ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى [4].

فلما كان ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة الحرام شاهدنا الجبال والبرّ ، وأيقنا أن الله تعلى قد لطف بنا وبرّ. فبينا نحن في انتظار الفرج ، والخلاص من هذا البحر الذي حدّثنا عنه ولا حرج ، إذ عصفت الرياح وأخذت السفينة في الارتياح ، وجاءنا الموج من كلّ مكان ، ونسينا ـ للانزعاج ـ ما كان ، فانحرفت السفينة ، وهاج البحر دفينه ، فجعلت تفور ، كأنها التنور ، حتى بلغ الماء نصفها ، فشاهدنا من مواقع الهلاك ما لا تبلغ الحال وصفها ، ولولا

توفي سنة 1028 هـ (أنوار الربيع 1 / 155).

(1) في الأصول (وأزال وحشتها وإيناسها) والتصويب من أنوار البدرين / 292.

(2) في ك (وصعوبته على السالك).

(3) سورة النحل / 16.

(4) ج 2 ص / 150.

أن (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ)[1] لكنّا لا أثر ولا عين ، بل دخلنا تحت خبر كان ، واندرجنا في جواب أين ، فلم نزل ننزف الماء ويكثر ، وهو يقوى ونحن نفتر ، حتى منّ الله تعالى بريح كان بها النجاء ، وتحقّق الرجاء ، فطوينا تلك الشقّة الممتدّة ، وأغاثنا الله تعالى بالفرج بعد الشدّة ، ولله درّ القائل وهو ابراهيم ابن العباس (*) :

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنّها لا تفرج [2]

قال ابن خلكان : ما ردّدهما من نزلت به نازلة إلّا وفرج عنه.

ولما كان بعد الزوال من يوم الجمعة المبارك دخلنا الباب ، فسرنا في ماء عذب بين جبلين عليهما من الأنهار والأشجار والأزهار ما لا يمكن وصفه فلم نزل نسير بينهما إلى آخر النهار. ولما جنحت الشمس للغروب وصلنا المرسى فحمدنا الله على ما أذكر وأنسى ، وأعلن لسان الحال بقول من قال :

يا ذا المعارج كم سألتك نعمة فمنحتها لي بالذّنوب الأوفر [3]
أيّ العوارف منك أشكر فضله عجز المقلّ وزاد طول المكثر
أكفايتي ما قد حذرت وقوعه أم ما كفيت من الذي لم أحذر [4]

ثم نزلنا البندر وهو بندر (جيتابور) ـ بجيم مكسورة وياء مثناة من تحت ، فتاء مثناة من فوق ، وبعد الألف باء موحّدة مضمومة ، فواو ساكنة ، فراء مهملة ـــ وكان وصولنا ابّان الربيع بالديار الهندية ، فألفيناه قد نشر مطارفه وأبرز تالده وطارفه. لا تقع العين إلّا على رياض خضرة ، وغياض يانعة نضرة ، والأرض تشكو والسماء تشكي ، والروض يضحك والغمام يبكي

---

(1) سورة الرعد / 38.

(2) في معجم الأدباء 1 / 187 (وكنت أظنّها) ، وما أثبته المؤلف موافق لرواية وفيات الأعيان 1 / 29.

(3) الذنوب (بالفتح) : الحظ والنصيب ، والدلو التي لها ذنب. تؤنث وتذكر.

(4) في ك (آمنتني) مكان (أكفايتي) و (أم ما أمنت) مكان (أم ما كفيت).

(للبحتري) [1] :

إذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا [2]

يمشي السحاب على أجبالها فرقا ويصبح الغيث في صحرائها بردا

فليس تبصر إلّا زاكيا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا

فأصبحنا نستنشق روائح الأزهار ، ونختال في رياض محفوفة بحياض وأنهار ، وتتملّى بتلك الخمائل ، ونتنزّه ما بين غصن معتدل إلى غصن مائل ، والصوادح تخطب على منابر أغصانها ، وتبدي فنون نغماتها على أفنانها. (لابن خفاجة) [3] :

وقد جال من جون الغمامة أدهم له البرق سوط والشّمال عنان

وضمّخ ردع الشمس نحر حديقة عليه من الطلّ السّقيط جمان [4]

ونمّت بأسرار الرّياض خميلة لها النّور ثغر والنسيم لسان

وما ألطف قول ابن رشيق (*) ، وقيل : النامي [5] :

خليليّ هل للمزن مقلة عاشق أم النّار في أحشائها وهي لا تدري

---

(1) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي. توفي سنة 284 هـ (أنوار الربيع 1 / 38). وردت كلمة البحتري في (ع) على الهامش ، ولا وجود لها في ك ، وأ.

(2) للوقوف على الروايات المختلفة يراجع ديوان البحتري 2 / 710 (المتن والهامش).

(3) هو أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة المتوفي سنة 533 هـ (أنوار الربيع 1 / 265). لم ترد كلمة (ابن خفاجة في ك ، وأ).

(4) الردع : الزعفران ، وأثر الطيب في الجسد.

(5) هو أبو العباس أحمد بن محمد النامي الدارمي. توفي بحلب سنة 399 هـ وقيل غير ذلك (أنوار الربيع 5 / 125). في ك (وما أنمى قول النامي) ، والأبيات في يتيمة الدهر 1 / 247 منسوبة للنامي ، وفي حلبة الكميت / 329 للزاهي وقيل لابن رشيق ، وفي زهر الآداب 1 / 195 لأبي العباس الناشي. وفي تلك المصادر اختلافات في الرواية وعدد الأبيات. وما أثبته المؤلف موافق لرواية حلبة الكميت ، وعليها عوّل جامع شعر ابن رشيق.

سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد فعاجت له نحو الرّياض على قبر
ترقرق دمعا في خدود توشّحت مطارفها بالبرق طرزا من التّبر
فوشي بلا رقم ونسج بلا يد ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر

وأعجب لقول ابن نباتة [1] :

قفا فاعجبا من هامل الغيث إنّه لأعجب شيء يعجب العين والفكرا [2]
يمدّ على الآفاق بيض خيوطه فينسج منه للثّرى حلّة خضرا

فأقمنا بهذا البندر ثلاثة أيام ، ثم انتقلنا إلى بندر أعظم منه ، وكان هذا فرضة لذاك ، فسرنا في الخور على الزورق بين ذينك الجبلين حتى وصلنا إليه ، وهو قرية لطيفة يقال لها (راجابور) ــ براء مهملة وبعد الألف جيم ثم ألف فباء موحدة مضمومة فواو ساكنة فراء ــ ، وفيها عمارة حسنة لمصطفى خان أعظم وزراء عادل شاه ، ولم يكن في تلك القرية عمارة سواها فنزلنا بها. وهذه القرية من أعمال (كوكن) ـــ بكاف مضمومة فواو ساكنة فكاف أخرى مفتوحة فنون ــ وهو صقع عظيم ليس في أرض الهند أكثر خراجا منه لحسن ربيعة فإن المطر يكون فيه ستة أشهر لا ينقطع ليلا ولا نهارا بخلاف سائر أرض الهند. فإنّ مدة المطر فيها لا تزيد على أربعة أشهر.

ورأينا بهذا البندر أشياء لم نكن نراها من قبل منها : الطائر المعروف بالطاووس وتكنّيه العرب أبا الوشي (وترخيمه) [3] طويس ، وهو من الطير كالفرس عزا وحسنا ، وفي طبعه العفّة وحب الزهو بنفسه والخيلاء ، والإعجاب بريشه ، وعقده لذنبه كالطاق لا سيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه. فإذا نظر في أعطافه ورأى ألوانه المختلفة زهي بنفسه وتاه ، وإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك

---

(1) هو الشيخ جمال الدين ابن نباتة المصري المتوفي سنة 768 هـ (أنوار الربيع 1 / 45).

(2) في الديوان (لأحسن شيء).

(3) (ترخيمه) كذا ورد في الأصول ، والذي في حياة الحيوان 2 / 88 (تصغيره). وجاء في لسان العرب (وأراه : تصغير طاوس مرخما).

وانكسر نشاطه وزهوه فصاح صياح العويل لحزنه ، وذلك لدقّة ساقيه ونتوء عرقوبيه.

وذكر الحكماء أنّه يعيش خمسا وعشرين سنة وهو أقصى عمره ، ويبيض في السنة مرّة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلاثة أيام ، ويحضنها ثلاثين يوما ويفرخ ، ولكن لا تستكمل قوى أفراخه في أقل من ثلاث سنين [1] ويلقي ريشه مع سقوط ورق الشجر ، وينبت مع ابتداء نبات الورق.

وزعم قوم أنّ الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه فتأتي الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة. وليس كذلك فإنّ سفاده يشاهده كثير ممن يعتني به.

وهو مع حسنه يتشاءم به ، وقلّما اتخذ في دار إلّا وباد أهلها ، وقد جرّب ذلك وهذا علة التشاؤم به [2]. وما ألطف قول الثعالبي صاحب اليتيمة :

طالع يومي غير منحوس فسقّني يا طارد البوس
خمرا كعين الدّيك في روضة كأنّها حلّة طاووس

فائدة حكيمة : أفاد صاحب الاشراق [3] : إن اختلاف ألوان رياش الطاووس (مثلا) [4] مستندة إلى رب نوع الطاووس ، وإذا كان لكل نوع رب ـــ جوهرا أو عرضا ـــ لم يتصور ذلك ولم يكن ذلك كذلك ، بل الأشبه الأقرب

---

(1) في ك (في أقل من سنة) وفي المعجم الزوولوجي 4 / 154 (ويتم نمو الذكر منه في السنة الثالثة).

(2) لي صديق مولع بتربية الطواويس منذ زمن بعيد ، ولا يزال هو وعائلته بخير والحمد لله. ويخيّل لي أن التشاؤم من الطاووس تحريف للمثل القائل (أشأم من طويس).

وطويس هذا : مخنث من أهل المدينة يقال أنه ولد يوم وفاة النبي **صلى الله عليه وسلم** وفطم يوم وفاة أبي بكر ، وختن يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل علي ، فتشاءم الناس به.

(3) لعله يريد صاحب كتاب حكمة الاشراق يحيى بن حنش السهروردي المقتول بحلب سنة 587 هـ (كشف الظنون 1 / 684).

(4) لا وجود لهذه الكلمة في (ك).

بإشـــراقنا أن يكون على وجه آخر ، ولعلّه أن الأســـباب الفلكية أوجبت أن يكون الطاووس (بمزاجه ومـادته تحت تـدبير كواكـب مختلفـة ، فـالطـاووس) [1] لعلاقـة تـدبير الكواكـب إيّـاه يستفيض من أرباب أنواع [2] مختلفة ، وهي أرباب أنواع الجواهر والأعراض استفاضات مختلفة بوجوه مختلفة مناسـبة لائقة بتدبير الكواكب المدبرة بوجوه مخصـوصـة لمناسـبة خاصـة ، خفيّة اللّميّة ، جليّة الأنيّة. انتهى ، فتدبّر والله المدبر [3].

فائدة : السـيد محمد الطاووس (بالأف واللام) بن اسـحاق بن الحسـن بن محمد بن داود [4] ـــ صاحب عمل النصف من رجب ـــ بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي **عليهم‌السـلام** ، لقّب بالطاووس لحسـن صـورته وحماشـة [5] قدميه. وهو الجد الثامن للسـيد علي صـاحب مهج الدعوات وغيره [6] وبه يتصـل نسـبه هكذا ، فهو علي بن موســـى بن جعفر بن محمـد (بن محمـد) [7] بن أحمـد بن محمـد بن أحمـد بن محمـد ، وهو الطاووس بن اسحاق ، وكان اسحاق يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، خمسمائة عن نفسه وخمسمائة عن والده ، وهو أول من ولي النقابة بسوراء [8].

وطاووس بن كيسان فقيه الحرم ، كان اسمه ذكوان فلقّب طاووس .

---

(1) سقطت هذه الجملة من ك. وفي أ(تدوير) مكان (تدبير).

(2) أرباب الأنواع : هي طبائع الأنواع ومدبراتها باصطلاحهم. أنظر كتاب حكمة الاشراق / 200 هـ.

(3) يأتي في ك بعد قوله : انتهى (فتدبر وانظر خطبة أمير المؤمنين **عليه‌الســـلام** في الطاووس ووصـــفه يتضـــح الأمر).

(4) في الكنى والألقاب 2 / 404 (محمد بن سليمان بن داود).

(5) حمشت الساق : دقّت.

(6) توفي السيد علي ابن طاووس سنة 664 هـ (معجم المؤلفين 7 / 248).

(7) في عمدة الطالب / 156 ، ومعجم المؤلفين (جعفر بن محمد بن أحمد).

(8) سـوراء (بالضـم والمد) : موضـع إلى جنب بغداد ، وقيل بغداد نفسـها ، وسـورا (بالقصـر) : مدينة تحت الحلة لها نهر ينسب إليها ، وكورة قريبة من الفرات.

بدون أداة التعريف ـــ لأنه كان طاووس القرّاء والعلماء ، وقيل : إنّ طاووسا اسمه ، وله ترجمة في ابن خلكان [1].

ورأينا في هذا البندر من الببغاي الخضـــر ما لا يحصـــى. واحدتها ببغا (بثلاث باآت موحدات ، أولاهنّ وثالثتهنّ مفتوحتان ، والثانية ســاكنة ، وبالغين المعجمة) وهي هذا الطائر المعروف بالدرة (بدال مهملة مضـمومة) كذا ضبطها في العباب [2] ، وضـبطها السـمعاني [3] في الأنســاب بباءين (بفتح الأولى وإســكان الثانية) وقال : لقّب بها أبو الفرج الشــاعر [4] لفصاحته ، وقال القضاعي [5] : للثغة كانت في لسانه.

قال الشيخ داود الضرير الأنطاكي في تذكرته : وهي ألوان ، أجوده الأخضر ، فالأحمر ، فالأصـفر. وأردؤه الأبيض وهو أكبرها ، يجلب من الصـين ، وهو طير لطيف الشـكل حادّ المخلب ، فإن مال فمه إلى حمرة فهو أســرع تعلما للكلام ، ولســانه كلســان الإنســان فيه مقاطع الحروف ، ويخاف فيتعلّم إذا هدّد. ومتى غذي الفســتق ، و [الأرز][6] والقرطم [7] أسـرع تعليمه ، وهو أشـد الطيور تضـرّرا بالبرد ، وإذا خرج من بلاده لم تزدوج ذكوره بإناثه ، ولم يبض. انتهى.

---

(1) وفيات الأعيان 2 /. 194

(2) العباب الزاخر : كتاب في اللغة للإمام الصغاني (الحسن بن محمد) المتوفى سنة 650 ه (كشف الظنون 2 / 1122 ، ومعجم المؤلفين 3 / 279).

(3) هو أبو سعيد عبد الكريم بن محمد المروزي السمعاني. توفي سنة 562 ه (طبقات الشافعية 7 / 180).

(4) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالببغا. توفي سنة 398 ه (أنوار الربيع 3 / 253).

(5) لعله محمد بن سـلامة بن جعفر القضـاعي الشـافعي الفقيه المؤرخ. توفي سـنة 454 ه (معجم المؤلفين 10 / 42).

(6) في ع ، وأ (اللازورد) وفي ك (الانزروت) والتصويب من البيت السادس من أبيات الصابي الآتية.

(7) القرطم (بالكسر) : حب العصفر ، والقرطمان : الهرطمان.

ويقال أنه أهدي لمعزّ الدولة ابن بويه [1] في أيامه درّة بيضاء ، سوداء المنقار والرجلين ، على رأسها ذؤابة.

والأخضر هو الموجود الآن ، وهو يتناول مأكوله برجله كما يتناول الإنسان الشيء بيده. قال أبو اسحاق الصابي [2] في وصفها وتخلّص إلى مدح أبي الفرج الببغا :

أنعتها صبيحة مليحه ... ناطقة باللّغة الفصيحة [3]

عدّت من الأطيار واللسان ... يوهمني بأنها إنسان

تنهي إلى صاحبها الأخبارا ... وتكشف الأستار والأسرارا

سكّاء إلّا أنّها سميعه ... تعيد ما تسمعه طبيعه

زارتك من بلادها البعيده ... واستوطنت عندك كالقعيده

ضيف قراه الجوز والأرز ... والضيف في إتيانه يعزّ

تراه في منقارها الخلوقي ... كلؤلؤ يلقط بالعقيق [4]

تنظر من عينين كالفصّين ... في النّور والظّلمة بصّاصين

تميس في حلّتها الخضراء ... مثل الفتاة الغادة العذراء

خريدة خدورها الأقفاص ... ليس لها من حبسها خلاص

تحبسها وما لها من ذنب ... وإنّما الحبس لفرط الحبّ

تلك التي قلبي بها مشغوف ... كنيت عنها واسمها معروف

---

(1) هو معز الدولة أحمد بن بويه بن فنا خسرو. توفي سنة 356 هـ (الأعلام 1 / 101).

(2) هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الحراني الصابي المتوفى سنة 384 (أنوار الربيع 1 / 240).

(3) القصيدة وجوابها في يتيمة الدهر 1 / 269 ، وحياة الحيوان 1 / 113 وفي رواية بعض الأبيات اختلاف.

(4) الخلوقي : نسبة إلى الخلوق (بالفتح) وهو خليط من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران ، وقيل هو الزعفران نفسه.

يشـــرك فـيـهـا شـــاعـر الـزّمـان الـكـاتـب المـعـروف بـالـبـيـان
ذلـك عـبـد الـواحـد بـن نصـــر يـقـيـه ربّي حـادثـات الـدّهـر

فأجابه أبو الفرج بقوله :

مـن مـنصـــفـي مـن محـكـم الـكـتّـاب شمـس الـعـلـوم قـمـر الآداب
أمســـى لأصـــنـاف الـعـلـوم محـرزا وســـام أن يـلـحـق لمـا بـرّزا [1]
وهـل يجـاري الســـابـق المـقصّـــر أم هـل يـبـاري المـدرك المـغـرّر

إلى أن قال في وصفها :

ذات شـــغـى تحســـبـه يـاقـوتـا لا تـرتضـــي غـير الأرزّ قـوتـا [2]
كـأنّمـا الحـبّـة في مـنـقـارهـا حـبـابـة تـطـفـو عـلـى عـقـارهـا

ومن محاسن شعر أبي الفرج المذكور :

ومـهـفـهـف لمـا اكـتسـت وجـنـاتـه خـلـع المـلاحـة طـرّزت بـعـذاره [3]
لمـا انـتصـرت عـلـى أليـم جـفـائـه بـالـقـلـب كـان الـقـلـب من أنصـــاره
كملـت محـاســن وجهـه فكـأنّمـا اقتبس الهـــلال الـنّـــور مـــن أنـــواره
وإذ ألحّ الـقـلـب في هـجـرانـه قـال الهـوى لا بـدّ مـنـه فـداره

وله في التشبيه وقد أبدع :

وكـأنّمـا نـقشـــت حـوافـر خـيـلـه لـلـنّـاظـريـن أهـلّـة في الجـلـمـد
وكـأنّ طـرف الشّـــمـس مـطـروف وقـد جـعـل الـغـبـار لـه مـكـان الاثمـد [4]

قال القاضـي ابن خلكان في ترجمة الفضـل بن الربيع : ان أحمد بن يوسـف الكاتب كتب إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببّغا وله أخ كثير التخلّف يسمّى عبد الحميد :

---

(1) سام : أراد ، طلب ، قصد وابتغى.

(2) الشغى : اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر ، والدخول والخروج.

(3) الأبيات في يتيمة الدهر 1 / 274 وفي رواية البيتين الأول والثاني اختلاف طفيف.

(4) عين مطروفة : أصابتها طرفة ، وهي نقطة حمراء تحدث في العين.

أنت تبقى ونحن طرّا فداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جلّ خطب دهر أتاكا بمقادير أتلفت ببّغاكا
عجبا للمنون كيف أتتها وتخطّت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أجمل للموت من الببّغا وأولى بذاكا [1]
شملتنا المصيبتان جميعا فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال الزمخشري : إنّ الببغا تقول : ويل لمن كانت الدنيا همته [2].

غريبة : حكى الشيخ كمال الدين الأدفوي في كتابه الطالع السعيد في ترجمة محمد بن محمد النصيبيني القوصي الفاضل المحدث الأديب : إنّه أخبره أنّه [حضر][3] مرة عند عز الدين ابن البصراوي الحاجب بقوص ، وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والأدباء ، فحضر الشيخ علي الحريري وحكى : إنه رأى درّة [4] تقرأ سورة يس ، فقال القوصي : وكان غراب يقرأ سورة السجدة ، فإذا وصل إلى محلّ السجود سجد فيقول : سجد لك سوادي ، واطمأنّ بك فؤادي. انتهى.

وأغرب القزويني في قوله : إن الببّغا لا تشرب الماء وهو غلط البتة ، وأكثر قوتها ببلادها الموز ، وقصب السكر ، والله أعلم.

ومما رأيناه بهذا البندر من الحيوانات الغريبة : سنانير الزباد ، الواحد منها كالسنّور الأهلي لكنه أطول منه جثّة وذنبا ، ولونه إلى السواد أميل ، والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللّزج ، ذفر الرائحة ، يخالطه طيب حسن يوجد في ابطيه ، وفي باطن أفخاذه ، وباطن ذنبه ، وحوالي دبره. ولم يبرح معه جماعة يلاعبونه ويحرّكونه حتى يعرق فيسيل الزباد ، فتمد له ملاعق الفضة ويؤخذ [5]

---

(1) في وفيات الأعيان 3 / 208 (أصلح) مكان (أجمل).

(2) الهمة . هنا . : الهوى ، أو أن الكلمة محرفة عن (همّه).

(3) زيادة من الطالع السعيد / 621 ، وحياة الحيوان 1 /. 336

(4) الدرة (بالضم وتشديد الراء) : الببغا.

(5) في كتاب الحيوان للجاحظ 5 / 304 (الهامش) وصف أوسع لسنور الزباد ، والطيب

ويسمّى هذا السنّور : الرباح (بفتح الراء المهملة والباء الموحّدة المخفّفة). وللجوهري هنا وهم مشهور [1] :

قال الدميري : والزباد طاهر ، لكن قال الماوردي ، والروياني : إن الزباد لبن سنّور في البحر يحلب ، كالمسك ريحا واللبن بياضا. يستعمله أهل البحر طيبا ، وهذا يقتضي أن يكون حلالا ، فإن قلنا بنجاسة لبن ما لا يؤكل ففي هذا وجهان. قال النووي : والصواب طهارته وصحّة بيعه. لأنّ الصحيح جميع حيوان البحر طاهر يحلّ أكله ولبنه ، هذا بعد تسليم أنه حيوان بحري ، والصواب أنه برّي. فعلى هذا هو طاهر ، لكنّهم قالوا : إنه يغلب فيه اختلاطه بما تساقط من شعره ، فينبغي أن يحترز عما فيه شيء من شعره لأنّ الأصح نجاسة شعر ما لا يؤكل إذا انفصل عنه في حياته غير الآدمي. انتهى من حياة الحيوان الكبرى [2].

قال الشيخ داود في التذكرة : (أرفع أنواع الزباد) [3] : (الشمطري) [4] الأسود الضارب إلى حمرة ولمعة. قلت : والشمطري : منسوب إلى شمطر من أعمال الهند. قال : وأردؤه الأبيض. ويعرف الجيّد منه بوجود طيور حمر فيه كالذباب الصغير ، وإذا دلكت به اليد لم تدبق ، وإن غسل بالماء لم تزل رائحته. قال : وهو حار في الثانية رطب في الأولى ، أو معتدل. إذا شرب مع الشراب أذهب الغثى [5] والخفقان ، وأوجاع فم المعدة. ومع الزعفران يزيل

الذي يستخرج منه.

(1) الوهم المنسوب للجوهري هو ، قال صاحب القاموس ـــ مادة ربح ـــ (والرباحي جنس من الكافور. وقول الجوهري : الرباح : دويبة يجلب منها الكافور خلف.

وأصلح في بعض النسخ وكتب (بلد) بدل (دويبة) وكلاهما غلط ، لأن الكافور صمغ شجر ...)

(2) حياة الحيوان 2 /. 37

(3) سقطت هذه الجملة من (ك).

(4) في ك (السمطري) بالسين المهملة.

(5) الغثى ، كالغثيان : جيشان النفس.

الوســـواس والجنون والتوحّش والماليخوليا ، ويفرّح تفريحا عظيما ، ويقوّي الذهن والحواس ، ويسهّل الولادة ، مجرّب. وشربته إلى دانق ، وأخطأ من جعله درهما. انتهى باختصار كثير.

ورأينا بهذا البندر أشـــجارا لم نكن نراها. منها : شـــجر الفلفل وهو أشـــبه ما يكون بشـــجر الدجر [1] يلتفّ على شـــجرة أخرى ، وقول الأطباء ممن لم يره أنّه كشـــجر الرمّان خلف. والفلفل فيه كعناقيد العنب وهو أخضـــر ، فإذا يبس اســـودّ. والفلفل الأبيض شـــجر برأسه قطعا. واختلفت أقوال الأطباء فيهما في كون كليهما من شجرة واحدة ، أو هما غيران؟ والأصـــح ما ذكرناه عن عيان. وخواصـــهما مذكورة في كتب الطبّ وكلاهما حار. وحكماء الهند تقول : إنه بارد ويكثرون استعماله في الحمّى فينفعهم.

ومنها شـجر النارجيل ، وهو كالنخل إلّا أنّ جذعه في الغالب أمتن من جذع النخل ، وسعفه كسعفه ، غير أن سعف النخل أصلب منه وأقوى شوكة. وقول الشيخ داود في التذكرة : أنّ وجه الجريدة فيه إلى أســـفل غير صـــحيح ، بل جريدته كجريدة النخل ، والآفة من الراوي. وبالغ صاحب القاموس في وصف طولها ولينها فقال : النارجيل : جوز الهند واحدتها بهاء ، وقد يهمز. ونخلته طويلة تميد بمرتقيها حتى تدنيه من الأرض لينا. ويكون في القنو الكريم منها (ثلاث عشـرة) [2] نارجيلة ، ولها لبن يسـمّى الاطراق ، وخاصّـيّة الزنخ منها : إسـهال الديدان ، والطريّ : باهيّ جدّا. انتهى. وشـجره يثمر بعد سـبع سـنين ، ويبقى مائة عام وأكثر ، وهو يزرع ثمرا لا قضبا ، وله منافع كثيرة مذكورة في مظانها.

ومنها شـجر الفوفل وهو طويل جدّا حسـن السـاق معتدل القامة لا يرى فيه اعوجاج أصـلا ، وسـاقه كلّه شـديد الخضـرة من أسـفله إلى أعلاه ، ولا يكاد يعلوه المرتقي إلّا بجهد شديد للينه ، وهو شبيه بالنخل وشجر النارجيل ، إلّا أنّ هذا

---

(1) الدجر (مثلثة) : اللوبياء.

(2) كذا في الأصول ، والذي في القاموس (ثلاثون).

رفيع الساق جدّا بالنسبة إليهما ، وهو يحمل كبائس فيها الفوفل داخل قشر صلب ، عليه طبقات ليفيّة كالنارجيل ، ولا يستعمل في جميع الأرض ، ولا يحمل إلى سائر الأقطار (إلّا فوفل هذا الصقع المسمى بكوكن) [1] وإن وجد في سائر بلاد الهند إلّا أنّه رديء جدا لا يستعمل ، وإنّما يتخذ شجره في البساتين للنظر إلى ساقة وحسن قامته.

ومنها : شجر الأنبا ، وهو العنب المعروف الآن (بفتح العين المهملة وسكون النون). وفي القاموس : الأنبج (كأحمد) وتكسر باؤه : ثمرة شجرة هندية (معرّب أنب) [2] وهو شجر عظام ، وكنّا رأينا ثمره باليمن ولم نر شجرة ، وهو من محاسن ثمر الهند ، يغذي غذاء حسنا ، ويتفاوت في بلاده حسنا ورداءة. قال الشيخ في التذكرة : وهو حار في الثانية يابس في الثالثة ، وقبل النضج بارد في الأولى. يفتح الشهوة إن خلّل ، ويقطع الطحال ، ويفتّت الحصى. والمربّى يمنع الخفقان والصداع البارد ، ونواه يبيّض الأسنان ، ويطيّب رائحة الفم ، وهو كيف كان يغسل الأخلاط اللزجة ، ويذهب البواسير. ورماد شجره يحبس الدم ، وقيل : إنّ الأخضر منه يمنع الشيب ، وهو يضعف الكبد ، ويصلحه الزبيب. انتهى. وإنّما تعرّضنا لذلك لقلّة من نبّه عليه.

وكتب إليّ سيدي الوالد دام مجده ، وكان قد أهدى إليّ منه شيئا :

هو العنب لونا كالنّضار ولذّة ... كظلم العذارى والرّحيق المصفّق

فكله هنيئا يا سلالة هاشم ... ولا زلت بالتّوفيق خير موفّق

فأجبته بقولي :

أتانا لذيذ العنب رطبا ويانعا ... بطعم كطعم الخسرويّ المعتّق [3]

ونظم كنظم الدرّ يزهو على الدمى ... ذكيّ متى يتلى على السّمع يعبق

---

(1) في ك ، وأ (إلا فوفل الهند من الصقع المسمى بكوكن).

(2) تسمى بالعراق (عنبه) وفي مصر (منجه) أو (منجو). يراجع القاموس ، ولسان العرب ، ومعجم متن اللغة مادة (ن ب ج) و (أن ب) و (ع ن ب).

(3) الخسروي : صنف من الشراب.

فشـــــرّد همّـــا بـــين جـــنـــبيّ كـــامـــنـــا وطـــاب بـــه عـــيـــش الـــزّمـــان المـــرتّـــق [1]

وأهدى الوالد إلى السيد الجليل الفاضل العلامة محمد بن عبد الحسين البحراني [2] عنبا فكتب إليه السيد قصيدة يصف فيها العنب أولها :

أحمـد مـن أصـــعـد كـعـب أحمـد في ذروة المجـد وهـام السّـــؤدد

بـالـعـلـم والـفضـــل وطـيـب المحـتـد وهمّـــة تـــدوس فـــرق الـــفـــرقـــد

الســـيّـد الـنّـدب الجـواد الأوحـد مـن لا يحـاط وصـــفـه بـالـعـدد

همّـتـه مصـــروفـة في مـددي ولم تـــفـــارق يـده قـطّ يـدي

فـمـن جـزيـل فضـــلـه المجـدّد ولـطـفـه بـعـبـده محـمّـد

بـلـيـلـة بهـا الـزمـان مســـعـدي قـد أســفرت عن صـبح يوم الأحـد

إهـداؤه الـعـنـب الـذي مـذاقـه ألـذّ مـن وصـــل الحســـان الخـرّد

أحـلـى مـن السـكّـر في الـطّـعـم وإن نســتشـهـد الشّـهـد بـذاك يشـهـد

لـو قـلـت لم تحـو الجـنـان مـثـلـه طـعـمـا ولـومـا وشـــذا لم أبـعـد [3]

قـد كـاد لـطـفـا أن يـذوب عـنـدمـا تـلـمـحـه الـعـين كـذوب الـبرد

مـن نـال شـــيـئـا مـنـه في زمـانـه كـــأنّمـــا نـــال حـــيـــاة الأبـــد

كـأنّمـا الشـــمـس إذا مـا طـلـعـت قـد كسـيـت مـن لـونـه المـورّد

تـرى إذا رأيـتـه شمـس الضّـــحـى بـــازغـــة في كـــرة الـــزّبـــرجـــد

---

(1) المرنّق : الكدر ، وقد جرّه بالوصفية للزمان ، ويجوز اعتباره صفة للعيش ويكون جره بالمجاورة.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحسين بن ابراهيم بن أبي شبانة الحسيني البحراني.

كان حيا سنة ـــ 1070 هـ (سلافة العصر / 497 ، وأعيان الشيعة 45 / 284) واسمه فيهما (محمد ابن عبد الله بن ابراهيم) وما أثبته المؤلف مطابق لما جاء في أنوار البدرين /. 95

(3) الجنان ، جمع الجنة ، ويريد مفهومها اللغوي : الحديقة ذات الشـجر. في ك (لو قلت ما حوى الزمان مثله) ، وفي أ(لم يحو الزمان).

قـد جـاءنـا مـن دوحـة الجـود الـتي أثمـارهـا مـا برحـت كـالعسـجـد [1]

وهي قصيدة طويلة كلّها على هذا النمط [2] اقتصرنا منها على ما تعلّق به الغرض.

ومن محاسن شعر السيد المذكور ما كتبه إلى الوالد من شيراز المحروسة بعد فراقه له سنة سبعين وألف :

لـولا مضـايـق أحـوال وقـعـت بهـا لم تبـق لي سـبـدا يومـا ولا لبـدا [3]

لمـا جـرى بشـكـاة الـدّهـر لي قـلـم ولا جمـعـت عـلـيـه إصـبـعـا أبـدا

والحـرّ مـا زالـت الأقـدار تـقـحـمـه شـدائـد الـدّهر حتى يفـقـد الجلـدا

مـا زلـت في موقف الإخلاص منتصـبـا وفي مجـاهـدة الأعـداء مجـتـهـدا

وكـنـت عـنـدك في قـرب ومـنـزلـة فليـت شـعري مـا بعـد البعـاد بـدا

لا زال عـمـرك بـالـتّـأيـيـد مـتّصـلا وعضـد عزّك بـالـتـأييـد معتضـدا

ومن الأشـجار التي رأيناها بالهند شـجر التانبول ، ويقال له : التامول ، والتنبل. وهو ضرب من اليقطين كاللّوبيا ينصب له قعيد فيرتقي فيه وإلّا فيرتقي على الشجر ، وورقه كورق الأترج سبط رقيق فيه حرافة [4].

قال الشـيخ في التذكرة : ورائحته قرنفلية ، وأجوده الرقيق السـبط الطيّب الرائحة ، الشـديد إذا قطع ، وهو حار في الثانية ، أو الأولى ، يابس في أول الثالثة. يقوم مقام الخمر في كل ما لها من الأفعال النفسـية والبدنية ، والهند تعتاض به عنها. وهو يشـدّ الحواس ، ويقوّي اللثة والمعدة والكبد ، ويفتّ الحصى ، ويدرّ الفضلات ، ويفتح السدد ، ويجوّد الحفظ والفهم ، ويذهب النسيان ويحمّر الشفة والأسنان جدا إذا أطيل مضغه. والناس يستعملونه

---

(1) في سلافة العصر (ما برحت أثمارها).

(2) القصيدة كلها في سلافة العصر.

(3) السبد : القليل من الشعر. اللبد : الصوف ، وفي المثل (ما له سبد ولا لبد) أي لا شيء عنده.

(4) الحرافة : طعم يحرق اللسان والفم.

بالجير [1] والفوفل إلى سبع ورقات كلّ مرة معها ربع درهم من كلّ من المذكورين ، وقد يربّى فيعظم نفعه جدا ، ويزيد في العقل ، وينشّط ويذهب الكسل. والإكثار منه يثقل الرأس ، ويصدع المحرور ، ويصلحه السكنجبين ، وشربته إلى مثقال. انتهى بنصّه.

قلت : ولا يستعمله أهل الهند وغيرهم إلّا بشيء من الكلس المبلول.

قال المسعودي : إذا مضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل شدّ اللثّة وقوى عمود الأسنان ، وطيّب النكهة ، وشهّى الطعام ، وبعث على الباه ، وحمّر الأسنان كأحمر ما يكون من حبّ الرمان ، وأحدث في النفس طربا وأريحيّة ، وقوّى البدن وثارت من النكهة روائح طيبة. والهند تستقبح ـ خواصّها وعوامها ـ من أسنانه بيض ، وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا. انتهى.

ومنها : قصب السكّر وهو بالهند نوعان ، أبيض وأسود ، فالأبيض ألطف وأكثر ماء وأطول عقدا ، والأسود أصدق حلاوة. وكلاهما كقصب الذرة إلّا أنّه أغلظ وأطول غالبا ، وليس له حبّ وإنما يغرس قضبا. وظنّ بعض كبار الأطباء المتقدمين أنّ السكر رطوبات كالمنّ سقط على هذا القصب فيجمع ويطبخ ، والحال أنه عصارة القصب.

قال في التذكرة [2] : وأجوده المصري ، ثم الهندي الغليظ الغضّ الكثير الماء الصادق الحلاوة الطويل العقد. وهو حار في الأولى رطب في الثانية يهضّم ويفتّح السدد ، ويلطّف الدم ، وهو أشدّ ملاءمة من السكر.

وما أحلى قول الشيخ شهاب الدين ابن [أبي] حجلة [3] :

أمسيت في قصب الجزيرة مغرما ... وبقدّة العسّال كالولهان

عيدانه لولا حلاوة مائها ... شبّهته في الشّكل كالمرّان

---

(1) الجير : الجص.

(2) القول للشيخ داود الانطاكي.

(3) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة (في الأصول ابن حجلة). توفي سنة 776 هـ (أنوار الربيع 1 / 387).

ولابن حجّة قصيدة ملغزا فيه منها قوله :

يلـذّ قبيـل العصـــر في الظّهر رشـــفهـا وبـرد لمـاهـا مـن ألـيـم الجـوى يـبري

وفي أوّل الأعـراف تـروي مـن الـظّـمـا وتضـــرم نيران الجوى وهي في العصـــر [1]

وأنشد الصفدي في الجزء الثامن من تذكرته [2] لغيره ملغزا فيه :

وذي هيـف كـالغصـــن رنّحـه الصّـــبـا يـفـوق الـقـنـا الخطّي بـغـير ســـنـان [3]

لـــه ولـــد كـــلّ الـــبرايـــا تحـــبّـــه وتشـــــتـــاقـــه إن عـــزّ مـــنـــه تـــداني

وأعـجـب مـا فـيـه يـرى الـنّـاس أكـلـه حـلالا قـبـيـل الـعصـــر في رمضـــان

ورأينا بهذا البندر عينا جارية وماؤها في غاية الحرارة ، يتصـــاعد منه الدخان ، فيقال : إنها تمرّ على معدن الكبريت فيفيدها هذه الحرارة ، ولقد كنا نشمّ منها رائحة الكبريت.

وقد روي في الأثر كراهية اســـتعمال هذا الماء الحار. روي عن جعفر الصـــادق **عليه‌السلام** أنه قال : نهى رسول الله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** عن الاستشفاء بالحميات ، وهي العيون الحارة التي تكون في الجبال التي توجد فيها روائح الكبريت فإنّها من فوح جهنم. وعنه (ع) قال : أنّ نوحا (ع) لما كان في أيّام الطوفان دعا المياه فأجابته إلّا ماء الكبريت والماء المرّ. وأمّا خاصـــيّة ماء الكبريت فإنه يطلق أولا ثم يعقل ، وهو يعقب الحكّة والجرب شـربا ، ويمنع منهما غسـلا ، ويقال : أن بجبل بالأندلس عينين إحداهما باردة والأخرى حارة والمسافة بينهما شبر.

وأغرب من ذلك ما ذكره المسـعودي عن صـاحب المنطق : أنّ ببعض المواضـع عيونا حامضة يستعمل ماؤها كما يستعمل الخلّ ، وذكر : أنّ العلّة في

---

(1) أول سورة الأعراف (المص).

(2) في كشـــف الظنون 1 / 388 (هي في نحو ثلاثين مجلدا جمع فيها نوادر الأشـــعار ولطائف الأدبيات نظما ونثرا).

(3) أورد المؤلف البيتين الأول والثالث في كتابه أنوار الربيع 6 / 42 منســـوبين إلى موفق الدين علي بن الجزار ، مع اختلاف في الرواية.

هذه المياه أنّ الأرضين المختلفة مثل مواضع الشب ، والمواضع النارية والرمادية إذا خالطت الماء أفادته طعوما مختلفة على قدر اختلافها وأعداد طعومها. انتهى.

ومن الغرائب ما رأيناه بهذا البندر ، وهي عين على قلّة جبل تنبع وتجري في السنة ثلاثة أيام ثم تغور وتنقطع ، وكانت أول دخولنا البندر منقطعة ، ثم بعد إقامتنا هنالك شهرين قيل : نبع ماؤها فقصدناها للتفرج ، وقصدتها الهنود للعبادة. وكنا قصدناها قبل ذلك لما وصفت لنا فرأيناها غائرة ومجراها يابسا. وقد اتخذت الهنود عندها حياضا ، ولما نبع الماء امتلأت تلك الحياض ، وهو ماء عذب أبيض برّاق. ويحكى مثل هذا كثير إلّا أن للعيان موقعا ليس للسماع.

فيقال : أن بالقرب من نهر أذربيجان نهرا يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثماني سنين ثم يعود في التاسعة. وقيل أنه ينعقد حجرا ثم يستعمل منه اللّبن ويبنى به.

ويقال : أنّ في تلك الأرض بحيرة تجفّ فلا يوجد فيها سمك ولا طين سبع سنين ، ثم يعود الماء والسمك والطين.

ويقال : أنّ نهر صقلان يجري فيه الماء يوما واحدا في كلّ أسبوع ، ثمّ ينقطع سنة أيّام ، فسبحان الفعّال لما يريد.

فائدة : كلّ ماء يجري فهو نهر ، وحيث ينبع فهو عين. وحيث يكون معظم الماء فهو بحر.

قال بطليموس : إن بهذا الربع المسكون مائتي نهر من خمسين فرسخا إلى ألف فرسخ وكلّها تبتدئ من الجبال وتنتهي إلى البحار.

قيل : وليس في الأنهار أطول من نهر النيل ، وليس في العالم ما يسمى بحرا ونهرا سواه ، وقد كثرت أقاويل الناس فيه ، وأطالوا الكلام عليه ، وهو يظهر من تحت جبل القمر (بلفظ أحد النيرين) وإنما سمي بذلك لما يظهر من تأثير القمر فيه عند زيادته ونقصانه من النور والظلام في البدر والمحاق.

ذكر أنّ جماعة صعدوا هذا الجبل ليحيطوا خبرا بمبدأ النيل ، فرأوا وراءه

بحرا عجاجا أسود كالليل يشقّه نهر أبيض كالنهار وهو النيل.

ويقال : أنّ أناسا صعدوه فجعل كلّ واحد منهم يضحك ويصفّق ، ويلقي نفسه إلى ماوراء الجبل ، فرجع البقيّة خوفا من أن يصيبهم مثل ذلك ، فيقال : أنّهم رأوا حجر الباهت ، وهو نوع من المغناطيس في لون المرقشيشا [1] يتلألأ حسنا ، إذا رآه الإنسان ضحك حتى يموت لا يمسك عنه البتّة ، ولا أن يستتر عنه بعد أن يكون قد رآه. ثمّ إن وقع عليه الفرفير [2] ـ وهو طائر في شكل عصفور الشوك الذي يقال له السماني ، أسود له طوق أحمر وعيناه حمراوان ورجلاه كذلك ـــ أبطل فعله لوقته ، ورآه الإنسان من غير ضرر ، وهذا الحجر كثير الوجود بأرض تبت (بضم التاء). وزعموا أنّ أهلها يرونه [3] فلا يضرهم كثير ضرر ، والغريب الطاريء على بلدهم كلما تقع عينه عليه يندفع في الضحك الدائم. فالفعل الأول وهو الضحك عند رؤيته لمناسبة وميل في هذه الخاصيّة ، والثاني وهو عدم الضحك عند وقوع ذلك الطائر عليه بسبب عارض.

ومن نوادر الحكايات أن المتوكّل لما قبض على بختيشوع [4] أصابوا له فيما أصابوا من أعلاق الجواهر ونفائس الطرائف حجرا في درج مختوم بختمه ، فدعوا غلامه فسألوه عن الحجر فقال : لا أخبركم أو يضمن لي أمير المؤمنين أن ينفذني إلى ملك الروم ، فليس لي بعد مولاي حاجة في العراق ، فحلف له المتوكل بأيمان مغلّظة أنه يبذرقه [5] إلى ما هناك ، فقال : هذا حجر

---

(1) المرقشيشا (دخيلة سريانية) فسروه بالحجر الصلد ، وهو أصناف منها الذهبي والفضي والنحاسي (معجم متن اللغة مادة م ر ق).

(2) في حياة الحيوان 2 / 222 : الفرفر (كهدهد) : من الطيور المائية صغير الجثة على قدر الحمام ، وهذا لا ينطبق على ما ذكره المؤلف.

(3) في ع (يرونهم) ، وفي ك (يرونها).

(4) هو بختيشوع بن جبريل طبيب معروف : توفي سنة 256 هـ (عيون الأنبياء / 201).

(5) البذرقة (بالذال المعجمة أو الدال المهملة) : الخفارة ، والمبذرق (بكسر الراء) الخفير.

إذا (قيس) [1] به الشعر حلقه واستغنى فاعل ذلك عن النورة ، والحلق بالمواسي ، فدعوا برجل على ساعده شعر كثير فأمرّوا الحجر على شعره فلم يبق على ساعدة شعرة واحدة ، ففرح المتوكل ، وأمر بالخادم أن يبذرق إلى بلاد الروم. فقال الخادم : أمّا إذا وفى لي سيدي بالبذرقة فإنّ هذا الحجر يحتاج أن يطرح كل سنة عند طلوع الشعرى العبور [2] في دم تيس حار. فبذرقوا بالخادم ، فلما وصل ، وطلعت الشعرى العبور ووقد الهجير طرحوه في الدم فبطل عمله.

فكان حلق هذا الحجر الشعر من العضو الذي عليه ، وجذبه إلى نفسه حتى ينفصل عنه ، ويلتصق به لمشاكلة طبيعيّة ، وذهاب ذلك بدم التيس لشدّة المنافرة والمغايرة ، ومثل هذا كثير.

ورأينا بهذا البندر معبدا عظيما لله نود فيه أصنام من ذهب وفضة مصوّرة على صورة الإنسان وصور الحيّات ، وقد صوّر حولها من الصخر المنحوت أصنام كثيرة ، فمنها صور بقر ، وصور رجال ونساء. وهذا المعبد بين عظيم منحوت كله من الصخر الأسود تقصده كفرة الهنود من الآفاق وتنذر له النذور ، ورأيناهم يسجدون للأصنام التي فيه ، والسرج فيه ليلا ونهارا لا تطفأ ، وله خدم وحجّاب وأتباع. وبجنبه نهر عظيم يخرّ من شاهق في بئر لا يعلم قرارها وهي ملآنة يمرّ الماء عليها بين جبلين عليهما من أنواع الأشجار والأزهار ما يجلّ عن الوصف ، ثم ينصب الماء إلى البحر. وحكى لنا أهل تلك البلاد أنّ بعض الوزراء أراد أن يعلم عمق هذه البئر التي يمرّ عليها هذا النهر ، فأنزل جماعة من الغاصة فلم يخرج منهم أحد ، ولا يعلم ما صاروا إليه ، وكثير من جهلة الهنود يعتقد في هياكلهم هذه القدم ، وأمّا علماؤهم فيزعمون أنّها تقرّبهم إلى الله زلفى.

قال المسعودي : كان كثير من أهل الهند والصين وغيرهم من الطوائف يعتقد أنّ الله عزوجل جسم ، وأنّ الملائكة أجسام ، وأن الله تعالى وملائكته

---

(1) (إذا قيس) كذا ورد في الأصول ، والصواب (إذا قسّ ، أو قسّس) للمجهول ، من قس الشيء تتبعه وطلبه ، والصاد لغة فيه. والقسّ (مثلثة) : تتبع الشيء وطلبه كالتقسّس.

(2) الشعرى العبور : كوكب طلوعه في شدّة الحرّ.

احتجبوا بالسماء فدعاهم ذلك إلى أن اتخذوا تماثيل وأصناما على صورة الباري تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والأشكال ، ومنها على صورة الإنسان ، فعبدوها وقرّبوا لها القرابين ، ونذروا لها النذور لشبهها عندهم بالباري تعالى عن ذلك ، فأقاموا على ذلك برهة من الزمان وجملة من الأعصار ، حتى نبههم بعض حكمائهم على أنّ الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئيّة إلى الله تعالى ، وأنّها حيّة ناطقة ، وأن الملائكة تختلف فيما بين الله وبينها ، وأن كلّ ما يحدث في هذا العالم فإنه على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر الله ، فعظّموها وقرّبوا لها القرابين لتنفعهم ، فمكثوا على ذلك دهرا ، فلما رأوا الكواكب تخفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لها أصناما وتماثيل بعدد الكواكب المشهورة. فكلّ صنف منهم يعظم كوكبا منها ، ويقرّب لها نوعا من القربان خلاف ما للآخر. على أنّهم إذا عظّموا ما صوّروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية السبعة بكلّ ما يريدون. وبنوا لكلّ صنم بيتا وهيكلا مفردا ، وسمّوا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب. وقد ذهب قوم إلى أنّ البيت الحرام يكون على مرور الدهر معظّما في سائر الأعصار لأنه بيت زحل ، وأنّ زحل شأنه البقاء والثبوت ، فما كان له فغير زائل ولا داثر ، وعن التعظيم غير حائل. وذكروا أمورا أعرضنا عن ذكرها لشناعة أمرها. ثم ذكر المسعودي انحرافهم عن هذا المذهب إلى غيره من المذاهب ممّا يطول ذكره.

وبالجملة فإن الهنود لهم مذاهب ومعتقدات مختلفة لا يدركها الحصر ، وقد رأينا منهم من يعبد النيّرين ، ومنهم من يعبد الأشجار ، ومنهم من يعبد الأنهار ، ومنهم من يعبد الأصنام. وقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل جملة من مذاهبهم قال :

ومن عبدة الأصنام (المهاكلكة ، لهم صنم يدعى مهاكال) [1] له أربعة أيد

---

(1) في ك (المهاكلكة لهم صنم يدعى مهلكلك) وفي أ(مهلكال) مكان (مهاكال).

كثير شعر الرأس سبطه ، وبإحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه ، وبالأخرى عصا ، وبالثالثة رأس ، واليد الرابعة قد رفعها. وفي أذنيه حبّتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفّا عليه ، وعلى رأسه اكليل من عظام القحف ، وعليه من ذلك قلادة. يزعمون أنه عفريت يستحق العبادة لعظم قدره ، واستحقاقه الخصال المحمودة المحبوبة ، والمذمومة ، من الإعطاء والمنع ، والإحسان والإساءة ، وإنه المفزع لهم في حاجاتهم. وله بيوت عظام بأرض الهند يعتفيها أهل ملته في كلّ يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به. ولهم بموضع آخر صنم يقال له صنم المعبود ، عظيم على صورة هذا الصنم ، يأتونه من كلّ موضع ، ويسجدون له هناك ، ويطلبون حاجات الدنيا ، حتى أن الرجل يقول له فيما يسأل : زوّجني فلانة ، واعطني كذا ، ومنهم من يأتيه يقيم عنده الأيام والليالي لا يذوق شيئا يتضرع إليه ويسأله الحاجة ، حتى ربما يتفق هذا. انتهى.

والهنود أقسام مختلفون ، وأصناف متباينون ، لكلّ فرقة مذهب ومعتقد عدا ما للأخرى ، يعرف ذلك من دخل بلادهم وشاهد عباداتهم.

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم [1]

فلم أر إلّا واضعا كفّ حائر على ذقن أو قارعا سنّ نادم

وذكر جماعة من أرباب التواريخ : أن السلطان محمود بن ناصر الدولة [2] لما فتح بلاد الهند في سنة عشر وأربعمائة كتب كتابا إلى بغداد يذكر ما فتح الله على يديه من بلاد الهند ، وأنه كسر الصنم المشهور بسومنات ، وذكر في كتابه أنّ هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ويبرئ ، وربّما كان يتّفق ـ لشقوتهم ـ برء عليل يقصده فيوافقه طيب الهواء ، وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا ، ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالا ، وركبانا. ومن لم يصادف منهم انتعاشا احتجّ بالذنب وقال : أنه لم يخلص له

---

(1) البيتان في وفيات الأعيان 1 / 423 منسوبان للرئيس أبي علي بن سينا (الحسين بن عبد الله) المتوفى سنة 428 هـ (معجم المؤلفين 4 / 20 ، و 13 / 382).

(2) هو السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين المتوفى سنة 421 هـ (الأعلام 8 / 47).

الطاعة فلم يستحق منه الإجابة. ويزعمون أنّ الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ وينشئها فيمن شاء. وأن مدّ البحر وجزره عبادة له على قدر طاعته. وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجّونه من كلّ صقع بعيد ، ويأتونه من كلّ فجّ عميق ، ويتحفونه بكلّ مال نفيس. ولم يبق في بلاد الهند والسند ـــ على تباعد أقطارها ، وتفاوت أديانها ـــ ملك ولا سوقة إلّا وقد تقرّب إلى هذا الصنم بما عزّ عليه من أمواله وذخائره ، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية في تلك البقاع ، وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال. وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون رؤوس حجاجه ولحاهم عند الورود عليه ، وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه ، ويجرى من الأوقاف المصدرة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلائهم على طرقها. وسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس سوى الرجّالة والمتطوعة مختارا لهم من عدد كثير ، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى ، فلمّا وصلوا إلى القلعة وجدوها حصنا منيفا ففتحوها في ثلاثة أيّام ، ودخلوا بيت الصنم وحوله أصنام الذهب ، والمرصّع بالجواهر عدّة كثيرة محيطة بعرشه ، يزعمون أنّها الملائكة. فأحرق المسلمون الصنم فوجدوا في أذنه نيفا وثلاثين حلقة ، فسألهم السلطان محمود عن معنى ذلك فقالوا : كل حلقة عبادة ألف سنة ، فكلما عبدوه ألف سنة علّقوا في أذنه حلقة. وقد ذكر المؤرخون من أخبار هذا الصنم شيئا اقتصر بعضهم على هذا المقدار وفيه الكفاية.

وأسلم في هذه الوقعة نحو عشرين ألفا ، وقتل من الكفار نحو خمسين ألفا. وكان السلطان محمود قد استصفى نواحي الهند إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ، ولم تتل به قطّ آية ، ووقائعه وحروبه مذكورة في تاريخ أبي نصر العتبي [1] الذي ألّفه للسلطان المذكور. وسنذكر من أخبار الهند جملا فيما

---

(1) هو أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفى سنة 427 ه وقيل غير ذلك (معجم

سيأتي إذا أفضت النوبة إليه إن شاء الله تعالى.

فائدة : أول من غيّر جين اسماعيل من العرب : عمرو بن لحي [1] من خزاعة ، فبعثهم على عبادة التماثيل ، وذلك أنّه سار إلى البلقاء من أعمال دمشق من أرض الشام فرأى العمالقة تعبد الأصنام ، فسألهم عنها فقالوا : هذه أرباب نتخذها. نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا. فطلب منها صنما فدفعوا إليه هبل ، فسار به إلى مكة فنصبه على الكعبة [2] ودعا الناس إلى تعظيمه وعبادته ففعلوا ذلك ، ثمّ استكثروا من الأصنام ، واستبدّت كلّ قبيلة ، وقبيلتين بصنم ، فكانت لقريش وبني كنانة العزّى ، وحجّابها بنو شيبة [3]. ولثقيف اللّات وحجابها بنو مغيث [4] ، وكانت مناة للأوس والخزرج.

قال الواقدي : كان ودّ على صورة رجل ، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة فرس ، ونسر على صورة حصان ، ويعوق على صورة فيل. انتهى.

وكان جملة ما حول البيت من الأصنام ثلثمائة وستين صنما فكسرت كلّها يوم الفتح ، والحمد لله ربّ العالمين.

وعلى ذكر الصنم فما ألطف قول أبي الحسن السري الرفاء في العذار [5].

المؤلفين 10 / 126).

(1) هو عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف ، وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم : (عرضت عليّ النار فرأيت فيها عمرو بن لحي يجرّ قصبه (أمعاءه) في النار ، وهو أوّل من غير دين ابراهيم عليه‌السلام ...). جمهرة أنساب العرب / 234 ، وأخبار مكة اللازرقي 1 / 116).

(2) في كتاب الأصنام / 28 (إن أوّل من نصب هبل : خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ويقال له هبل خزيمة).

(3) (بنو شيبة) كذا ورد في الأصول ، والصواب (بنو شيبان) يراجع الأصنام للكلبي / 22 ومعجم البلدان 3 / 665 وأخبار مكة 1 / 126.

(4) في كتاب الأصنام / 16 (وكان سدنة اللات من ثقيف بنو عتاب بن مالك).

(5) لا وجود لهذه الأبيات في ديوان السري.

صـــــنـــم شـــــغـــفـــت بحـــبّـــه فـــعـــذرت مـــن عـــبـــد الصّـــــنـــم
أحـــبـــبـــتـــه فـــحـــمـــلـــت عـــن أجـــفـــانـــه بـــعـــض السّـــــقـــم
شـــــعـــــر ألمّ بـــعـــارضـــــيـــه فـــــزاد عـــــاشـــــقـــــه لمـــم
والسّـــــيـــف يحســـــن في الحـــلـــى والـــبـــدر يشـــــؤق في الـــظّـــلـــم
والـــطّـــرس أحســـــن مـــا يـــكـــون إذا جـــرى فـــيـــه الـــقـــلـــم

ومن محاسن شعر السري المذكور قوله من أبيات يدعو بها صديقا له ومن ديوانه نقلت :

وقـــد أضـــــاءت نجـــوم مجـــلســـــنـــا حـــتّى اكـــتســـــت غـــرّة وأوضـــــاحـــا [1]
لـــو جمـــدت راحـــنـــا اغـــتـــدت ذهـــبـــا أو ذاب تـــفّـــاحـــنـــا اغـــتـــدى راحـــا [2]

فائدة : أرخ ابن خلكان وفاة الســـري المذكور ســـنة أربع وأربعين وثلثمائة (ونقل عن الخطيب البغدادي في تاريخه أنه قال : في سنة نيف وستين وثلثمائة) [3]. انتهى.

قلت : وعندي أنّ هذين القولين كليهما غير صـــحيح ، لأني رأيت له في ديوانه مرثية في أبي اسحاق ابراهيم الصابي المشهور يقول فيها [4] :

ورأيـــت ابـــراهـــيـــم مـــثـــل سمـــيّـــه صـــــبـــرا غـــداة غـــدا إلى الإحـــراق

والصابي توفي سنة أربع وثمانين وثلثمائة من غير خلاف فليحرر.

ومما اخترته من شعر السري قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

كـــلـــيـــني إلى المـــهـــريّـــة الـــقـــود إنّـــني ســـــآخـــذ من أيـــدي الخطوب قيـــادي [5]
فـــمـــا تـــعـــيي إلّا لـــتـــجـــديـــد راحـــة ولا ســـــهـــــري إلّا لـــطـــول رقـــاد

---

(1) في الديوان (حتى اكتسى).

(2) في الديوان (غدت ذهبا).

(3) في ك (وذكر عن غيره سنة ست وستين).

(4) لا وجود للقصيدة في ديوان السري الذي بين أيدينا.

(5) في الديوان (أنها) مكان (أنني).

ومن شعره الذي تناقلته الركبان قوله :

يلقى النّدى برقيق وجه مسفر فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا

رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفل ترك الفضاء مضيقا

رجع : وما زلنا راتعين بين تلك الرياض الوريفة ، مرتبعين من ذلك خصبه وريفه ، والربيع قد خلع على الأرض أثوابه ، وفتح من الأنس للزائر أبوابه ، فتجلّى الروض بوجه وسيم ، وصحّ الهوى واعتلّ النسيم ، والرياض مفتّرة المباسم ، والرياح معطّرة النواسم ، والغصون قدود ، والورد خدود ، والزهر مبلول ، والنهر حسام مسلول.

نهر يهيم بحسنه من لم يهم ويجيد فيه الشّعر من لم يشعر

فكأنّه وكأنّ خضرة شطّه سيف يسلّ على بساط أخضر

وكم من روضة تختال في خلع الغمام ، وترتاح أغصانها إلى سجع الحمام ، قد التحفت حللا محضّرة ، وجعلت نوّارها للبدر غرّة وللشمس طرّة.

وحديقة مطلولة باكرتها والشمس ترشف ريق أزهار الرّبى [1]

يتكسّر الماء الزّلال على الحصى فإذا غدا بين الرّياض تشعّبا

فاستقبلنا العيش في هذا القطر جديدا ، وحلّينا منه للزمان جيدا ، نتبع اليوم بالأمس ، ونلحق البدر بالشمس ، ونحن في أمان من أخوان الزمان.

لا تبعدنّ وإن طال الغرام بها أيام لهو عهدناها وليلات

ما أمكنت دولة الأفراح مقبلة فانعم ولذّ فإنّ العيش تارات

قبل ارتجاع اللّيالي كلّ عارية فإنّما لذّ الدّنيا إعارات

خذ ما تيسّر واترك ما وعدت به فعل الأديب وفي التّأخير آفات

هذا ولولا ما يعتنّ بالبال لتذكّر الوطن من البلبال لأنشدت في هذه القرية قول القائل من غير فرية :

---

(1) نسب المؤلف هذين البيتين في كتابه أنوار الربيع 2 / 54 إلى بدر الدين يوسف الذهبي المتوفي سنة 680 هـ (الأعلام 9 / 325).

وجـدت بهـا مـا يمـلأ الـعـين قـرّة ويســـلي عـن الأوطـان كـلّ غـريـب

ولكن إذا عنّ التذكار أذكى لواعج الهموم والأفكار (فنباري تلك الحمائم شـجونا ونجاري تلك الغمائم شؤونا) [1] :

وحـنـيـني إذا تصـــدّى لـنـفســـي صـــدّ لهـوي عـن ارتـيـاد ارتـيـاحـي

عـلّـم الـورق حـزنهـا فـهـي في الأوراق تـتـلـوه في نـواح الـنّـواح

لا يـردّ الجـوى اغـتـبـاط اغـتـبـاق من حنيني ولا اصـطبـار اصـطبـاح

فتنهّل غمائم الغموم ، وتهمى سحائب الهوم ، وينكدر من العيش ما صفا ، وأنشد [2] (كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا) [3].

ومـا سمـعـت الحـمـام في فـنـن إلّا وخـلـت الحـمـام فـاجـاني

مـا اعتضـت مـذ غبـت عنهم بـدلا حـاشـا وكلّا مـا الغـدر من شـاني

كـيـف سـلـوّي أرضـا نـعـمـت بهـا أم كـيـف أنسـى أهـلـي وجـيراني

وكانت إقامتنا بهذا البندر ثلاثة أشهر إلّا عشرة أيام ، وذلك مدّة ذهاب البشير إلى الوالد وعوده. فخرجنا منه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ثمان وستين وألف. ولا حاجة بنا إلى إثبات أسامي المنازل التي أتينا عليها في طريقنا هذا لاستعجامها واستبهامها. وما يتعلّق به الغرض نذكره إن شاء الله تعالى.

فسرنا ثلاثة أيام في أرض تباهي زهر السماء بأزهارها ، ومجرّتها بأنهارها ونورها بنورها ، وسحابها برحابها. لا يمتدّ الناظر إلّا إلى يانع ناضر ، ولا تقع العين إلّا على نهر وعين.

---

(1) وردت الجملة التي بين القوسين في (ك) منظومة هكذا :

فـنـجـاري تـلـك الـغـمـام شـؤونـا ونـبـاري تـلـك الحـمـام شـجـونـا

(2) في ك (وأنشده وأندبه في النشيد).

(3) صدر بيت من قصيدة لمضاض بن عمرو بن الحارث ، وتمامة (أنيس ولم يسمر بمكة سامر). القصيدة وترجمة الشاعر في الأغاني 15 / 12 . 23).

ذهب حيثما ذهبنا ودرّ حيث درنا وفضّة في الفضاء [1]

حيث انتهينا إلى عقبة يسفّ عن مرتقاها العقاب ، ويخفّ عند ارتقاء ذراها أشدّ العقاب. لا مطمع لراق فيها إلّا على قدمه ، ولو أفضى إلى إراقة دمه. فأنخنا تحتها ليلة ، وكلّ قد شمّر لصعودها ذيله ، فما إنجاب الليل إلّا وارتقيناها كانحدار السيل ، فاقتعدنا مع الشمس ذروتها ، وامتطينا صهوتها ، ورأينا فيها من سيول الماء ، وعيون موادها غيوث السماء ، ما لا انصبابها دويّ كالرعد القاصف ، أو الرياح العواصف ، وشاهدنا منها ما يخالف العادات ، وتفتقر رواته إلى الشهادات. فإن نفس قلّتها أرض متساوية الطول والعرض تمتد إلى جميع تلك الأقطار ، ولا يحتاج معها إلى هبوط وانحدار. فسبحان المتفرّد بالاقتدار. وكانت هذه البقعة منقطع أعمال (كوكن) ومبتدأ أعمال (الدكن). فألفينا الربيع قد قشع عن هذا القطر سحابه ، والشتاء عمّ شعابه ورحابه. فسرنا وقد أرجف بان المسالك شاغرة ، وأمراء هذا الملك متشاجرة ، وذلك لموت ملكهم وقيام ابنه مقامه ، فاستحوذ كلّ على ما تحت يده ، واستبدّ بعدّته وعدده ، فاستقبلوا ادبارا (**وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً**)[2]. ولم نزل نبثّ العيون في تلك الأقطار لتجنب مقاحم الأخطار ، وإن كان معنا من العسكر عدد ، إلّا أنّه لا يفي للقيام إلى أمير يدعي الملك بمدد.

ورأينا في بعض المنازل فيلا لبعض العمال ولم نكن نراه قبل ذلك ، فعجبنا من عجيب خلقته ، وغريب صورته ، وعظيم جثته ، فسبحان مبدع العالم باقتداره ، ومدبر الأشياء على مشيئته واختياره. والعرب تكني الفيل أبا الحجاج ، وأبا مزاحم ، وأبا الحرمان ، والفيلة : أمّ شبل. قال بعضهم ملغزا فيه :

ما اسم شيء تركيبه من ثلاث هو ذو أربع تعالى الإله [3]

---

(1) ورد البيت في رسالة لعبد الصمد بن علي الطبري من شعراء دمية القصر للباخرزي.
تراجع الدمية (طبعة حلب) ص / 213 . 215).

(2) سورة نوح / 7.

(3) في ك (أيّ شيء).

قيل تصحيفه ولكن إذا ما عكسوه يصير لي ثلثاه [1]

قال المسعودي : وتزعم الهنود أنّ كلّ ذي لسان فأصل لسانه إلى داخل وطرفه إلى خارج ، إلّا الفيل فإن طرف لسانه إلى داخل وأصله إلى خارج. قالوا : ولولا أن لسانه مقلوب ثم لقّن الكلام لتكلّم. والهند تشرفه وتفضّله على سائر الحيوانات لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة ، من علوّ سمكه ، وعظم جثّته ، وبديع منظره ، وطول خرطومه ، وسعة أذنه ، وطول عمره ، وثقل جسمه ، وخفّة وطئه ، وقلّة اكتراثه لما يوضع على ظهره. وإنّه مع كبر هذا الجسم وعظم هذه الصورة يمرّ بالإنسان فلا يحسّ بوطئه ، ولا يشعر به حتى يغشاه لحسن خطوه واستقامة مشيه. وهو إذا اغتلم كثر شرّه وصعبت رياضته ، وربّما قتل كلّ من يلقاه في حال اغتلامه. وفيه من الفهم ما يقبل التأديب ، ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب. وهو ذو حقد شديد ، ربّما تعرّض لمن سبّه في وجهه.

قلت : ولقد أخبرني شخص أن فيلا صغيرا وقف على دكان خيّاط وعبث به فغرز الخياط الابرة في خرطومه ، فتركه ومضى ثم عاد إليه وقد ملأ خرطومه وحلا فنفخ به في دكان الخياط ، فأتلف عليه ما أصاب من الثياب ، وهذا من غريب ما يحكى عن فهمه وفطنته وشدّة حقده [2]. وحكى أرسطو : أن فيلا ظهر أنّ عمره أربعمائة سنة ، واعتبر ذلك بالوسم. وإذا دخلت البعوضة أذن الفيل قتلته ، فهو لم يزل يذبّ عن أذنه ليلا ونهارا. وما أحسن قول أبي الفتح البستي (*) :

---

(1) (قيل) تصحيف (فيل) ، وثلثا كلمة فيل المعكوسة (لي).

(2) رأيت فيلا ضخما ـــ في حديقة للحيوانات بطهران ـــ يروح ويجيء ضمن دائرة ليست بالكبيرة وبالقرب منه حفرة فيها ماء قذر. وكان إلى جنبي رجل إيراني كهل حسن الهيئة فوكز الفيل في مؤخره بعصا مدببة كانت بيده فلم يلتفت الفيل ، ولكنه غمس خرطومه بذلك الماء. ولما عاد متجها إلينا رفع خرطومه وأفرغ ما فيه على صاحب العصا فغمره بالوحل من قمّة رأسه إلى قدميه.

لا يستخفّنّ الفتى بعداوة أبدا وإن كان العدوّ ضئيلا [1]

إنّ القذى يؤذي العيون قليله ولربّما قتل البعوض الفيلا [2]

ومن العجيب أن الفيل مع هذه الأوصاف التي نقلناها قليل الجري جدّا يسبقه الإنسان إذا سابقه ، ولا أشك في كون الحكاية التي ذكرها أبو نعيم في الحلية ـــ في ترجمة أبي عبد الله القلانسي ـــ موضوعة ، حيث قال فيها : إن الفيلة سارت به في ليلة مسيرة ثمانية أيام. ولا يصح ذلك البتة [3]. وقد ذكر من لم ير الفيل في حليته أوصافا أكثرها غير صحيح.

منها : أن خرطومه مصمت ، وليس كذلك ، فإنّه مجوّف إلا أنّه لا ينفذ وإنما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو شراب أولجه في فمه ، لأنّه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى.

ومنها أن صياحه ليس على مقدار جثته ، لأنّه كصياح الصبي ، والحال أنّ صوته هائل قريب من رغاء البعير ، إلا أنّه أمدّ منه صوتا.

ومنها قولهم : أنّه لا يبرك ، وقد شاهدنا بروكه.

ومنها قول القزويني [4] أن فرج الفيلة تحت ابطها ، فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إتيانها ، وهذا غلط البتة ، فإنّها كسائر أناثي الحيوانات أولات الأربع.

ومنها قولهم : إن صياحه من خرطومه ، وليس كذلك ، وإنّما يصيح من حلقه. وقد ذكر من اعتنى بأخبار الحيوان من أخباره شيئا كثرا ، والاختصار بنا أولى.

ووصف بعض العرب الفيل فقال : لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب.

---

(1) في يتيمة الدهر 4 / 333 (بعدوّه) مكان (بعداوة).

(2) في يتيمة الدهر (جرح البعوض).

(3) يراجع حلية الأولياء 10 / 160.

(4) لم أجد هذا القول في عجائب المخلوقات ، ووقفت عليه في حياة الحيوان للدميري 2 / 228 ينقله عن القزويني.

وأحسن ما سمعت به في تشبيهه قول العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله في رسالته (يقظة الساهي) [1] وهو معنى غريب مستطرف :

هذا هو الفيل الذي يبدو العجيب لنا به
ليل قد افترس النّهار فبان في أنيابه [2]

طريفة : ذكر الطرطوشي [3] وغيره : أن الفيل قدم دمشق في زمن معاوية بن أبي سفيان ، فخرج الناس لينظروه ولأنّهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك ، وصعد معاوية سطح القصر للفرجة فحانت منه التفاتة فرأى مع بعض حظاياه في بعض حجر القصر رجلا ، فنزل مسرعا إلى الحجرة وطرق بابها ، فقيل من؟ قال : أمير المؤمنين ، ففتح الباب ـــ إذ لا بد من فتحه طوعا أو كرها ـــ فدخل معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه وقد خاف خوفا عظيما ، فقال له معاوية : ما الذي حملك على ما صنعت من دخول قصري ، وجلوسك مع بعض حرمي ، أما خفت نقمتي ، أما خشيت سطوتي؟ أخبرني يا ويلك ما الذي حملك على ذلك؟ فقال : يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك. فقال له معاوية : أرأيت إن عفوت عنك تسترها عليّ فلا تخبر بها أحدا؟ قال : نعم ، فعفا عنه ووهب له الجارية وما في حجرتها ، وكان شيئا له قيمة عظيمة. انتهى [4].

وعلى ذلك يحكى أنّ معاوية قال لعمرو بن العاص : إنّي لأحبّ أن تكون فيّ خصال ، قال : وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال : أحبّ أن لا يكون جهل أعظم من حلمي ، ولا ذنب أكبر من عفوي ، ولا عورة إلّا وأنا أسعها بستري ،

---

(1) هو القاضي شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري. توفي سنة 749 هـ والاسم الكامل لرسالته المذكورة (دمعة الباكي ويقظة الساهي). يراجع معجم المؤلفين 2 / 204.

(2) جاء عجز البيت في (ك) هكذا (النها . ر وقد بقى في نابه).

(3) هو أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة 520 هـ (معجم المؤلفين 12 / 96).

(4) الخبر في سراج الملوك للطرطوشي / 142 مع اختلاف طفيف في اللفظ.

ولا فاقة إلّا ســـددتها بجودي ، ولا قلب إلّا ملكته بعزي ، ولا نفس إلّا علوتها بقهري ، ولا يكون زمان أطول من أناتي.

فتبسّم عمرو ، فقال معاوية : لم تبسّمت؟ فإني أعلم أنّك إن قلت خيرا أضمرت شرّا ، قال : نعم تمنيت الربوبية. قال معاوية : فاسترها عليّ. انتهى. من (خلق الإنسان) للعلامة النيسابوري [1].

وقلت أنا في وصـــف الفيل وهو قريب من قول ابن فضـــل الله المتقدم ، إلّا أنّ بين التشبيهين مغايرة :

يـا حـبّـذا الـفـيـل الـذي شـاهـدتـه وشـــهـدت مـنـه مـا نمـى لي ذكـره

فـكـأنّـه وكـأنّ أبـيـض نـابـه لـيـل تـبـلّـج لـلـنّـواظـر فـجـره

وذكر بعضـهم أن ابن بابك وهو عبد الصـمد بن منصـور بن الحسـن [2] الشـاعر المشـهور لما وفد على الصـاحب بن عباد وأنشـده مدائحه فيه طعن بعض الحاضـرين عليه ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالها ابن نباتة السعدي [3] فأراد الصاحب بن عباد أن يمتحنه فاقترح عليه أن يقول قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن معد يكرب [4] :

أعـددت لـلـحـدثـان ســابـغـة وعـــدّاء عـــلـــنـــدا

فقال :

---

(1) هو القاضي بيان الحق محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين الغزنوي النيسابوري ، كان حيا سنة 553 هـ (بغية الوعاة 2 / 277 ، ومعجم الأدباء 19 / 124 ، وهدية العارفين 2 / 403).

(2) ترجمة ابن بابك ومصادرها في أنوار الربيع 3 / 329 ، وسيذكر المؤلف تاريخ وفاته بعد قليل ، وهو سنة 410 هـ.

(3) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر (ابن نباتة السعدي) توفي سنة 405 هـ (أنوار الربيع 2 / 342).

(4) هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي استشهد في حرب القادسية سنة 21 هـ (أنوار الربيع 2 / 81).

قســـــمـــا لـــقـــد نشـــــر الحـــيـــا بمـــنـــاكـــب الـــعـــلـــمـــين بـــردا [1]

وتـــــنـــــفسّـــــــت يمـــــنـــيّـــــة كـــي تضـــــحـــك الـــزّهـــر المـــنـــدّى [2]

إلى أن قال :

ومســـــاجـــل لي قـــد شـــــقـــقـــت لـــــدائـــــه في فيّ لحـــــدا

لا تـــــرم بي فـــأنـــا الـــــذي صـــــيّرت حـــرّ الشّـــــعـــر عـــبـــدا

بشـــــوارد شمـــس الـــقـــيـــاد يـــزدن عـــنـــد الـــقـــرب بـــعـــدا

وممسّـــــــك الـــــبرديـــــن في شـــــبـــه الـــنّـــقـــاشـــــيـــة وقـــدا

فـــكـــأنّمـــا نســـــجـــت عـــلـــيـــه يـــد الـــغـــمـــام الجـــون جـــلـــدا

وإذا لـــــوتـــــك صـــــفـــــاتـــــه أعـــطـــاك مـــسّ الـــرّوع نـــقـــدا

فـــــكـــــأنّ مـــعصـــــــم غـــــادة في مـــاضـــــغـــيـــه إذا تصـــــدّى

ذكرت بقوله (تصدّى) بيتين لطيفين للأديب المهتار [3] من شعراء هذا القرن ، وهما في مليح فقير الحال ، وقد أجاد في الاقتباس :

تصـــــدّ وكـــم تصـــــدّى مـــنـــك كـــفّ لمـــن لم يـــدر قـــدرك يـــا مـــفـــدّى

فصـــــدّك عـــن أولي (أدب) وأمّـــا من اســـتغنى فـــأنـــت لـــه تصـــــدّى [4]

عاد شعر ابن بابك في وصف الفيل :

وكـــــأنّ عـــــودا عـــــاطـــــلا في صـــــفـــحـــتـــيـــه إذا تـــبـــدّى

يحـــــدو قـــــوائـــــم أربـــــعـــــا يـــتركـــن بـــالـــتّـــلـــعـــات وهـــدا

وإذا تخـــــلّـــــل هضـــــــبـــــة فـــكـــأنّ ظـــلّ الـــلّـــيـــل مـــدّا

ثم أتبع ذلك بالمديح فاستحسنها الصاحب ، ولام الطاعن عليه على كذبه

---

(1) القصيدة في يتيمة الدهر 3 / 233 ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) في الأصول (المفدى) مكان (المندى) والتصويب من يتيمة الدهر.

(3) هو ابراهيم بن يوسف الرومي المكي المعروف بالمهتار قتل بصنعاء سنة 1071 هـ (أنوار الربيع 2 / 245).

(4) (أدب) كذا ورد في الأصول والصواب (أرب).

وادعائه أنّه انتحل شعر غيره. فقال : يا مولانا الصاحب هذا والله معه ستون فيليّة كلّها على هذا الوزن لابن نباته ، فضحك منه.

(وكان قد برز أمر الصاحب لابن بابك وغيره من الشعراء الذين يحضرونه أن يصفوا الفيل على هذا الوزن. فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري [1] وقد أطنب في وصفه) [2] :

فيلا كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا [3]
مثل الغمامة ملّئت أكنافها برقا ورعدا
رأس كفلّة شاهق كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدّلال مصعّرا للنّاس خدّا
يزهى بخرطوم كمثل الصّولجان يردّ ردّا
متمدّد كالأفعوان تمدّه الرّمضاء مدّا
أو كمّ راقصة تشير به إلى النّدمان وجدا
أو كالمصلّل شدّ جنباه إلى جذعين شدّا
وكأنّه بوق يحرّ (م) كه لينفخ فيه جدّا
يسطو بساريتي لجين يحطمان الصّخر هدّا
أذناه مروحتان أسندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّ (م) قتا لجمع الضّوء عمدا
فكّ كفوّهة الخليج يلوك طول الدهر حقدا
تلقاه من بعد فتحسبه غماما إذ تبدّى

---

(1) أورد له الثعالبي القصيدة الفيلية الآتية ، ولم يترجم له.

(2) وردت هذه الجملة المحصورة بين القوسين في ك مختصرة هكذا (ثم إن الصاحب أمر الشعراء أن يصفوا الفيل على هذا الوزن فقال أبو الحسن الجوهري قصيدة منها).

(3) يوجد في يتيمة الدهر اختلاف في رواية بعض أبيات القصيدة.

متنا كبنيان الخورنق ما يلاقي الدّهر كدّا
ذنبا كمثل السّوط يضرب حوله ساقا وزندا
يخطو على أمثال أعمدة الخباء إذا تصدّى
أو مثل أميال نضدن من الصّخور الصمّ نضدا
متورّدا حوض المنيّ (م) ة حيث لا يشتاق وردا
متململكا فكأنّه متطاول ما لا يؤدّى
متلفّعا بالكبرياء كأنّه ملك مفدّى
أذكى من الإنسان حتّى لو رأى خللا لسدّا
لو أنّه ذو لهجة وفّى كتاب الله سردا [1]

ومن قصيدة لأبي محمد الخازن [2] :

وكأنّما خرطومه راووق خمر مدّ مدّا
أو مثل كمّ مسبل أرخته للتّوديع سعدى
وإذا التوى فكأنّه الثعبان من جبل تردّى
فكأنّما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدّى

ومن شعر ابن بابك (*) بيت من قصيدة في غاية الرقة وهو :

ومرّ بي النّسيم فرقّ حتّى كأنّي قد شكوت إليه ما بي

ومن لطيف شعره أيضا قوله [3] :

وأغيد معسول الشّمائل زارني على فرق والنّجم حيران طالع

---

(1) سرد الحديث ، والقراءة : أجاد سياقهما وأتى بهما على ولاء.

(2) هو أبو محمد عبد الله بن محمد الخازن له ترجمة في يتيمة الدهر 3 / 325 ، ومعاهد التنصيص 2 / 206.

(3) في يتيمة الدهر 3 / 379 بيتان من هذه القصيدة هما الخامس والسابع مع بيت ثالث لم يرد هنا ، هو :

تحيّر دمع المزن في كأسها كما تحيّر في ورد الخدود المدامع

فلمّا جلا صبغ الدّجى قلت حاجب من الصّبح أم قرن من الشّمس لامع
إلى أن رنا والصّبح رائد طرفه كما راع ظبيا بالصّريمة رائع
فنازعته الصّهباء والليل دامس رقيق حواشي البرد والنّسر واقع
عقار عليها من دم الصّبّ نفضة ومن عبرات المسهام (فواقع) [1]
يدير إذا سحّت عيونا كأنّها عيون العذارى شقّ عنها البراقع
معوّدة غصب العقول كأنّما لها عند ألباب الرّجال ودائع
فبتنا وظلّ الوصل دان وسرّنا مصون ومكتوم الصّبابة ذائع
إلى أن سلا عن ورده فارط القطا ولاذت بأطراف الغصون السّواجع
فولّى أسير السّكر يكبو لسانه فتنطق عنه بالوداع الأصابع

قال صاحب اليتيمة : قرأت للصاحب فصلا في ذكره فاستملحته وهو ، (وأما ابن بابك وكثرة غشيانه بابك ، فإنّما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام).

وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد. وشعره طبقة عالية ، ولعمري انّ الطاعن عليه قد أغرب (في قوله ، وأدّى به الحسد له إلى ما لا يتوهمه أحد ، ولكنّ سورة الحسد تقحم إلى أفظع من هذا) [2].

وهذا الصاحب بن عباد المذكور مع غزارة فضله ، وسجاحة خلقه [3] قيل : أنّه كان أشدّ الناس حسدا لأهل الفضل والأدب ، وعلى هذا خيطت شواكل الفضل وأقراب العلم. فكان يعمل في أوقات العيد ومواسم النيروز شعرا ويدفعه إلى رجل ويقول له : قد نحلتك هذه القصيدة فامدحني بها في جملة الشعراء ، وكن الثالث من المنشدين. فيفعل الرجل ذلك ، فيقول له عند سماعه شعره في نفسه : أعد يا فلان فإنك مجيد محسن ، أحسنت يا أبا فلان قد

---

(1) (فواقع) كذا ورد في الأصول ويتيمة الدهر ، والصواب (فقاقع).

(2) وردت الجملة في ك هكذا (فيما قاله وعثر فيما لم تسعه إقالة).

(3) في ك زيادة بعد كلمة (خلقه) هذا نصّها (ودينه وعقله وعلمه ونبله قال فيه بعض أعدائه).

صفا ذهنك ، وزادت قريحتك ، وتنقحت قوافيك ، فلازمنا تخرّج الناس ، وتهب لهم الذكاء ، وتحوّل الكودن عتيقا والمحمّر [1] جوادا. ثم لا يصرفه عن مجلسه إلّا بجائزة سنيّة. وإنّما يفعل ذلك ليغايظ الجماعة من الشعراء والفضلاء ، لأنّهم يعلمون أنّ ذلك الرجل لا يزن بيتا ، ولا يعرض [2] مصراعا ، ولا يذوق عروضا.

وقال يوما : من في الدار؟ فقيل : أبو القاسم الكاتب ، وابن ثابت ، فعمل في الحال بيتين وقال لإنسان بين يديه : إذا أذنت لهذين فادخل بعدهما بساعة وقل : قد قلت بيتين فإن رسمت لي إنشادهما أنشدت. وازعم أنّك بدهت بهما ، ولا تجزع من تأفيفي بك ، ولا تفزع لنكيري عليك. ودفع البيتين إليه ، وأمره بالخروج إلى الصحن. وأذن للرجلين حتى وصلا ، فلما جلسا وأنسا دخل الرجل ، وأخذ يتلمّظ يري أنّه يعرض شعرا ثم قال : يا مولانا قد حضرني بيتان فإن أذنت أنشدت ، قال : أنت أنشأت؟ أنت أخرق سفيه سخيف لا تقول شيئا فيه خير ، اكفني أمرك وشعرك. قال : يا مولاي هي بديهتي فإن كسرتني ظلمتني ، وعلى كلّ حال فاسمع ، فإن كانا بارعين [3] وإلّا فعاملني بما تحب ، فالعبد عبدك والأمر أمرك. قال : أنت لجوج هات. فأنشد :

يا أيّها الصّاحب تاج العلى لا تجعلنّي نهزة الشّامت

بملحد يكنى أبا قاسم ومجبر يعزى إلى ثابت

فقال الصاحب : قاتلك الله لقد أحسنت وأنت مسيء ، قال أبو القاسم فكدت أتفقّأ غيظا لأني علمت أنّها من فعلاته المعروفة ، وكان ذلك الجاهل لا يعرض بيتا.

ولما توفي الصاحب **رحمه‌الله** تعالى رثاه أكثر شعراء عصره (ووقفت على

---

(1) الكودن : البرذون الهجين ، وقيل : البغل. العتيق : الفرس الرائع. المحمّر : الفرس الهجين.

(2) يعرض : من العروض في أوزان الشعر ، ولعلها تصحيف (يقرض) من القريض.

(3) كذا وردت الجملة في الأصول وهي ناقصة.

أكثر مراثيهم في تاريخ غريب. فما اخترته منها قول) [1] أبي عيسى المنجم [2] :

والله والله مـا أفـلـحـتـم أبـدا بـعـد الـوزيـر بـن عـبّـاد بـن عـبّـاس
إن كـان منكم جليـل فـاجلبوا أجلي أو كـان منكم رئيس فـاقطعوا راسـي

وقول أبي محمد الخازن (*) ، [3] :

يـا كـافي الملـك مـا وفّيـت حقّـك من مـدحـي وإن طـال تمـجـيـد وتـأبـين
هـذي نـواعـي العـلى قـد قـمـن نـادبـة مـن بـعـد مـا نـدبـتـك الخـرّد الـعـين
تبكي عليـك العطـايـا والصّـلات كمـا تـبـكـي عـلـيـك الرّعـايـا والسّـلاطين
قـام السّـعـاة وكـان الخـوف أقـعـدهـم واسـتـيـقـظـوا بـعـدمـا نـام المـلاعـين
لا تعجـب النـاس منهم إن هم انتشـروا مضـى سـليمـان فـانحـلّ الشّـيـاطين
مـا مـتّ وحـدك لا بـل كـلّ من ولـدت حـوّاء طـرّا بـل الـدّنـيـا بـل الـدّيـن

ورثاه الرضـي (*) بقصـيدة لأميّة عدّها مائة واثنا عشـر بيتا مثبتة بكمالها في ديوانه يقول فيها :

قـالوا وقـد فجئوا بنعشـك سـائرا مـن ميّـل الجـبـل الـعـظـيـم فـمـالا
وتـبـادروا عـطّ الجـيـوب وعـاجـلـوا عـضّ الأنـامـل يمـنـة وشمـالا

---

(1) وردت هذه الجملة في ك هكذا (إلا هذا فقد وضـع رسـالة في ذمه ، ولقد وقفت على جملة من مراثيه فمنها قول).

(2) البيتان في يتيمة الدهر 3 / 290 منسـوبان لبعض بني المنجم ، وفي روايتهما اختلاف طفيف وورد ذكر أبي عيسى هذا في عدة مواضع من اليتيمة دون التصريح باسمه. ثم وقفت على قصيدة في يتيمة الدهر 3 / 218 لأبي القاسم الزعفراني يعزي بها أبا عيسى عن برذون له نفق جاء في البيت الثالث منها أن اسمه (أحمد بن موسى).

قال :

بـك يـا أحمـد بـن مـوسـى الـتسـلّـي والـتـعـزّي مـن سـائـر الأشـيـاء

(3) الأبيات في يتيمة الدهر 3 / 284 منسوبة إلى أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصبهاني ـــ ترجمته في اليتيمة 3 / 324 . وفي رواية بعض أبياتها وترتيبها اختلاف.

مـا شـــقّـقـوا إلّا كســـاك وألّـمـوا إلّا أنـامـل نـلـن مـنـك ســـجـالا

ولنعد إلى ما نحن بصدده :

ومررنا بعد قطعنا عشر مراحل بقلعة (بيجابور) ــ بكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحت ، وجيم وبعد الألف باء موحدة أعجميّة وبعد الواو راء مهملة ــ وهذه القلعة هي دار ملك عادل شـــاه ملك تلك الأقطار ، فمررنا عليها ولم نجنح إليها ، وكان برز إلينا أمر مولانا السلطان خلّد الله ملكه بذلك. فنزلنا بقرية بالقرب منها ، في بستان الملك المذكور ، فيه عمارة عظيمة ، وبركة ماء كأنّها قطعة من الســـماء ، وما ألطف قول ابن تميم [1] في البركة :

لـقـد قـابـلـتـنـا بـالـعـجـائـب بحـرة مكمّلـة الأوصـــاف في الطّول والعرض

كـأنّ الـذي يـرنـو إلـيـهـا بـطـرفـه يرى نفســـه فوق السّـــما وهو في الأرض

وللقاضي أحمد بن عيسى المرشدي [2] فيها أيضا :

ألا انـظـر إلى هـذا الصّـــفـاء بـبركـة تقول لمن قد غاب عنها من الصـــحب [3]

لئن غبـت عن عيني وكـدّرت مشـــربي تـأمّـل تجـد تمثـال شـــخصـــك في قلبي

كان القاضـــي أحمد المذكور من علماء مكة المشـــرّفة ، وأكابر أدبائها البارعين نظما ونثرا. توفي لخمس خلون من ذي الحجة الحرام ســـنة ســـبع وأربعين وألف على ما أخبرني به الوالد ، وأنشدني له :

---

(1) هو مجير الدين محمد بن يعقوب المعروف بابن تميم. توفي سنة 604 هـ (أنوار الربيع 1 / 270).

(2) هو قاضي مكة أحمد ، وقد توفى كما قال المؤلف سنة 1047 هـ تجد ترجمته ومصادرها في أنوار الربيع 1 /. 49.

(3) في نفحة الريحانة 4 / 79 وسلافة العصر / 95 (لبركة) مكان (ببركة).

قصـــر ابن عقبـة لا زالـت مواصـــلـة منّي إليـك التّحـايـا نســـمـة السّـــحر
ولا عـدتـك غوادي الرّيح تســـحـب في رحـابـك الفـيح ذيـل الطـلّ والمطر [1]
كـم لـذّة فـيـك أرضـــيـت الـغـرام بهـا يومـا وأرغـمـت أنف الشّـــمس والقـمر

وهذه الأبيات من قصـــيدة له فائقة نظمها في دار ابن عقبة بقرية الســـلامة [2] من الطائف وكتبها عليها.

وكان الشـريف مسـعود بن ادريس [3] والي مكة المشـرفة حلّى شـدادا [4] لناقته ، فأمر القاضي المذكور أن ينظم بيتين ليكتبهما عليه ، فقال وأبدع في التورية :

أفـــق الشّـــــداد بـــدت بـــه شمـــس الخـــلافـــة والهـــلال
ومـــن الـــعـــجـــائـــب جمـــعـــه لـــيـــث الشّـــــرافـــة والـــغـــزال

والهلال ، والغزال في اصطلاحهم اسمان لجزءين من الشداد.

رجع : فأقمنا بهذه القرية أياما ، وقد قام لنا ملكها بالضيافة فيها قياما.

دخـلـنـا عـلـى أنّ المـقـام بـلـيـلـة فطـابـت لنـا حتّى أقمنـا بهـا عشـــرا

ثم ارتحلنا نقطع تلك المراحل والمنازل ما بين نجد طالع وغور نازل فمررنا على (كلبرجا) وكانت إحدى منازلنا ، وفيها مدفن العلّامة بدر الدين الدماميني شـارح التسـهيل ، والمغني [5] ، وهو :

محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن

---

(1) في نفحة الريحانة (غوادي السحب).

(2) السلامة : من قرى الطائف بها مسجد للنبي **صلى الله عليه وسلم** وقبة تحتها قبر عبد الله بن عباس وجماعة من أولاده (رض).

(3) هو مسعود بن ادريس بن الحسن بن أبي نمي الثاني. توفي سنة 1040 هـ (الأعلام 8 / 110).

(4) الشداد : رحل الناقة المعدّة للركوب (عامية بدوية) ومن عاداتهم وضع الشداد في صدر المجلس ليتكئ الرئيس عليه ، وقد يتخلى عنه لأحد الضيوف مبالغة في إكرامه.

(5) هما ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو لابن مالك ، ومغني اللبيب لابن هشام.

يحيى بن حسين بن محمد بن أحمد بن يوسف بن علي بن صالح بن ابراهيم ، بدر الدين القرشي المخزومي الاسكندري المالكي ، وعرف بالدماميني. قال السخاوي [1] ولد سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالاسكندرية ، وسمع بها من البهاء ابن الدماميني. وشيوخه بالقاهرة : السراج ابن الملقن ، والمجد اسماعيل الحنفي ، وبمكة : القاضي أبو الفضل النويري. ومهر في العربية والأدب ، وشارك في الفقه وغيره بسرعة إدراكه ، وقوّة حافظته ، ودرّس بالاسكندرية في عدة مدارس ، وناب عن ابن التنسي في الحكم ، وتصدّر بالأزهر لإقراء النحو. ودخل دمشق ، وحجّ ورجع إلى بلده. وترك النيابة وولي الخطابة مع إقباله على الاشتغال ، وإدارة دولاب متّسع للحياكة وغير ذلك إلى أن وقف عليه مال كثير. فاحترقت داره ، وفرّ من غرمائه إلى جهة الصعيد فتبعوه وأحضروه إلى القاهرة. فقام معه التقي ابن حجة ، وأعانه كاتب السر ناصر الدين ابن البارزي حتى صلح حاله. وحضر مجلس المؤيد ، وعين لقضاء المالكية بمصر ، فرمى بقوادح لم تبعد عن الصّحة. واستمرّ بها إلى أن سار إلى الحج سنة تسع عشرة وثمانمائة. ومنها إلى اليمن في أول سنة عشرين ، ودرّس بجامع زبيد نحو سنة فلم يرج له بها أمر ، فركب البحر إلى الهند ، فأقبل عليه أهلها كثيرا وعظّموه وأخذوا عنه ، وحصّل دنيا عريضة ، وكان أحد الكملة في فنون الأدب. أقرّ له الأدباء بالتقدّم فيه ، وبإجادة القصائد والمقاطع والنثر ، معروفا بإتقان الوثائق مع حسن الخطّ. وصنّف نزول الغيث ، انتقد فيه أماكن من شرح لامية العجم للصلاح الصفدي المسمى : بالغيث الذي انسجم ، وقرّظ له أئمة عصره فأمعنوا. وله تحفة الغريب في حاشية مغنى اللّبيب ، وهما حاشيتان يمنية ، وهندية. وقد أكثر من تعقّبه فيها المتقي الشمني ، وشرح البخاري ــ وجلّه في الاعراب ونحوه ــ. وشرح التسهيل ، والخزرجية في العروض ، وله [جواهر][2] البحور في العروض أيضا ، والفواكه البدرية من نظمه ، ومقاطع [3] الشرب ، وغير ذلك. وقرّظ سيرة المؤيّد لابن ناهض.

---

(1) القول في الضوء اللامع للسخاوي 7 / 185. في ك (المناوي) مكان (السخاوي).

(2) زيادة من الضوء اللامع 7 / 185 وكشف الظنون / 613.

(3) في الأصول (ومقاطيع) والتصويب من الضوء اللامع ، وكشف الظنون / 1781.

مات في شعبان سنة سبع وعشرين وثمانمائة بكلبرجا ، ويقال : أنّه سم في الأنبج [1] ومات من سمه بعده بيسير. وفي معجم العسقلاني كذلك ، إلّا أنه في أنباء سنة ثمان وعشرين. انتهى من الضوء اللامع بنصّه.

قلت : ومن مؤلفاته المشهورة : المنهل الصافي في شرح الوافي ، ورأيت له بالهند عين الحياة : مختصر حياة الحيوان للدميري ، وقد أخلّ به إخلالا كثيرا.

ولما دخل الهند طارحه نحاتها فمني منهم بالداء العياء ، حتى أنّهم ألّفوا كتابا في المسائل التي سألوه عنها ولم يجب فيها.

ومن ألغازه التي نظمها بالهند سائلا نحاتها قوله :

أيا علماء الهند لا زال فضلكم ... مدى الدّهر يبدو في منازل سعده

ألمّ بكم شخص غريب لتحسنوا ... بإرشاده عند السّؤال لقصده

وها هو يبدي ما تعسّر فهمه ... عليه لتهدوه إلى سبل رشده

فبسأل ما أمر شرطتم وجوده ... لحكم فلم تقض النّحاة بردّه

فلمّا وجدنا ذلك الأمر حاصلا ... منعتم ثبوت الحكم إلّا بفقده

وهذا لعمري في الغرابة غاية ... فهل من جواب تنعمون بسرده

والجواب : ان هذا الأمر هو العلمية اشترطت في الاسم الذي يجمع جمع تصحيح ، ولا خفاء في أن العلم إذا جمع زالت العلمية ضرورة. إن تثنية العلم وجمعه يقتضي إخراجه عن كونه علما إذ يصير نكرة ، لأن العلم إنما يكون معرفة على تقدير أفراده لموضوعه ، لكونه لم يوضع علما إلّا مفردا ، فهو دالّ على الوحدة. والتثنية والجمع يدلان على التعدد. والوحدة والتعدد متضادتان ، فيؤول الأمر إلى أنه ما يشترط وجوده شرط للإقدام على الحكم ، ويفقد عند ثبوت ذلك الحكم.

وكان دخول البدر الدماميني الهند في دولة الملك أبي الفتح أحمد شاه

---

(1) في الضوء اللامع (سم في عنبا). أقول : والأنبج هي العنبا.

بن محمد بن السلطان مظفّر شاه ملك كجرات ، وبرسمه ألّف شرح التسهيل والمغني ، والمنهل ، واختصر حياة الحيوان. وكلّ تأليف ألفه في الهند ذكره في ديباجته ، وفيه يقول

إمام أحاديث العلى عنه أسندت فبادر لكي تروي لأحمد مسندا
حياة لمظلوم هلاك لظالم فبالبأس والاحسان أشقى وأسعدا
فكم من عفاة نحوه قد تردّدت على أنّه في برّهم ما تردّدا
ولمتحو أخبار السّلاطين غاية من الرّفع إلّا كان في الحال مبتدا
لقد وزن الأفعال بالعدل دائما وعرّف أسبابا تنجّي من الرّدى
فلم ينصرف عن رتبة الفضل إذ أتى بوزن وتعريف أبانا عن الهدى
وتلك رأيناها لأحمد سنّة فعد لحماه تشهد العود أحمدا

وهذا الملك هو الذي عمّر أحمد آباد ، وهي بلدة مشهورة من أعمال الهند. وكان ابتداؤه في تعميرها سنة ستّ وعشرين وثمانمائة ، وكان قيامه بالسلطنة بعد جدّه مظفر المذكور سنة ثمان عشرة وثمانمائة. وتوفي سنة سبع وأربعين وثمانمائة. وقد بادت ملوك كجرات الآن ، واحتوى على ملكهم غيرهم والله الباقي.

وأكثر شعر البدر الدماميني (*) محتو على محاسن التورية ، فمنه قوله :

يا عذولي في مغنّ مطرب حرّك الأوتار لما سفرا
كم تهزّ العطف منه طربا عندما تسمع منه وترا

وقوله :

قلت له والدّجى مولّ ونحن في مجلس التّلاقي [1]
قد عطس الصّبح يا حبيبي فلا تشمّته بالفراق [2]

---

(1) في الضوء اللامع 7 / 186 ، وشذرات الذهب 7 / 181 والبدر الطالع 2 / 151 ونحن بالانس في التلاقي.

(2) تشمته ، من الشماتة : الفرح ببليّة العدو. وشمّت العاطس وسمّته (بالمعجمة ــ والمهلمة) دعا له بقوله يرحمك الله.

وقوله :

غنّى على العود شـــاد ســـهم نـاظره أمســـى بـه قلبي المضـــنى على خطر

رنـــا إليّ وجسّـــــت كـــفّـــه وتـــرا فـراحـت الـرّوح بـين السّـــهـم والـوتـر

وقوله :

قـم بـنـا نـركـب طـرف الـلـهـو ســـبـــقـــا لـــلـــمـــدام

واثـــن يـــا صـــاح عـــنـــاني لـــكـــمـــيـــت ولجـــام

وقوله في الشهاب الفارقي :

قـل لـلّـذي أضـــحى يـعـظّـم حـاتمـا ويـقـول لـيـس لجـوده مـن لاحـق

إن قســـتـه بســـمـاح أهـل زمـانـه أخطـا قيـاســـك مع وجود الفـارقي [1]

ومن قوله في الاكتفاء :

أقـــول لصـــاحـــبي والـــرّوض زاه وقـد بســـط الـرّبـيـع بســـاط زهـر

تـعـال نـبـاكـر الـرّوض المـفـدّى وقـم نســـعـى إلى ورد ونســـري [2]

وأنشد له السيوطي في بغية الوعاة قوله ملغزا في كادي [3] :

ومـا شـــيء لـه نشـــر ذكـيّ لـعـاطـره إلى الـطّـيـب انـتســـاب

تـروح لـه عـلـى رجـلـيـك تمشـــي وتـقـلـبـه (يـداك) فـمـا الجـواب؟

قال [4] : وقد نظمت جوابهما بديها لما أنشدتهما بثغر الاسكندرية في

---

(1) في الضوء اللامع (أهل زماننا).

(2) (المفدى) كذا وردت الكلمة في الأصـول ولعلها تصـحيف (المندى). اكتفى الشـاعر بكلمة (نسـري) عن (نسرين) وهو ورد أبيض عطري قوي الرائحة.

(3) (كادي) بالدال المهملة ، كذا وردت في الأصـــول وفي بغية الوعاة 1 / 67. وقال صـــاحب القاموس (الكاذي) بالذال المعجمة : شجر له ورد يطيّب به الدهن. وسيذكر المؤلف بعد قليل قول صاحب القاموس.

(4) القول للسيوطي في بغية الوعاء. وقد سقطت هذه الجملة مع البيت الأول من جواب

رحلتي إليها فقلت :

ومذ سمعت بهذا اللّغز أذني أتاني من تفضّله الجواب

فذا طيب إذا صحّفت منه أخيريه له في الخبث باب.

المراد من (أخيريه) الدال المهملة [1] تصحّف بالمعجمة ، والياء المثناة تصحّف بالباء الموحّدة فيكون منه (كاذب). ولا شكّ أنّ له في الخبث بابا.

وعلى ذلك فمن نوادر الأكاذيب مما يتعلّل به ويجري مجرى الفكاهة ببعض الهزل ، وإحجام النفس عن الجدّ ، كما قيل [2] :

أفد طبعك المكدود بالجدّ راحة يجمّ وعلّله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن بمقدار ما تعطي الطّعام من الملح [3]

ما حدّث الصاحب بن عباد عن الوزير أبي محمد المهلبي : أنّ بعض الأحداث من بغداد من أولاد أرباب النعم فارق أباه مستوحشا ، وخرج إلى البصرة ، وكان في الفتى أدب وظرف. فدخلها وقد انقطع به الحال ، وتحيّر في أمره ، فسأل عمّن يستعان به من أهلها من الفضلاء ، فوصف له نديم لأمير كان بها في ذلك الوقت من المهالبة ، فقصده وعرض عليه نفسه ، وعرّفه أمره. فقال : أنت من أصلح الناس لمنادمة هذا الأمير ، وهو من أحوج الناس إليك إن صبرت منه على خلّة ، فقال : وما هي؟ قال : هو رجل مشغوف بالكذب لا يصبر عنه ولا يفيق منه ، ولا بدّ لك من تصديقه في كلّ شيء يقوله ، وكلّ كذب يختلقه لتحظى بذلك عنده ، وإن لم تفعل ذلك لم آمنه عليك ، فقال الفتى : أنا أفعل ذلك ، واحتذي رسمك فيه ولا أتجاوزه.

فوصفه هذا النديم لصاحبه ، فقال : لا يكون يغداديّا يسيء الأدب ،

السيوطي من (ك) وألحق البيت الثاني ببيتي بدر الدين الدماميني في اللغز.

(1) يريد الدال المهملة من كلمة (يداك).

(2) البيتان في يتيمة الدهر 4 / 330 وزهر الآداب 1 / 165 لأبي الفتح البستي ، ووردا في نهاية الارب 6 / 97 بدون عزو.

(3) في نهاية الارب (المزح) مكان (ذاك).

فضمن عنه حسن الأدب وإقامة شروط الخدمة. واستحضره فحضر ، وأعجب به وخلع عليه ، وحملت له صلة من ثياب ودراهم وغيرها ، ووضع بين يديه مائدة وواكله ، وأحضره في مجلس أنسه ، وهو في أثناء ذلك يأتي بالعظائم من الكذب فيصدّقه. إلى أن قال مرّة وقد أخذ الشراب من الفتى : إنّ لي عادة في كلّ سنة أن أطبخ قدرا كبيرا وقت ورود حاج خراسان أدعوهم وأطعمهم جميعهم من تلك القدر الواحدة. فتحيّر الفتى وقال : وأيّ شيء هي هذه القدر؟ بادية العرب ، دهناء بني تميم ، بحر القلزم؟ فغضب الأمير وأمر بتمزيق الخلع عليه ، وردّ الصلة إلى الخزانة ، وطرده في بعض اللّيل. وأقبل على النديم يعنّفه ويلومه. وعاد الفتى إلى باب النديم وبات عليه إلى أن أصبح ، وعاد الرجل إلى منزله فدخل عليه واعتذر بالسكر ، وضمن أن لا يعود لمثل ذلك. فاستوثق منه النديم ثم عاد إلى صاحبه وحسّن أمره وقال : أنّه كان بعيد عهد بالشراب فلم تتحمله قوّته ، وعمل النبيذ فيه عملا لم يشعر معه بشيء مما جرى ، وأنّه بكّر إليّ يزعم أن اللّصوص عند عوده إلى مبيته عارضوه وأرادوا أن يأخذوا منه صلة الأمير فمانعهم عن ذلك فمزّقوا عليه خلعة الأمير.

فرسم الأمير إعادته إلى المجلس ، وأضعف له في اليوم الثاني الجائزة ، وزاد في الخلعة والكرامة ، وجعل الفتى يتقرّب بأنواع التقرّب إليه ، وإذا كذب الأمير صدّقه وحلف عليه. إلى أن جرى ذكر الكلاب الزينيّة الصغار [1] فقال الأمير : قد كان عندي منها عدّة في غاية الصغر ، حتى أنّي كنت آمر بأن تلقى في المكحلة ، وكان لي مضحك أعبث به فآمر أن يكحل من تلك المكحلة إذا نام وسكر ، وكان إذا أصبح وأفاق من سكره يرى تلك الكلاب وهي تنبح في عينيه ، ولا يقدر عليها لصغرها. قال : فقام الفتى وخلع الثياب المخلوعة عليه ، وترك الجائزة وعدا عريانا وقال : لا صبر لي على كلاب تنبح في أجفان العين ، اعمل بي ما شئت وعاد إلى بغداد [2].

---

(1) صنف من الكلاب ورد ذكره في الحيوان للجاحظ 1 / 311.

(2) للمؤلف أرجوزة طويلة في ديوانه الذي انتهيت من تحقيقه تبلغ 693 بيتا سماها (نغمة الأغان في عشرة الاخوان) ضمّن أحد فصولها هذه الحكاية وجعل عنوانها

وورد على الصاحب ، وقبله على ابن العميد شيخ حسن الهيئة والشيبة ، مقبول الشارة والبزّة ، يرجع إلى فضل كثير وتفنن في العلوم ، ويقول شعرا جيّدا ، ولكنه كان مشغوفا بالكذب وكانت له أوابد وعجائب يحدّث بها عن نفسه ولا يتحاشى.

فممّا حكي أنّه قال : سلكت طريقا بالروم في شدّة البرد ، فلما ارتفع النهار سمعنا في الهواء أصواتا مختلفة ، وكلاما عاليا ولم نر أحدا ، فإذا قوم كانوا سلكوا ذلك الطريق قبلنا في الليل ، وجمدت أصواتهم من شدّة البرد في الجوّ ، فلما حمي النهار وطلعت الشمس على الأصوات الجامدة ذابت فكنّا نسمعها ، وواحد يقول : اشدد الرحل ، وآخر يقول : اسرج الدابة مما يجانس من كلام جماعتهم. وذكر أنّه وجد في هذه الطريق حبلا أسود فشدّ به رحله ، فلما طلعت عليه الشمس تقطّع وطار وسقط رحله على الطريق ، وانّ ذلك من اجتماع خطاطيف كثيرة أصابها البرد وأدخل كل واحد رأسه في است الآخر وصارت على هيئة الحبل ، فلما مسّها حرّ الشمس طارت. انتهى من (خلق الإنسان) للعلامة النيسابوري.

ورأينا بالهند نوعا من الكادي الأصفر ، وهو أذكى رائحة من الأبيض ، لا يشكّ من رآه ولم يعرف ذلك أنّه مضمّخ بزعفران. وقد استفيد ممّا مرّ من كلام السيوطي أن الكادي بالدال المهملة ، وهو خلاف المشهور. وذكره في القاموس في مادة (كذا) ــ بالذال المعجمة . والله أعلم.

رجع : وزرنا بكلبرجا هذه ضريح السيد محمد المشهور بكيسو دراز ، أي طويل اللمّة ، وهو أحد الصوفية المشهورين ، والسادة المباركين تقصده ملوك الهند للزيارة وتنذر له النذور ، وعلى ضريحه قبّة عظيمة معلّق فيها عقود لآل ثمينة ، يقال : انّ بعض التجار كان في البحر فأشرفت سفينته على الغرق فنذر أن أنجاه الله تعالى أن يعلّق على ضريح السيد هذه اللآلئ وكانت معه ، فأنجاه الله تعالى ووفّى بنذره. وكانت وفاة السيد المذكور سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

(التحذير من صحبة الكذاب).

وعلى ذلك فما ألطف قول أبي الفتح البستي :

تنازع الناس في الصّوفي واختلفوا فيه وظنّوه مشتقّا من الصّوف

وليس أنحل هذا الاسم غير فتى صافى فصوفي حتّى لقّب الصّوفي

وقد اختلف في مأخذ هذا الاسم والوصف به. قال أبو نصر السراج [1] : إنّما قيل لهم الصوفيّة نسبة إلى ظاهر اللّبسة ، إذ كان لبس الصوف دأب الأنبياء والأولياء والصديقين وعباد الله المخلصين ، فنسبوا إليه ، حتى يكون ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع أوصاف التنسّك وآداب التعبد ، إذ لو كان الاسم ببعضها لم يكن ذلك البعض بأولى من غيره فوصفوا باللّبسة الظاهرة.

وقال بشر بن الحارث [2] : هو من صفا قلبه لله.

وقد قربت عباراتهم عن الصفوة على مخرج اسمهم فقالوا : هو من صفّا نفسه عن كدورة المخالفات ، وقالوا : هو من صفت لله معاملته ، وصفت له من الله كرامته.

وسئل محمد بن علي أستاذ الجنيد [3] عن التصوف فقال : التصوّف جملته [4] أخلاق كريمة طهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام.

وقال أبو الحسن الثوري : التصوف في الحقيقة هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد في التصوّف. وقيل : أنّه سئل عن التصوف فأنشد :

عري وجوع وحفا وماء وجه قد عفا

وليس إلّا نفس يخبر عمّا قد خفا

قد كنت أبكي طربا فصرت أبكي أسفا

---

(1) هو عبد الله بن علي الطوسي (أبو نصر السراج) صاحب كتاب اللمع في التصوف.
توفي سنة 378 هـ (شذرات الذهب 3 / 91 ، ومعجم المطبوعات / 1017).

(2) هو بشر الحافي بن الحارث من كبار الصالحين. توفي ببغداد سنة 227 هـ (الأعلام 2 / 26).

(3) هو أبو جعفر القصاب (محمد بن علي) المتوفى سنة 275 هـ (تاريخ بغداد 3 / 62).

(4) في ك (جملة) مكان (جملته).

وقيل : التصوف هو أن يستعذب البلاء ولا يسأل كشفه ، ويستحلى العناء ولا يبغي صرفه ، وأنشد [1] :

لســـت أشـــكو هـواك يـا مـن هـواه كـلّ يـوم يـروعـني مـنـه خـطـب
مـرّ مـا مـرّ بي مـن أجـلـلـك حـلـو وعـذابي في مـثـل حـبّـك عـذب

وقيل : التصوّف صيرورة الأهواء هوى ، والهموم همّا ، وأنشد :

ســرت في ســواد النّفس حتى إذا انتهى بهـا السّـير وارتـادت حمى القلـب حلّـت
فو الله مـا في القلـب شـيء من الهوى لأخـرى ســواهـا أكـثـرت أم أقـلّـت

وكلامهم في ذلـك يطول. ومن املاء المولى الأعظم قطب الـدين الشـيرازي [2] : التصوف في زماننا عبارة عن متابعة التيوس [اللحيانية][3] وتقوية النفوس الشهوانية ، والرقص بالحركات الميلانية ، والانسـلاخ من جميع الأخلاق الإنسـانية ، ومخالفة رسـول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم في جميع الوظائف الإيمانية. انتهى.

وكتب بعض الأفاضـل لعلّ في قوله : في زماننا ، دفعا لما يفهم من مذمتهم على الاطلاق. وعلى ذلك فما ألطف قول القاضي أحمد بن عيسى المرشدي (*) :

صـوفـيّـة الـعصـر والأوان صـوفـيّـة الـعصـر والأواني
فـاقـوا عـلـى فـعـل قـوم لـوط بـنـقـر زان لـنـقـر زان [4]

وبالجملة فالحال الآن كقولة من قال :

لـقـد هـزلـت حـتّى بـدا مـن هـزالهـا كلاهـا وحـتّى اسـتـامـهـا كـلّ مفلس

---

(1) نسب المؤلف هذين البيتين في كتابه أنوار الربيع 4 / 97 لأبي اسحاق الصابي.

(2) هو محمود بن مسعود (قطب الدين الشيرازي. توفي سنة 710 هـ (معجم المؤلفين 12 / 202).

(3) اللحياني (بالكسر) : الطويل اللحية. في ع (اللخياتية) وفي ك وأ (اللحسانية والصواب) ما أثبته.

(4) قال محقق نفحة الريحانة 4 / 79 (نقرزان) الثانية : الآلة الموسيقية.

نقل القرطبي [1] عن أبي بكر الطرطوشـــي (*) أنه ســـئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤن شيئا من القرآن ، ثم ينشـد لهم منشـد شيئا من الشـعر فيرقصـون ويطربون ويضـربون بالدف والشبّابة [2] ، هل الحضور معهم حلال أو لا؟. فأجاب : مذهب السادة الصوفية ، ان هذا بطالة وجهالة.

(قال العلامة الدميري في حياة الحيوان الكبرى : وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا وهو أنّه قال : مذهب الصـوفية بطالة وضـلالة وجهالة ، إلى آخر كلامه). وما الإسـلام إلّا كتاب الله وسنة نبيه **صـلى‌الله‌عليه‌وسلم** ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون ، فهو دين الكفار ، وعباد العجل. وإنّما كان النبي **صـلى‌الله‌عليه‌وسـلم** يجلس مع أصـحابه كأنّ على رؤوسـهم الطير مع الوقار. فينبغي للسـلطان ونوّابه أن يمنعوهم من الحضـور في المسـاجد وغيرها ، ولا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضـــر معهم ، ولا يعينهم على باطلهم. هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين. انتهى.

ولنعد إلى ما نحن بصـدده. ثم لم نزل نصـل المسير بالسـرى ، ونفترع الآكام والذرى ، حتى طوينا جملة تلك المراحل ، وقطعنا الخصـــب منها والماحل ، فكان آخر منزل نزلناه ، وأمطنا فيه شعث السفر وأزلناه : قصرا لبعض خدام مولانا السلطان ، يشتمل على بستان يملأ العين قرّة ويسلي عن الأوطان. مستحكم الأركان والقواعد ، قد استدار به نهر استدارة القلب [3] بالســـاعد ، يختال من روضـــه في حلّة مفوّفة بالأزهار ، مطرّزة بالجداول والأنهار. فبتنا به ليلة نراقب فيها تشـمير الليل ذيله ، فلما أسـفر الفجر عن صـبح يوم الجمعة المبارك بقدرة الله تعالى وتبارك ، لثمان بقين من شهر ربيع الأول

---

(1) هو أبو بكر محمد بن أحمد الأنصـــاري القرطبي ، من كبار المفســـرين. توفي ســـنة 671 هـ (الأعلام 6 / 217).

(2) الشبابه (بفتح الشين وتشديد الباء) : قصبة الزمن.

(3) القلب (بالضم) : سوار للمرأة غير ملوي.

قضى الله بانقضاء مدة هذا السفر المطوّل ، فسرنا وقد استقبلتنا المواكب ما بين راجل وراكب حتى وافينا قلعة (كلكنده) نصر الله صاحبها وجنده ، وهي دار الملك الخطير ، ومقرّ المنبر والسرير ، وغاية الجهة التي قصدناها ، ونهايتها التي أردناها فوردناها ، فكانت محطّ رحالنا وإليها مطارح آمالنا.

واجتمعنا بالوالد في ذلك اليوم اجتماعا لم يخطر ببال في يقظة ولا نوم ، فأقرّ الله به العين ، وأراح من مشاق السفر ومتاعب البين ، وبها ألقينا عصا الترحال ، والحمد لله على كلّ حال.

ومن الغريب أن بعض الفضلاء الذين بحضرة الوالد أرّخ اجتماعنا هذا بقوله (تمّ سرور اللّقاء) فكان والله كذلك فأنا لم نر بعد ذلك اليوم يوم سرور خاليا من بواعث الهموم والشرور ، بل لم تنتج الأعمال إلّا خلاف مطمح الآمال ، وآلت الحال إلى قول من قال :

يا ضيعة الأمل الذي وجّهته طمعا إلى الأقوام بل يا ضيعتي

وسرى السّفائن ينثني بصدورها موج كأسنمة الجمال الجلّة [1]

يا دهر حسبك قد أصبت مقاتلي ما زلت تطلب بالمقادر غرّتي

مالي أحيل على سواك بما جنى قدر على قدر وأنت بليّتي

هذا وإنّما أعجلنا هذا الكلام في هذا المقام ليستدل على الآخر بالأول ، ويستغنى بالمختصر عن المطوّل ، فاللّبيب تكفيه الإشارة ، والغبي لا يفهم بصريح العبارة ، على أني أقول بعد هذا المنقول :

وثمّ أمور ليس يمكن كشفها شكايتها عزّت فواجبها الكتم

وقد أسلفت في الديباجة ما قضيت به الحاجة ، فحبس العنان عن هذا المدى ، أولى عند أولي الهدى. فطوبى لمن عقل لسانه وكفّه ، وأطلق بالخير بنانه وكفّه ، فمن فرّط في التحفّظ أسف على ما فرط منه من التلفّظ. عصمنا الله بالمراقبة لصون اللسان عما يدني من الإساءة وينئي عن الإحسان ، فإنه

---

(1) الجلة (بالكسر) : الابل العظام ، للواحد والجمع ، والذكر والأنثى.

السميع البصير وإليه المصير.

وهذه نبذة من شعر الوالد الأعظم [1] تزهى زهوّ الدر المنظّم. قال دام مجده في الحماسة [2] :

إلى كم تقاضاني الظّبا وهي ضاميه ... وتشكو العوالي جوعها وهي طاويه

وتشجي الجياد الصّافنات صهيلها ... متيّم وقعات على الدّم طافيه

فمن مبلغ عنّي نزارا ويعربا ... أولئك قوم أرتجيهم لما بيه

حماة كماة قادة الخيل في الوغى ... ضراغم يوم الرّوع تلقاك ضاريه

بها ليل في البأساء يوم تناضل ... إذا ما التقى الجيشان فالعار آبيه

ثيابهم من نسج داود سبّغا ... وأوجههم تحكي بدورا بداجيه [3]

سموا لدراك المجد والثأر والعلى ... وروّوا قناهم من دما كلّ طاغيه

وساروا على متن الخيول وسوّروا ... بذي شطب عضب وسمراء عاليه

علاء لهم لم يبرحوا في حفاظه ... مدى الدّهر والأزمان عنه محاميه

فهم سادة الأقوام شرقا ومغربا ... وبرّا وبحرا والقروم المباهيه

فلا غرو إن كان النبيّ محمّد ... إليهم لينمى في جراثيم ساميه

به كسروا كسرى وفلّوا جموعه ... لكثرتها في العدّ لم تدر ما هيه

ونافوا على الأطواد عزّا ورفعة ... وزادوا على الآساد بأسا وداهيه

بلاغا صريحا واضحا كاشفا له ... قناع المحيّا فليلبّين داعيه

وإيّاهم والرّيث عن نصر خدنهم ... ولا يأمنوا الدنيا فليست بصافيه [4]

---

(1) هو الأمير أحمد نظام الدين بن الأمير محمد معصوم. انتهت إليه الرئاسة في حيدر أباد. توفي سنة 1086 ه (سلافة العصر / 10 ونفحة الريحانة 4 / 178).

(2) القصيدة في سلافة العصر / 18 ونفحة الريحانة 4 / 185 مع وجود اختلاف في رواية بعض أبياتها.

(3) في ك (مسبغ) و (بدور الدياجيه).

(4) في ك (يأمن) وفي أ(تأمن) مكان (يأمنوا).

وقل لهم يسرون فوق جيادهم خفايا كما تمشي مع السّقم عافيه

وقال [1] :

نصل الهوى من قلب ذي الوجد وسلا المتيّم عن لقا هند
وعدت عن الآرام نيّته وغدت غوايته إلى رشد
وتبدّل التقوى عن الأهوا لرجا ثواب الله ذي المجد
ونضا الصّبا عنه غوايته فاستقبل الأيّام بالزّهد
فتراه لا يصبو إلى دعد كلّا ولا منها إلى وعد
لكن ثنى نفسا مولّهة عن كلّ أمر مهلك مرد
أضنته ذكرى أزمن سلفت بالجزع أو بالبان من نجد
إذ كان فيها جمع اخوته دهرا ولما يرم بالبعد [2]
اخوان صدق حائزي كرم أهل الفواضل منجع الوفد
من كلّ غطريف تراه إذا حمي الوغى كالخادر الورد
حاوي المعالي سيّد فطن طبّ بهتك الجوشن السّرد
وعقيد كلّ كتيبة طرقت ليلا وفارس خيلها الجرد
ومغيرها وقت الضّحى أمما تنبو عن التّعداد والحدّ
خفّاق ألوية على الأعدا حمّال كلّ ملمّة تردي
صبح الجبين تراه ذا بهر تحت التّريكة نيّر يهدي [3]
كم من يد بيضاء قلّدها جيد الرّجال بنعمة تلد [4]
وعفا عن الذّنب القطيع وكم أعطى عطا يربو على العدّ

---

(1) القصيدة في سلافة العصر ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) عجز البيت في ك (دهر ومجمع أكرم الولد).

(3) التريكة . هنا . بيضة من حديد يضعها المحارب على رأسه.

(4) التلد (بفتح فسكون) كالتالد : المال القديم.

حـلـو الجـنى مـرّ مـذاقـتـه يـوم الـوغـى لـلـفـارس الصّـلـد
مـا زال صـفـوا ورده عسـلا لـلـوفـد إن جـاؤا بـلا وعـد
أهـفـو إلى مـرآه أنّ بـه نـيـل المـنى ومـنـابـت السّـعـد
وعـوارفـا ومـعـارفـا عـرفـت أبـد الـدّهـور وغـايـة الـقـصـد
لهـفـي عـلـى وقـت بـه حسـن أيّـامـه أعـيـاده عـنـدي [1]
في كـلّ حـين لي بـعـقـوتـه أنـس أنـيـق زاهـر الخـدّ [2]
حـيـث الصّـبـا عـقّـت تمـائـمـه عـنّي وأصـحـابي أولـو ودّي [3]
لم ألـق غـير ذوي الصّـفـا أحـدا فـكـأنّـني في جـنّـة الخـلـد [4]

وأنشدني دام مجده لنفسه إجازة في المحبرة :

محـبرة الحـبر الّـذي مـن يـرد بحـاره يـنـهـل بمـاء الحـيـاه
بـألسـن الأقـلام تـتـلـو لـنـا مـن داؤه الجـهـل فـإنّي دواه [5]

ولبعضهم في المعنى :

هـذي دواة لـلسّـخـا والـعـطـا تـقّـنـهـا المجـد بمـاء الحـيـاه [6]
قـد فـتـحـت فـاهـا وقـالـت لـنـا مـن مسّـه الـفـقـر فـإني دواه

وأنشدني الوالد لنفسه وهو ذو قافيتين :

طابة طابت بشرب الظّبي [زاهي الخدّ] معسول الشّفاه (اللّمى) [7]

---

(1) صدر البيت في ك (لهفي على زمن به نضر).

(2) في ك (أنس أنيق ساحب البرد).

(3) عقّت (للمجهول) : قطعت. في ك (ذوو) مكان (أولو).

(4) في ك (لم ألف) مكان (لم ألق).

(5) في ك (بألسن الأقلام تدعو الورى).

(6) تقّنها (بفتح التاء وتشديد القاف المفتوحة) : سقاها.

(7) طابة : من أسماء الخمرة. الذي بين القوسين سقط من الأصول والتكملة من أنوار الربيع 2 /. 156

يا له من منهل عذب يزيل الكرب بل يروي الظّماه (الظّما)

وأنشدني لنفسه أيضا :

تـراءى كـظـبي خـائـف مـن حـبـائـل يشـــير بـطـرف نـاعـس مـنـه فـاتـر

وقـد ملئـت عينـاه من ســحـب جفنـه كـنـرجـس روض جـاده وبـل مـاطـر

وكتب بهما إلى مولانا وشيخنا محمد الشامي [1] مع رقعة صورتها :

يا مولانا عمّر الله بالفضـــل زمانك ، وأنار في العالم برهانك. سمحت للعبد قريحته في ريم هذه صـــفته بهذين البيتين ، فإن رأى المولى أن يجيزهما ويجيرهما من البخس ، فهو المأمول من خصـــائل تلك النفس ، وإن رآهما من الغث فليدعهما كأمس ، ولعل الاجتماع بكم في اليوم هذا بعد الظهر قبل العصـر [2] لنحثّ كؤوس المحادثة ما راق بعد العصـر. والمملوك كان على جناح ركوب ، بيد أنه كتب هذه البطاقة بسـرعة وأرسـلها إلى سـوق أدبكم العامرة التي ما برح إليها كلّ خير مجلوب.

فـأســبـل السّــتر صــفـحـا إن بـدا خلـل تهـتـك بـه ســـتر أعـداء وحسّـــاد

فكتب مولانا الشيخ بهذين البيتين بديهة ، فعين الله على تلك الفطرة النبيهة :

ولـربّ مـلـتـف بـأجـيـاد المـهـا نحـوي وأيـدي الـعـيـس تـنـفـث سمّـهـا

لم يـبـك مـن ألم الـفـراق وإنّمـا يسـقي سـيـوف لحـاظـه ليسـمّـهـا

ثم نظم معنى بيتي الوالد فقال :

ولـقـد يشـــير إليّ عـن حـدق المـهـا والرّعـب يخـفـق في حشـــاه الضّـــامر

أســيـان يـفـحـص في الحـبـال كـأنّـه ظـبي تخـبّـط في حـبـالـة جـازر [3]

---

(1) هو محمد بن علي بن محمود الشامي أستاذ المؤلف. توفي سنة نيف وتسعين وألف (أنوار الربيع 1 / 50)

(2) في ك (في هذا اليوم يقدر بعد الظهر) وفي نفحة الريحانة 4 / 183 (قبل الظهر أو بعد العصـــر). وما في سلافة العصر موافق للمثبت وهو رواية (ع) و (أ).

(3) في ك (خادر) والخادر : الأسد ، وفي أ(حاذر) وفي سلافة العصر ونفحة الريحانة . (جاذر) مكان (جازر).

غشّـــت نـواظـره الـدّمـوع كـأنّهـا ماء تـرقـرق في مـتـون بـواتـر
رقّـت شمـائـلـه ورقّ أديمـه فـتـكـاد تشـربـه عـيـون الـنّـاظـر

وقال الشيخ أحمد الجوهري (*) معارضا :

وظـبي غـريـر بـالـدّلال محـجّـب يرى أنّ فرض العين سـتر المحاجر [1]
رمـاني بـطـرف أسـبـل الـدّمـع دونـه لـئـلّا أرى عـيـنـيـه مـن دون سـاتـر

وقلت أنا في سنة ثمان وستين وهو أوّل شعري :

ألا ربّ ظـبي كـالهـلال جـبـيـنـه رمـاني بسـهـم من جـفـون فـواتـر [2]
يشـير بـطـرف وهـو يـرتـاع خـيـفـة كمـا ارتـاع ظبي خوف كفّـة جـازر [3]
وعـيـنـاه مملـوءان دمـعـا كـنـرجـس عـلـيـه سـقـيط الـطـلّ لـيس بـقـاطـر

ومما أنشدنيه الوالد لغيره ، قول القاضي تاج الدين المالكي (*) وهو المبتكر لهذا المعنى :

بـدا البرقع الشّـرقي كـالشّـفق الـذي عـلـى فـرقـه لاح الهـلال بـلا فـرق [4]
وأبـدى عـجـيـبـا في عـجـيـب لأنّـه أرانـا هـلال الأفق يبـدو من الشّـرقي

وقال القاضي أحمد بن عيسى المرشدي (*) معارضا :

وخـود كـبـدر الـتـمّ في جـنـح مصـون حماها عن الأبصـار برقعها الشّـرقي [5]

---

(1) في سلافة العصر ونفحة الريحانة (يرى أن ستر العين فرض المحاجر).

(2) في سلافة العصر ونفحة الريحانة (ولله ظبي).

(3) الكفة (بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة) : حبالة الصياد. لا وجود لهذا البيت والذي بعده في سلافة العصر ونفحة الريحانة. وجاء في محلهما البيت الآتي :

جـرت بمـآقـيـه الـدمـوع كـأنّـهـا مـيـاه فـرنـد في شـفـار بـواتـر

(4) جاء صدر البيت في ك هكذا (بدا في ظلام الليل والبرقع الشرقي).

(5) المصون (بكسر فسكون ففتح) : رداء أسود لنساء الحجاز.

سـوى طـرّة مـثـل الهـلال بـدت لـنـا على شـفق والفرق كـالفجر في الأفق [1]

فـقـلـت هـلال لاح والـفـجـر طـالـع من الأفق أم لاح الهلال من الشّـرق [2]

وقوله أيضا في المعنى :

بـالـبرقـع الشّـرقـي تحـت المصـون الـبـاهـي الجـمـال

أبـدت لـنـا شـفـقـا ولـيـلا لاح بـيـنـهـمـا هـلال

ونظم المعنى الشيخ شرف الدين العصامي (*) فقال مع زيادة وجه آخر في التورية

وخـود مـن الأعـراب لمـا تـلـثّـمـت ببرقعها الشّـرقيّ في معشـر العشـق [3]

وشـرّق خـدّيـهـا الحـيـاء بحـمـرة أرتـنـا هـلال الأفـق يـبـدو مـن الشـرق

وللنظر في هاتين البيتين مجال.

وأنشدني الوالد للقاضي تاج الدين المذكور فيما يكتب على هياكل الصدور :

غـنـيـت بحـلـيـة حسـنـهـا عـن لـبـس أصـنـاف الحـلـي

وبـدت بهـيـكـلـهـا الـبـديـع تـقـول شـاهـد واجـتـل

تجـد المحـاسـن كـلّـهـا قـد جمّـعـت في هـيـكـلـي

وقد زاحمه على سبكه هذا جماعة من معاصريه ، منهم السيد أحمد بن مسعود بن حسن ابن أبي نمي بن بركات [4] فقال :

---

(1) سقط هذا البيت من ك.

(2) في نفحة الريحانة 4 / 78 وأنوار الربيع 5 / 113 (من الغرب) مكان (من الأفق).

(3) في ك (تلفتت) مكان (تلثمت) و (فئة) مكان (معشر).

(4) هو الشريف أحمد بن مسعود ابن أبي نمي المتوفى سنة 1041 هـ (أنوار الربيع 1 / 291).

لله ظبي سربه يزهو به في المحفل [1]
قنص الأسود بقالب قيد الأوابد هيكل [2]
وله الجوار المنشئات جوى الحشاشة للخلي
من كلّ رؤد لحظها يزري بحدّ المنصل
مشتاقها من ثغرها وأثيشها في مشكل
ما قال في ظلمائها يا أيّها اللّيل انجل
فاق الغواني حاليات عاطلا في هيكل
وغدا ينصّ به فأزرى الحلي بالنّصّ الجلي

ومنهم القاضي أحمد بن عيسى قال وأجاد [3] :

أنا ربّة الحسن الجلي لمؤمّلي المتأمّل
صدري ووجهي منية للمجتني والمجتلي
فالحظ بديع محاسني من تحت أنواع الحلي
تجد المحاسن والحليّ (م) جمالها من هيكلي

ومنهم القاضي شرف الدين بن السيد عمر الحسيني المالكي الخلوتي القاضي بمكة [4] المشرفة قال :

أفدي كعوبا ذات حسن ناهدا قد صاغها الباري بأجمل هيكل [5]

---

(1) الأبيات في سلافة العصر / 25 ونفحة الريحانة 4 / 90 ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) الهيكل : غلاف من الفضة يتخذ للتعاويذ (سلافة العصر / 28).

(3) الأبيات في نفحة الريحانة 4 / 91 وفي رواية البيتين الأول والرابع اختلاف.

(4) سماه المؤلف في كتابه (أنوار الربيع 5 / 113) : يحيى بن السيد عمر المكي ، وقلت أنا في الحاشية : أحتمل أنه نجل العلامة السيد عمر بن السيد عبد الرحيم الحسيني الشافعي المكي المتوفى سنة 1037 هـ.

(5) (كعوبا) كذا ورد في الأصول ، وأنوار الربيع 5 / 113 ، وسلافة العصر / 27 ، وأخال الصواب (كعابا).

خطرت بهيكل قدّها وبهيكل في جيدها الباهي السّنى المتهلّل [1]
بين الغواني المبدعات بحسنها وجمالها مهدي الجمالة للحلي [2]
وتقول عجبا بينهن ورقة هل هيكل في الحسن يحكي هيكلي [3]

وأنشد الوالد لنفسه في المعنى [4] :

خود جلا الأنوار نور جبينها والفرع منها كالبهيم الأليل
تزهو بجيد الرّيم إلّا أنّه هاد إلى الوجه المنير الأجمل
قالت لصبّ قد تزايد وجده من صدّها بتعزّز وتدلّل
أنا نزهة الأبصار ذاتا فاجتل منّي محاسن قد حواها هيكلي

وله أيضا في المعنى :

خود جلالي وجهها بدرا منيرا معتلي
قالت لمدنف هجرها بتعزّز وتدلّل
أنا نزهة الألباب ذاتا والبها بي يعتلى [5]
ومحاسن الدّنيا جميعا قد حواها هيكلي

وأنشدني لكثير عزّة [6] :

---

(1) في ك (الباري السني) وفي أنوار الربيع 5 / 114 (السنيّ المنهل).
(2) في ك (الغواني المعجبات) و (جمالها يهدي الجمال إلى الحلي).
(3) في ك (ورفعة) مكان (ورقة).
(4) في ك (ومنهم الوالد وأنشدنيه بنفسه فقال).
(5) في أنوار الربيع (الأبصار) مكان (الألباب). وورد البيت والذي بعده في ك وكأنهما مستقلان عن البيتين السابقين لاختلاف الوزن وهما :

أنا نزهة الألباب جلوة ك (م) لّ شيء والبهابي يجتلي
ومحاسن الدنيا جميعا جمّعت لي إذا حواها للملاحظ هيكلي

(6) هو أبو صخر عبد الرحمن بن الأسود المعروف بكثيّر عزة. توفي سنة 105 ه (أنوار الربيع 1 / 249).

أقـول لهـا عـزيـز مـطـلـت ديـني وشـــرّ الـغـانـيـات ذوو المـطـال [1]

فـقـالـت ويـح غـيرك كـيـف أقضـــي غـريمـا مـا ذهـبـت لـه بمـال

ومن أملائه زيد في علائه ، وعزاه للشريف أبي نمي بن بركات [2] :

بشّـــرتـــني بـــغـــلام حســـن الـوجـه وســـيـم

قـــلـــت عـــزّي لا تهـــنّي ولـــد الشّـــيـــخ يـــتـــيـم

ومنه وهو لجدي الشيخ محمد المنوفي [3] :

عـتـبـت عـلـى دهـري بـأفـعـالـه الّـتي أضـــاق بها صـــدري وأضـــنى بها جســـمي

فـقـال ألم تـعـلـم بـأنّ حـوادثـي إذا أشـــكـلـت ردّت لمن كـان ذا عـلـم

ومنه وهو لأبي الحسين الجزّار (*) :

أحمّـل نـفسـي كـلّ يـوم ولـيـلـة هـمـومـا عـلـى مـن لا أفـوز بخـيره [4]

كما ســوّد القصّـــار في الشّـــمس وجهه لـيـجـهـد في تـبـيـيـض ثـوب لـغـيره [5]

ومنه وهو من قصيدة لعربيّ من شهران [6] :

ووالله مـا الـثّـوب الـذي مـتـقـلّـل على شـــرف ترمي الـذّواري بجـانبـه [7]

---

(1) في ك (أولي المطال).

(2) هو الشريف محمد بن بركات (أبو نمي الثاني) توفي سنة 992 هـ (الأعلام 6 / 276).

(3) هو العلامة محمد بن أحمد المنوفي جدّ المؤلف لأمه. توفي سنة 1044 هـ (نفحة الريحانة 4 / 172).

(4) في الغدير 5 / 433 (قلبي) مكان (نفسي).

(5) في الغدير (حريصا على تبييض). وفي ك (أثواب غيره).

(6) شهران : بطن من خثعم.

(7) متقلل : مرتفع. في ك (متعلق).

بـأكـثـر مـن قـلـبي خـفـوقـا وحـيّـنـا جـمـيـع وخـوفي مـن تـنـائـي عـواقـبـه

قلت : ولي قريب من هذا المعنى من قصيدة امتدحت بها الوالد :

لقـد كنـت أبكي قبـل أن أعرف النّوى مخـافـة بـين والخـطـوب هـجـود

فكيف وقـد شـطّ المزار وأصـبحـت أيـادي الـنّـوى تحـدو بـنـا وتـقـود

وفي يوم الجمعة لليلة بقيت من شـهر ربيع الأول اسـتدعانا مولانا السـلطان خلّد الله ملكه ، وأجرى في بحار النصـر فلكه ، للمثول بحضـرته الشـريفة ، والرقي إلى سـدّته المنيفة (فاكتحلنا بتلك الغرّة الزهراء ، واستضأنا بتلك الزهرة الغراء) [1] ورأينا من ذلك الأفق المنير ، والتاج والسرير نعيما وملكا كبيرا ، وخيرا وخيرا ، وفضلا كثيرا.

رأيـت امـرءا مـلء عـين الـزّمـان يـعـلـو سـحـابـا ويـرسـو ثـبـيرا [2]

مـلـيـكـا شـآى الـكـلّ لمـا بـدا نـدا أوّلا وعـتـادا أخـيرا

إذا مـا حـلـلـت حمـى جـوده رأيـت نـعـيـمـا ومـلـكـا كـبـيرا

وهذا مكان درر من قصـيدة الوالد التي أحكم نظامها ، وأودعها من صـفات هذا الملك الأعظم ما يزين به انتظامها حيث يقول [3] :

(بكـلّ تـداوينـا فلـم يشـف مـا بنـا على أن قرب الـدار خير من البعـد [4]

بلى ليس بعـد الـدّار يـا صـاح ضـائرا إذا كـان عـبـد الله مـنـتـجـع الـوفـد [5]

---

(1) في ك (فاكتحلنا بتلك الغرّة الزاهرة واستضأنا بتلك الزهرة الباهرة).

(2) في ك (يعل سحابا ويعلو ثبيرا).

(3) القصيدة طويلة مثبتة في سلافة العصر / 11 مطلعها :

سـلا هـل سـلا قـلـبي عـن الـبـان والـرنـد وعـن أثـلاث جـانـب الـعـلـم الـفـرد

(4) البيت مضمن من قصيدة تنسب لمجنون ليلى ولشعراء آخرين ، يراجع ديوان المجنون جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. سقط هذا البيت من ك.

(5) صدر البيت في ك (ألا أنّ بعد الدار ليس بضائر).

شـــهنشـــاه شـــاه قطب شـــاه مليكنا ووالي ولاة الأمـــر مشـــرعـــة الـــرّفـــد

مـلـيـك سمـا فـرع السّـــمـاكـين راقـيـا إلى رتـبـة عـلـيـاء ذات عـلا نهـد [1]

مليـك لـدى الهيجـاء تهنو لبـأســـه أسـود الشـرى هيهات ما صـولة الأسـد [2]

مليـك إذا ضـــاق الزمـان توسّـــعـت خلائقه الحســـنى فجاءت على القصـــد [3]

يســـوم جمـيـع الـعـالمـين نـوالـه فيوســـعهم جودا ينوف على العـدّ [4]

تـظـلّ مـلـوك الأرض خـاضـــعـة لـه فـجـبّـارهـم عـنـد المـلاقـاة كـالـوغـد

لـه هـيـبـة قـد ألـبـس الله وجـهـه بهـاء ونورا شـــاهـدين على السّـــعـد

هو الملـك المنصـــور ذو الفخر والعلى وربّ الـنّـدى والأمـر والحـلّ والـعـقـد

وقـطـب مـلـوك الأرض دام عـلاؤه ودمـنـا زمـانـا راتـعـي عـيشـــه الرّغـد

فـأكـرم بـظـلّ الله في كـلّ أرضـــه ونجـل مـلـوك مـنـتـمـين إلى جـدّ

---

(1) في أ(مليكا) وفي ك (هام السماكين).

(2) في أ(مليكا) وفي ك (لدى العلياء).

(3) في أ(مليكا) وفي ك (فكان على القصد).

(4) يسوم : يقصد ، ويبتغي. في سلافة العصر (ويشمل كلّ العالمين).

ذكر نسب المولى المذكور

هو الملك الأعظم والسلطان المعظّم عبد الله بن محمد قطب شاه بن محمد أمين بن ابراهيم قطب شاه بن سلطان قلي المشهور ببر املك قطب الملك ، وهو أوّل من استبدّ بالملك واحتوى على الصقع الدكني من الديار الهندية وذلك سنة اثنتي عشرة وتسعمائة [1]. وكان ملكا منصورا مظفرا ، افتتح بسيفه سبعين قلعة ، وكان يبارز بنفسه ، فأصابته في وجهه جراحات شانته ، فكان يستر وجهه لذلك. توفي سنة خمسين وتسعمائة شهيدا بمواطاة ابن له عن تسعين سنة. وهو ابن أويس بن الأمير بيرقلي بن الأمير قرا يوسف بن قرا محمد ــ وهو الذي افتتح العراقين ، وأذربيجان واحتوى على ذلك الصقع وكسر الأمير أبا بكر بن الأمير تيمور في سنة تسع وثمانمائة . ابن قرا تورسن [2] بن قرا منصور.

ولا حاجة بنا إلى التطويل بذكر النسب كلّه لاستعجام الأسماء وافتقارها إلى الضبط. وهم من ملوك الترك التراكمة ، ويتّصل نسبهم بيافث بن نوح **عليه‌السلام**. وكان أوّل من أسلم منهم آغز خان بن قراخان [3] والملك فيهم منه إلى يافث بن نوح موروث بطنا عن بطن.

ملوك هم الأنياب للملك والسّوى إذا نسبوا كانوا الزّوائد أو عدّوا
تولّوا فأفضى ملكهم لمحجّب تصادم تيجان الملوك إذا يبدوا

---

(1) في ك (سنة عشر وتسعمائة) ، وفي أ(سنة احدى عشرة وتسعمائة).

(2) في ك (طورسن) ، وفي أ(توربين).

(3) سقطت كلمة (بن قراخان) من (ك) و (أ).

تـأخّـر عصـــرا فـاســـتزاد مـن الـعـلـى كـمـا زاد بـالـتـأخـيـر مـا تـرقـم الهـنـد

أدام الله أيام ولايته الشـريفة ، وخلّد أعوام عدالته المنيفة ، ولا زال النصـر لافّا بلوائه ، والظفر حافّا بفنائه ، ما اتّصلت عين بنظر ، وأذن بخبر.

مـن قـال آمـين أبـقـى الله مـهـجـتـه فـإنّ هـذا دعـاء يشـــمـل الـبشـــرا

وكان جلوسـه الشـريف على سـرير الملك المنيف يوم الخميس لأربع عشـرة خلون من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وألف ، وله من العمر ثلاث عشـرة سنة ، وذلك بعد وفاة والده المرحوم في السنة المذكورة.

لـقـد خـطـبـت شمس الخـلافـة بـدرهـا فـقـارنـهـا في الأوج الـطّـالـع السّـــعـد

وأصـــبح عطلا جيـد من رام عـقـدهـا ســـواه وأضـــحى يســـتضـــيء به العقد

تـفـرّد طـود المـلـك بـالمجـد جـامـعـا مـزايـاه فـهـو الجـامـع الـعـلـم الـفـرد

مع الله الممالك في ســـلك ملكه ، وجعل أقطار الأرض جارية في حوزته وملكه وأيّد دولته المشرقة الليالي والأيام إلى قيام الساعة ، وساعة القيام.

واجتمعت في حضـرة الوالد بجماعة من الأعيان ، ورؤسـاء العصـر والأوان. ممن حلّى بهم الدهر جيده ، وملكهم الفضـــل طارفه وتليده ، فاكتحل برؤياهم جفني القريح ، وهبّت بعرف ريّاهم لكتابي هذا أطيب ريح.

فمنهم العلامـة الوحيـد ، القـدوة الفهّـامـة الفريـد ، أعلم العلمـاء الأعلام ، وعمـدة العظماء الفخام ، إمام المنظوم والمنثور ، حامل لواء علميهما المأثور ، الأسـتاذ الأعظم والملاذ الأنبل الأفخم ، مولانا الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن ابراهيم الشامي لا زال في أعلى المراتب ســـامي. وهو الإمام الذي ألقت إليه العلوم مقالدها ، وقلّدته الفهوم طارفها وتالدها ، فأضحت بسنى أنواره ساطعة ، وبشبا أفكاره قاطعة ، فهو يتحلّى مع فضله الوافر وصبحه السـافر ، بأدب يعقد عليه الخنصـر على ما يكشـف من أبهامه ، ويقرطس شـواكل الغرض بصـوائب سـهامه. وأقلّ ما يعدّ من مأثوره جمعه بين منظوم الأدب ومنثوره ، ووصـفه بأنّه إذا نثر أخجل العقود في النحور ، وإذا نظم استنزل الدراري من الأفلاك واستخرج الدرر من البحور ، وما وراء ذلك من

أفانين العلوم ، فهو لدى كلّ علم من البديهي المعلوم ، وهو الذي أوضح لي من الشعر طرائقه ، وعرّفني (سائغه ورائقه) [1] ، وعنه أخذت علمي النحو والبيان ، وبعض أبواب الفقه والحساب ، فعادت عليّ بركات أنفاسه ، ولاحت لي لوامع نبراسه ، وحقّ لي أن أنشد بين يدي هذا المرشد :

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الخطر الجزيلا [2]

وقد أثبت من غرر كلامه ودرر نظامه ما يستنشق له ريّا ، ويباهى به عقد الثريّا. فمن ذلك ما أنشدنيه شفاها وهو قوله :

رفّت شمائله فقلت نسيم وزكت خلائقه فقلت شميم
قصر الكلام على الملام وإنّما للّحظ في وجناته تكليم
شرقت معاطفه بأفواه الصّبا وجرى عليه بضاضة ونعيم
قد كاد تشربه العيون لطافة لكنّ سيف لحاظه مسموم

ومن بديع شعره ، وسحر بيانه أو بيان سحره :

إذا أبصرت شخصك قلت بدر يلوح وأنت إنسان العيون
جرى ماء الحياة بفيك حتّى أمنت عليك من ريب المنون

وقوله من قصيدة فريدة :

طارت بلبّك حيث طار بها الهوى ورقاء قطّع نوحها الأكبادا
غنّتك أحوج ما تكون إلى البكا هل تحسنين لواجد إسعادا
ومزيّف للحبّ عندي قال لي والعيس تقدح للفراق زنادا [3]
ما بال قلبك لا يقرّ قراره أحلاله طعم الهوى فازدادا
أمسك فؤادك إن مررت على اللّوى فأجبت هل أبقى الفراق فؤادا
خفّض عليك من الملام فإنّني عوّدت قلبي حبّهم فاعتادا

---

(1) في ك (سابقه ورافقه). وفي أ(سابقه ورائقه).

(2) الخطر . هنا . : الشرف وارتفاع القدر.

(3) في سلافة العصر / 341 (ومهون للوجد عندي).

وقوله من أخرى [1] :

وقد جعلت نفسي تحنّ إلى الهوى ... حلا فيه عيش من بثينة أو مرّا
وأرسلت قلبي نحو تيماء رائدا ... إلى الخفرات البيض والشّدن العفرا
تعرّف منها كلّ لمساء خاذل ... هي الرّيم لولا أنّ في طرفها فترا
من الظّبيات الرّؤد لو أنّ حسنها ... يكلّمها أبدت على حسنها كبرا
وآخر إن عرّفته الشّوق راعني ... بصدّ كأنّي قد أبنت له وترا [2]
أناشد فيه البدر والبدر غائر ... وأسأل عنه الرّيم وهو به مغرى
وأسترشد الشّعرى العبور وقلّما ... تبين لنا عن ليل طرّته الشّعرى
فما ركب البيداء لو لم يكن رشا ... ولا صدع الدّيجور لو لم يكن بدرا
لحاظ كأنّ السّحر فيها علامة ... تعلّم هاروت الكهانة والسّحرا
وقدّ هو الغصن الرّطيب كأنّما ... كسته تلابيب الصّبا ورقا نضرا
رتقت على الواشين فيه مسامعا ... طريق الرّدى منها إلى كبدي وعرا
أعاذلتي ـــ واللوم لؤم ـــ ألم تري ... حشاشتي الحرّى ومقلتي العبرى [3]
وأذني لا تصغي إلى متكلّم ... كأنّ بها عن كلّ لائمة وقرا
بفيك الثّرى ما أنت والنّصح إنّما ... رأيت بعينيك الخيانة والغدرا
وما للصّبا ـــ يا ويح نفسي من الصّبا ـــ ... تبيت تناجي طول ليلتها البدرا
تطارحه ـــ والقول حقّ وباطل ـــ ... أحاديث لا تبقي لمستودع سرّا
وتلقي على النّمام فصل ردائها ... فيعرف للأشواق في طيّها نشرا

---

(1) القصيدة في أنوار الربيع 4 / 141 ، وسلافة العصر / 341 ، وخلاصة الأثر 4 / 68 ، ونفحة الريحانة 2 / 355 ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

(2) لا وجود لهذا البيت في (ك).

(3) لا يوجد في (ع) و (أ) والمصادر الأربعة المذكورة آنفا من هذا البيت غير صدره.
ثم ألحق به عجز البيت الذي بعده ، فلفق منهما بيت وأهمل الباقي. ما أثبته عن (ك).

يعانقها خوف النّوى ثمّ تنثني تمزّق من غيظ على قدك الأزرا
ألميا ترى بأن النّقا كيف هذه تحيل بعطفيها حنوّا على الأخرى
وكيف وشى غصن إلى غصن هوى ومن رشأ يوحي إلى رشأ ذكرا [1]
همما عذلانا في الهوى غير أنّني عذؤت الصّبا لو تقبلين لها عذرا
هبيها ـــ فدتك النّفس ـــ راحت تسرّه إليها فقد أبدته وهي به سكرى
على أنّها لو شايعت كثب النّقا وشيح الخزامى إنّما حملت عطرا [2]

ومن نظمه الذي هو أبهى من نظم العقود ، وأشهى من سلافة العنقود قوله :

آه يا غصن النّقا ما أميلك جلّ يا غصن النّقا من عدّلك
قد قضى لي بتباريح الجوى من قضى بالحبّ لي والحسن لك
أكل الحبّ فؤادي بعد ما لاك منّي ما تمنّى وعلك
هلك الشاميّ وجدا وأسى ما يبالي يا حياتي لو هلك
قلّ لي فيك غراما وجوى قلّل الله عذولا قلّلك [3]
حكم الله لفؤادىّ على نسخة الشّيب وتسويد الحلك
أتراهم قد دروا أيّ دم هرق الواشي على تلك الفلك [4]
يا غراب البين لا كنت ولا كان واش دبّ فيهم وسلك

---

(1) في نفحة الريحانة لفق من صدر هذا البيت وعجز البيت الذي بعده بيت وأهمل الباقي.

(2) (شيخ الخزامى) كذا ورد في الأصول ، والمصادر الأخرى عدا أنوار الربيع فالذي فيه (ريح الخزامى).

(3) في ك ، وأ (عدوا) مكان (عذولا).

(4) الفلك (بفتحتين) جمع الفلكة (بالتحريك) : قطعة الأرض المستديرة المرتفعة عما حولها. في نفحة الريحانة 4 / 370 (أتراهم قد رأوا) وجاء البيت في سلافة العصر / 341 في آخر القصيدة.

أخـذوا مـنّـا وأعـطـوا مـا اشـــتـهـوا مـا كـذا يحـكـم فـيـنـا مـن مـلـك
جـرت في الحـكـم عـلـى أهـل الهـوى لا تخـــف فـــالأمـــر لله ولـــك
لـيـت شـــعـري أمـلـيـك في الـورى أنـت يـا إنســـان عـيـني أم مـلـك
حـكـم الـدّهـر عـلـيـنـا بـالـنّـوى هـكـذا تـفـعـل أدوار الـفـلـك

(فلقد راق لي هذا النظم فنظمت عليه وقلت مستعينا بالله) [1] :

آه يـا حـبـل الـنّـوى مـا أطـولـك قـطـع الله زمـانـا وصـــلـــك
حكـمـت بـالـبـعـد أســـبـاب الـنّـوى وقضـــى فـينـا بمـا شـــاء الفـلـك [2]
ذبـت يـا قـلـب غـلـيـلا بـعـدهـم وبهـم مـا كـان أروى غـلـلـك
كـم وكـم مـن أمـل نـلـت بهـم حـيـث لم تـقـض الـلّـيـالي أمـلـك
لـيـت دهـرا كـان أغـراك هـوى بهـم قـد كـان يـومـا عـذلـك
أيّـهـا الـنّـائـي عـلـى وجـد بـنـا بـعـد مـا حـاز فـؤادي ومـلـك
أعـجـل الله زمـانـا أعـجـلـك أتـرى نـا ضـــرّه لـو أمـهـلـك [3]
ذبـــت والله غـــرامـــا وأســـى مـن فـراق شـــاك قـلـبي وســـلـك [4]
هـل تـرى بـعـد الـتّـنـائـي والـنّـوى رجـعـة يحـيـا بهـا مـن قـد هـلـك [5]
أن تـعـد يـومـا عـلـى حـكـم الهـوى تجـد الـقـلـب كـمـا قـد كـان لـك [6]

وأنشدته يوما وقد أنشدني شيئا من شعره.

---

(1) في ك (قلت : ولما رأيت هذا النظم راق لي فنظمت على رويه وقلت :).

(2) في الديوان (حكم الدهر بأسباب النوى).

(3) رواية الديوان للبيت :

عـجـل الـدهـر ولم يـرفـق بـنـا آه يـا دهـر الـنـوى مـا أعـجـلـك

(4) في الديوان (من فراق لاك قلبي وعلك).

(5) في الديوان (بعد التنائي لهم).

(6) في الديوان (أن تعد يوما على رغم النوى).

ما نفشة السّحر إلّا شعرك السّامي يا من علا كلّ نشّار ونظّام [1]
لأنت أفصح من لاقيت من يمن ومن شآم على الاطلاق يا شامي

فأجاب بديهة :

رفعت يا ابن نظام الدّين أعلامي نوّهت باسمي وإن كنّيت بالشّامي
لم ألتفت في حماكم بين أقوامي إلّا رأيت الغنى خلفي وقدّامي

ثم كتب إليّ بهذه الأبيات المعمورة :

خبّرتنا الحظوظ أن سوف يحيا بعليّ ميت النّوال ويحيي [2]
فهما ما هما من المجد غصنا دوحة قد زكت نماء وفيّا [3]
ما بدا لي أبوهما النّدب إلّا ورأيت الغنى يلوح عليّا
بهم يستقى الغمام ويمرى درّه الجود لا بنوء الثريّا
ما رجوت النّوال إلّا أشارت راحتا أحمد إليّ أليّا
علّمتني هبات أحمد كيف الجود حتى وهبت ما في يديّا
عفت حتى المؤآة رغبة ألّا تبصر العين غير مرآه حيّا
حبّذا أنتم ملوكا إذا هبّت شمال وقام سوق الحميّا

ومن بديع مديحه قوله في الوالد من قصيدة :

وإنّ في الشّعرات البيض لو علموا نورا لعيني ونوّارا على عودي
بيض وسود إذا ما استجمعا حسنا حسن البياض على أحداقها السّود
كم للزمان ولا أخشى بوائقه من ضنّة ولعين الملك من جود [4]
عفّ الشبيّبة ميمون النّقيبة منصور الكتيبة مأمون المواعيد

---

(1) في ك (سما) مكان (علا).
(2) (يحيي) هو محمد يحيي أخو المؤلف ، تقدم التعريف به.
(3) في ك (نموا ورقيا).
(4) في ك (من طعنة) مكان (من ضنة).

أخـلاق أحمـد في تـقـوى أبي حســـن وحســـن يـوســـف في مـلـك ابـن داود
لا يحســـن الشـــعـر إلّا في مـدائـحـه كـالـدرّ أحســـن مـا يـبـدو على الجيـد

ومما أنشدنيه لغيره قول السيد أحمد الصفوي الدمشقي [1] :

صـــه يـا حمـام فـلســـت المشـــوق ولا بـات حـالـك فـيـهـا كـحـالي
فـمـا مـن تـبـاكـى كـمـا مـن بـكـى ودمـع الأســـى غـير دمـع الـدّلال [2]

قلت : وهو من قول مهيار الديلمي [3] :

أبـكـي وتـبـكـي غـير أنّ الأســـى دمـــوعـــه غـــير دمـــوع الـــدّلال

وأنشدني لصدقة الشامي :

في خـــدّه عـــرق بـــدا ذا حمـــرة لصـــفـــائـــه
هـــذا يصـــدّق قـــولهـــم المـــاء لـــون إنـــائـــه

وأنشدني للأمير الخطير ، والهمام الكبير الأمير منجك [4] :

دنـوّا فـقـد أوهـى تجـلّـدي الـبـعـد ووصـــلا فـقـد أدمى جوانحي الصّـــدّ
أجـنّ غـرامـا فـيـك خـيـفـة كـاشـــح ومـن مـدمـعـي ودق ومـن كـبـدي وقـد
وبي فـوق مـا بـالـنّـاس من لاعج الهوى ولـكـن أبى أن يجـزع الأســـد الـورد
فـيـا مـن يـبـين الرّشـــد فـيـمـن أحبّـه مـتى يـلـتـقـى الحـبّ المـبرّح والـرّشـــد
تـلاعـبـت بـالأشـــواق حـتى لـعـبن بي ومـا كـنـت أدري أنّ هـزل الهـوى جـدّ

---

(1) (الصفوي) كذا ورد في الأصول ، وأنوار الربيع. وفي سلافة العصر (الصفدي).
ولعله السيد أحمد بن السيد علي الصفوري المتوفى سنة 1043 هـ ، أو أحمد بن محمد الصفدي المتوفى سنة 1100 هـ (يراجع أنوار الربيع 4 / 170 ونفحة الريحانة 1 / 409).

(2) (كما من بكى) كذا ورد في ع ، وسلافة العصر ، وفي ك ، وأ ، وأنوار الربيع (كمن قد بكى).

(3) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي. توفي سنة 428 هـ (أنوار الربيع 1 / 42).

(4) هو الأمير الشاعر منجك بن محمد بن منجك. توفي سنة 1080 هـ (معجم المؤلفين 13 / 8).

بـلـيـت بـقـاس لا يـرقّ فـؤاده عـليّ وهـا قـد رقّ لي الحجر الصّـلـد
أعـاني بـه مـا يعجز الـدّهر بعضـه وأحمـل مـا قـد كـلّ عن حمله الجهد
وأدفـع عـنـه الـنّـفـس وهـي عصـيّـة وهـل يمكن الظمـآن عـن مورد ردّ [1]
إذا جـئـتـه يـومـا لـبـثّ شـكـيّـة أروح بـأشـجـان عـلى مثلها أغـدو
تهـدّدني مـن مـقـلـتـيـه إذا رنـا قـواضـب مما يـطـبـع الله لا الهـنـد
حـداد يـلـوح المـوت في صـفـحـاتها مـواض لها في كـلّ جـارحـة غـمـد
أشـاق إذا مـا عـنّ في الـقـلـب ذكـره أطرب مـا بـات اللّسـان بـه يشـدو

ومنهم السيد الجليل ، الأيّد المثيل [2] ، المتفرع من دوحة الرسالة والنبوة ، المترعرع من سرحة البسالة والفتو ، نور حدقة الفضل والسيادة نور حديقة المجد والسعادة ، ذو الجلالة التي شاع صيتها في الآفاق ، والإبالة [3] التي انعقد عليها الاجماع والاتّفاق. السيد الشريف [4] ، السند الحنيف : عمّار بن الملك الحي ، ولقد كان يجمعني واياه مجلس والدي فنتلاقى ملاقاة الأجسام والأرواح ، ونتصافى مصافاة الماء والراح ، وهو كهل شبّت بالظرف [5] شمائله ، وزرّت على شخص العرف غلائله. يغدو ويروح بجسم كلّه روح. وقد رأيت جماعة من أبناء جنسه فلم أر من يدانيه في جوده وبأسه. أمّا جوده فضرّة البحار ، وأمّا بأسه فأشهر من الشمس في رائعة النهار ، وناهيك بمن تحدّر من سلالة أكابر ، ورقاه أسرّة ومنابر ، وربّما كانت تجمعنا حلبة أدهم وكميت ، أو بيت شعر لم يتحكّم عليه لو ، ولا ليت ، فنتنقّل من متن جواد إلى شرح بيت ، ولا أنسى قوله وقد سابقته قبل موته بأيّام قلائل غدت لفوته ولم

---

(1) في ك (عن ورده) مكان (عن مورد).

(2) الأيّد : القوي. المثيل : الفاضل. في ك (الفاقد المثيل).

(3) الإبالة (بكسر الهمزة وتسهيل الباء أو تشديدها) : السياسة.

(4) توفي الشريف عمار بن بركات سنة 1069 هـ (سلافة العصر / 31).

(5) في ك (شبت عن الطوق).

يدر أنّ المنايا تسابقه ، وغمرها السابح [1] لاحقه ، تحته مهر كلف به كلف أبي محجن [2] بالحميّا ، أو ابن أبي ربيعة (*) بمحبوبته الثريّا. قريب الرياضة سريع الإفاضة ، فقال لي وهو يركضه : إن هلك فمنك عوضه ، فكان هو الهالك ، ولو أمكن لكنت عوضه من المهالك. وله شعر يفعل بالألباب فعل السحر ، أثبت منه أحلى من جني النحل ، وأجدى من ندى القطر في البلد المحل. فمن ذلك قوله وهو ممّا كتبه إلى الوالد :

زرت خلّا صبيحة فحباني بسؤال أشفى وأرغم شاني [3]
قال لما نظرت نور محيّاه ونلت المنى وكلّ الأماني [4]
كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا ينبت الحبّ في قلوب الغواني
فتحرّجت أن أفوه بما قد كان منّي طبعا مدى الأزمان
يا أخا المجد والمكارم والفضل ومن لا أرى له اليوم ثاني
أدرك ادرك متيّما في هواكم قبل تسطو به يد الحدثان [5]
وابق واسلم منعّما في سرور ما تغنّت ورق على غصن بان

فأجابه الوالد بقصيدة طنانة مطلعها :

ليت شعري متى يكون التداني من بلاد بها الحسان الغواني

يقول فيها :

كلمات لكنّها كالدّراري وسطور حوت بديع المعاني
قد أتت من أخ شقيق المعالي فائق الأصل غرّة في الزّمان
صافي الودّ صافي القلب قرم كعبه قد علا على كيوان [6]

---

(1) الغمر : الفرس الجواد. السابح : السريع الجري. في ك (السابق) مكان (السابح).
(2) هو أبو محجن الثقفي عمرو بن حبيب. توفي سنة 30 هـ (الأعلام 5 / 243).
(3) أشفى : أهلك. شاني : شانئ.
(4) في ك (ونلت المنى به والأماني).
(5) في سلافة العصر / 33 (واكففن عنه صولة الحدثان).
(6) في ك (خالص الود خالص القلب) وفي سلافة العصر / 34 (كعبة المجد في ذرى

ذاكـرا فـيـهـا تـزايـد شـوق ووولـوعـا بـه مـدى الأزمـان
فـفـهـمـت الـذي نحـاه ولـكـن ليـت شـعـري يـدري بمـا قـد دهـاني
أنـا قـيـس في الحـبّ بـل هـو دوني لا جمـيـل حـالي ولا نجـل هـاني [1]

يا أخا العزم . قد سلمت . فوجدي

طـافـح زائـد بـغـير تـوان فـلـحـتـفـي أبصـرت مـن قـد رمـاني
وعـنـاء تصـيّـد الـغـزلان إن تشـا شـرح حـال صـبّ كئيب

فلقد قاله بديع البيان [2]

(مـرضـي مـن مـريضـة الأجـفـان عـلّـلاني بـذكـرهـا عـلّـلاني) [3]

وكنت أول دخولي هذه البلاد كتبت إليه بقصيدة ضـمّنتها التبرم من الاغتراب والبعاد ، أقول فيها من المديح :

أرى فؤادي وإن ضـاقـت مسـالكـه بمـدح نجـل رسـول الله جـذلانـا
عـمّـار أبـنـيـة المجـد الـذي رفـعـت آبـاؤه الـغـرّ مـن نـاديـه أركـانـا
السـيّـد المـاجـد النّـدب الشّـريف ومن عـلا عـلى ذروة العـلـيـاء مـذ كـانـا [4]

فأجابني بقصيدة أولها :

يـا مـن تـذكّـر حـلّانـا وجـيرانـا وصـار يمسـي سمير النّجم سـهرانـا
صـاد إلى مـورد قـد كـان يـالـفـه عـذب بـه يشـتـفي من كـان ولهـانـا
لـه بـه مـرتـع طـابـت مـوارده والـيـوم بـالهـنـد يـا لله مـا حـانـا

كيوان). وفي نفحة الريحانة 4 / 34 (كعبة قد علا).

(1) في سلافة العصر ، ونفحة الريحانة (ولا كابن هاني).

(2) في ك ، وأ (بديع الزمان) وفي سلافة العصر ونفحة الريحانة (بديع الأماني).

(3) في نفحة الريحانة (عللاني بوصلها). قال المؤلف في كتابه سلافة العصر / 34 : هذا البيت مطلع قصيدة لمحيي الدين بن عربي ، وأورد بعده ثلاثة أبيات. توفي ابن عربي سنة 638 هـ (معجم المؤلفين 11 / 40).

(4) رواية الديوان لعجز البيت هكذا (قد بذ بالفضل اكفاءا واقرانا).

يـا مـاجـدا حـاز ســبقـا في القريض وفي نهـج الـبـلاغـة حـتى فـاق أقـرانـا
أحســـنـت لا زلـت في أمـن وفي دعـة جـزاك ربّـك بـالاحســـان إحســـانـا
وحــقّ جــدّك أنّ الــعــين في غــرق والــقــلــب في حــرق وجــدا لمـا آنـا
عليـك بـالصّـبر يـا مولاي معتصـمـا أنّ الـنّـفـيس غـريـب حـيـثـمـا كـانـا
كـذا الـلّـيـالي عـهـدنـاهـا مـبـدّلـة بـالقرب بعـدا وبعـد الوصـــل هجرانـا
فــلا رأيــت مــدى الأيّــام حــادثــة مــن الــزّمــان ولا همّــا وأحــزانــا

ومنها :

قد ضـــاق صـــدري بما أبديت من كمد مـن لاعـج الـبـين لـيـت الـبـين لا كـانـا
لــكــنّ لي أمــلا في الله خــالــقــنــا وحســـن ظـنّي مـتى نـدعـوه أولانـا
أن يجمع الشّـــمـل في تلـك البقـاع وأن يروي غليـل صـــد مـا زال حرّانـا [1]
بحـقّ آبـائـك الـغـرّ الـكـرام ومـن غـدوا لنـا عـن جميع النّـاس أعـوانـا [2]

ومن شعره قوله مذيّلا بيت أبي زمعة [3] جدّ أمية بن أبي الصلت ومادحا الوالد :

(اشـــرب هنيئـا عليـك التّـاج مرتفقـا في رأس غـمـدان دارا مـنـك محـلالا)
تســـعـى إلـيـك بهـا هـيـفـاء غـانـيـة ميّـاســـة القـدّ كحلا الطّرف مكســـالا
إذا تـثـنّـت كـغصـــن الـبـان مـن تـرف وإن تجـلّـت كـبـدر زان تمـثـالا [4]
كـأنّهـا ـــــ وأدام الله بهجتهـا ـــــ تـكـوّنـت في محـيّـا دهـرنـا خـالا [5]
وكيف لا وهي أمســـت فيـه ســـاحبـة بخـدمـة الســـيّـد المـفضـــال أذيـالا

---

(1) ورد عجز البيت في ك كلآتي (نرى هنالك اخوانا واخدانا).

(2) في سلافة العصر (دون كل الناس أعوانا). ولا وجود للبيت في ك ، وأ.

(3) القول بأنه لأبي الصلت والد أميّة اشهر ، وسيرد بيان ذلك.

(4) في ك (منعطفا) مكان (من ترف).

(5) في ك (عصـــرها) مكان (دهرنا) ، وورد عجز البيت في نفحة الريحانة 4 / 30 (شمس على فلك إشـــراقها طالا) وفي خلاصة الأثر 3 / 206 (ظبي رنا فسبى تيها وادلالا).

ذاك الـذي جـلّ عـن تـنويـه تسـمـيـة شمس علـت هـل ترى للشـمس أمثـالا
البـاسـم الثغر والأبطـال عـابسـة والـبـاذل المـال لم يـتـبـعـه أنـكـالا
عـار مـن الـعـار كـاس مـن محـامـده لا يـعـرف الخـلـف في الأقـوال إن قـالا
إن قـال أفـحـم نـدب الـقـوم مـقـولـه أوصـال أخجل ليث الغاب إن صـالا [1]
عـلا بـه النّسـب الوضّـاح منـزلـة عـن أن يمـاثـل إعـظـامـا وإجـلالا
خـذهـا ربيـبـة فـكـر طـالمـا حـجبـت لـولا عـلاك وودّ قـطّ مـا حـالا
واسمح بفضـلـك عن تقصـير منشـئهـا وحسـن بشـرك لم يـبرح لهـا فـالا [2]
ثم الصّـلاة عـلى أزكى الورى نسـبـا وآلـه الـغـرّ تـفصـيـلا وإجمـالا

قلت : ولقد رأيت هذا المادح ساحبا أذيال العزّ والجلال بحضـرة ممدوحه هذا السـيّد المفضـال وقد أنزله بأعزّ مكان ، وأحلّه محلّ ابن ذي يزن في رأس غمدان. حتى وعده بوعد شام من وميض بارقة السعد. فلم يلبث أن استوفى ملء مكياله ، وأهابت به دواعي آجاله ، فوافت المسـكين منيّته قبل أن تقضـى أمنيّته. وهكذا خلق الدهر العرام [3]. وكم حسـرات في نفوس كرام. وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر بقين من شوال سنة تسع وستين وألف ، روّح الله روحه ، ونوّر برحمته ضريحه ، وقلت أرثيه :

لـنـا كـلّ يـوم رنّـة وعـويـل وخـطـب يـكـلّ الـرأي وهـو صـقـيـل
بـكـيـت لـو أنّ الـدّمـع يـرجـع ميّـتـا وأعـولـت لـو أجـدى الحـزيـن عـويـل
لحـا الله دهـرا لا تـزال صـروفـه تـطـول عـلـيـنـا دائـمـا وتـعـول [4]
عـلام وفـيـمـا قـد أصـاب مـقـاتـلي وغـادرني هـامـي الـدّمـوع أعـول [5]

---

(1) في ك (إن قال أفحم طلق القول مقوله . أو جال ...).
(2) في سلافة العصر (واصفح) مكان (واسمح) و (لم يبخس) مكان (لم يبرح).
(3) العرام (بالضم) : الشرس.
(4) في الأصول (لم يزل متشمتا . بطول) والتصويب من الديوان. تعول : تجور.
(5) في ك (وغادر قلبي بالدموع يسيل).

وحمّلني خطبا تضاءلت دونه ... وما أنا قدما للخطوب حمول [1]

بموت كريم ماجد وابن ماجد ... له العزّ دار والعلاء مفيل

فتى قد عنت يوم الهياج له القنا ... وراح الحسام العضب وهو ذليل [2]

بكاه القنا الخطّيّ علما بأنّه ... كسير وأنّ المشرفيّ كليل

فمن للعوالي بعد كفّيه والنّدى ... ومن في صفوف النّاكثين يجول

ومن بعده للسّيف والضيف والعلى ... ومن بعده للمكرمات كفيل

ربيب علا شحّ الزّمان بمثله ... وكلّ زمان بالكرام بخيل

ولما نعى النّاعي به ضاق بي الفضا ... وراخت دموعي الجاحدات تسيل

وهيهات أن تأتي النّساء بمثله ... ويخلف عنه في الأنام بديل

سأبكيك يا عمّار ما ناح طائر ... وما ندبت بعد الرّحيل طلول

مصابي وإن طوّلته عنك قاصر ... ودمعي وإن أكثرت فيك قليل

سلكت وأسلكت الأسى في حشاشتي ... ممرّ سبيل ما سواه سبيل

لك اليوم في قلبي مكان مودّة ... ودادك فيه ما حييت نزيل

فإن هاطلات السّحب شحّت بسقيها ... سقاك من الجفن القريح هطول [3]

عليك سلام الله مني تحيّة ... مدى الدّهر ما غال البريّة غول [4]

وبيت أبي زمعة الذي ذيّله السيد المذكور وهو من قصيدة له يمدح بها معد يكرب بن سيف بن ذي يزن [5] لما انتقذ ملك اليمن من الحبشة بالجيوش

---

(1) في ك (وحملني خطبا يؤد بيذبل).

(2) في ك (فتى أذعنت).

(3) في ك (فإن بخلت سحب الغمام بسقيها).

(4) في ك (مدى الدهر ما هبت صبا وقبول).

(5) هذه رواية مروج الذهب 2 / 84 ، أما سائر المصادر الأخرى كالطبري 2 / 147 والشعر والشعراء / 371 ، والعقد الفريد 2 / 23 إنها لأبي الصلت والد أميّة. وفي سيرة ابن هشام 1 / 65 (وتروى لأمية بن أبي الصلت) وكلهم متفقون على كونها في

التي بعثها معه كسرى ، وجاءه الوفود من العرب تهنئه ، وفيهم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، وأبو زمعة المذكور. فدخلوا عليه وهو في أعلى قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء ، وهو مضمّخ بالعبير وسواد المسك يلوح في مفرقه ، وسيفه بين يديه ، وعلى يمينه ويساره الملوك وأبناء الملوك ، وأبناء المقاول [1]. فتكلّمت الخطباء ونطقت الزعماء وقد تقدّمهم عبد المطلب بن هاشم فقال :

أن الله جلّ جلاله قد أحلّك أيّها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا ، شامخا باذخا ، وأنبتك نباتا حسنا طابت أرومته ، وعزّت جرثومته ، وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم معدن ، وأطيب موطن فأنت ــ أبيت اللعن ــ رأس العرب وربيعها الذي يخصب ، وأنت أيّها الملك ذروة العرب التي إليها تنقاد ، وعمودها الذي عليه [2] العماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف. فلن يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزأة. فقال له الملك : وأيّهم أنت أيّها المتكلّم؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال : ادن ، فدنا. ثم أقبل عليه وعلى الوافدين فقال لهم : مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ، ومستناخا سهلا ، وملكا ربحلا ، يعطي عطاء جزلا. قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم. فأنتم أهل الليل وأهل النهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم. ثم قام أبو زمعة جدّ أمية ابن أبي الصلت فأنشد [3] :

ليطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ... ريّم في البحر للأعداء أحوالا [4]

أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النّصر الذي سالا

مدح سيف بن ذي يزن.

(1) المقاول ، جمع المقول ، وهو بلغة أهل اليمن. القيل (بالفتح) وهو هنا : الرئيس الذي هو دون الملك.

(2) في ع وك (إليه) مكان (عليه) والمثبت من (أ) وهو موافق لرواية مروج الذهب.

(3) في رواية الشعر اختلاف بين المصادر المذكورة ، وبينها وبين المثبت هنا.

(4) ريّم بالمكان : أقام فيه.

ثم انتهى عند كسرى بعد تاسعة ... من السّنين يهين النّفس والمالا
حتّى أتى ببني الأحرار يحملهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك له ... [أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا][1]
لله درّهم من فتية صبر ... ما إن رأيت لهم في النّاس أمثالا
بيض مرازبة غلب جحاجحة ... أسد تربّب في الغيظات أشبالا
يرمون عن شدف كأنّها غبط ... في زمخر يعجل المرميّ إعجالا [2]
لا يضجرون وإن كلّت بوارقهم ... ولا ترى منهم في الطّعن ميّالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أمسى شريدهم في الأرض ملّالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في راس غمدان دارا منك محلالا [3]
ثمّ اطّلي المسك إذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم من برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وواقعة ابن ذي يزن وذهابه إلى قيصر ، وعوده إلى كسرى لما لم ينجده قيصر ، وانجاد كسرى له ، ومحاربته للحبشة مشهورة ومسطورة في كتب التواريخ ، فمن أحبّ الوقوف عليها فليطلبها من مظانها.

وكنت كتبت إلى الوالد في يوم بسط فيه بساط السرور ، ونشرت به مطارف الأنس والحبور واكتنفه الانبساط والهنا ، وحفّ به البشر من هنا وهنا ، (والدست مملوء بسنى طلعته) [4] الشريفة ، والوقت مكلوء بعليا رتبته المنيفة ،

---

(1) ورد عجز البيت في الأصول محرف هكذا (مثل وهذا يؤم الجيش إرسالا) والتصويب من الطبري.

(2) الشدف (بضمتين) جمع الشدفاء : القوس العوجاء. الغبط (بضمتين) جمع الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج ، أو رحل قتبه وأحناؤه واحدة. والزمخر : النشاب. في الأصول (سدف) مكان (شدف) وفي ع (بزمخر) وفي ك (من مجرف) مكان (في زمخر) والتصويب من الطبري وابن هشام.

(3) لا وجود لهذا البيت في (ك).

(4) في ك (والدهماء منيرة بسنى طلعته).

وقد عمرت المغاني برنّات الأغاني :

(اشـــرب هـنـيـئـا عـلـيـك مـرتـفـقـا) بصـــوت شـــاد ودع شـــاذا وغمدانا [1]

إن كـان ألبســـت العليـا ابن ذي يزن تـاجـا فقـد ألبســتـك اليوم تيجـانـا

وعلى ذلك حكى أبو نصـــر بن خاقان في كتابه قلائد العقيان في ترجمة المعتمد بن عبّاد قال : أخبرني ابن اقبال [الدولة][2] ابن مجاهد : أنه كان عنده في يوم قد نشر من غيمة رداء ند ، واســكب من قطره ماء ورد ، وأبدى من برقه لســان نار ، وأظهر من قوس قزحه حنايا آس حفّت بنرجس وجلنار ، والروض قد نفث ريّاه ، وبثّ الشكر لسقياه ، فكتب إلى الطبيب الأديب [أبي][3] محمد المصري :

أيّهـا الصّـــاحـب الـذي فـارقـت عيني ونـفســـي مـنـه السّـــنى والسّـــنـاء

نحـن في المجـلـس الـذي يـهـب الـرّاحـة والمســـمـــع الـغـنى والـغـنـاء

نـتـعـاطـى الـتي تـنسّـــي مـن الـرقّـة والـــلّـــذة الهـــوى والهـــواء

فـأتـــه تـــلـــف راحـــة ومحـيّـا قـد أعـدّا لـك الحـيـا والحـيـاء

فوافاه والفى مجلســـه قد [اتلعت][4] ، أباريقه أجيادها ، وأقامت فيه خيل الســـرور طرادها وأعطته الأماني انطباعها وانقيادها ، وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها ، وخلعت عليه ، [الشـــمس][5] شـــعاعها ونشـــرت فيه الحدائق أيناعها ، فأديرت الراح ، وتعوطيت الاقداح ، وخامر النفوس الابتهاج والارتياح. وأظهر المعتمد من ايناســـه [ما اســـترقّ][6] به النفوس جلاسه. ثم

---

(1) شاذ ، تخفيف شاذياخ وهي بستان فيها قصر لعبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، وفي ذلك إشارة إلى بيتين مدح بهما عبد الله بن طاهر سيذكرهما المؤلف بعد قليل.

(2) زيادة من قلائد العقيان /. 4

(3) زيادة من قلائد العقيان ، ونفح الطيب 4 / 281.

(4) في ع وك (أبلعت) وفي أ(ألمعت) والتصويب من قلائد العقيان ونفح الطيب.

(5) في الأصول (الشموس) والتصويب من المصدرين المذكورين.

(6) في الأصول (ما استقر) والمثبت من المصدرين المذكورين.

دعا بكبير فشرب به كالشمس عربت في ثبير وعندما تناولها قام المصري ينشد أبياتا تمثلها

اشـــرب هنيئـا عليـك التـاج مرتفقـا بشـــاذ مـهـر ودع غـمـدان لـلـيـمـن

فـأنـت أولى بـتـاج المـلـك تـلـبسـه مـن هـوذة بـن عـلـيّ وابـن ذي يـزن

فطرب حتى زحف من مجلسه ، وأسرف في تأنّسه ، وأمر فخلع عليه خلعة لا تصلح إلّا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلسه الأكفاء ، وأمر له بدنانير عددا ، وملأ بالمواهب له يدا. انتهى.

قلت : ووقفت في كتاب العقد لأحمد بن عبد ربه القرطبي أن البيتين الذين أنشدهما المصري لشاعر من أهل الري يقال له أبو زيد ، دخل على عبد الله بن طاهر [1] صاحب خراسان ، فأنشده ايّاهما ، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

ومن غريب ما يحكى عن عبد الله بن طاهر المذكور ، ما ذكر أحمد بن اسرائيل السلمي قال : كنت مع طاهر بن الحسين بالرقة وأنا أحد قوّاده المختصّين به ، فخرج علينا يوما ومشينا بين يديه ، وهو يتمثّل هذه الأبيات [2] :

عـلـيـكـم بـداري فـاهـدمـوهـا فـإنّهـا تـراث كـريم لـيـس يخشـى الـعـواقـبـا

إذا هـمّ ألـقـى بـين عـيـنـيـه عـزمـه وأعـرض عـن ذكـر الـعـواقـب جـانـبـا

سـأغسـل عنّي العار بالسـيف جالبا عـلـيّ قضـاء الله مـا كـان جـالـبـا

قال : فدار حول الرافقة [3] ثم رجع فجلس فنظر في قصص ورقاع ، ووقّع فيها بصلات أحصيت فكانت ألف ألف درهم. فلما فرغ نظر إليّ

---

(1) من الأمراء الأجواد كان مقدما عند المأمون. توفي سنة 230 هـ (أنوار الربيع 1 / 151).

(2) الأبيات من قصيدة لسعد بن ناشب من بني مازن بن عمرو بن تميم شاعر إسلامي ، وهي في شرح الحماسة للمرزوقي 1 / 67 ، والعقد الفريد 3 / 14 وفي روايتها وترتيبها اختلاف.

(3) الرافقة : بلد متصل بالرقة على ضفة الفرات.

مستطعما [1] الكلام فقلت : أصلح الله الأمير ما رأيت أنبل من هذا المجلس وأحسن ، ودعوت له ثم قلت : لكنّه سرف ، فقال : السرف من الشرف ، فأردت أن أذكر الآية التي فيها «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» [2] فجاءت الآية الأخرى (**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**)[3] ، فقال لي : صدق الله العظيم وما قلنا فكما قلنا. قال : ثم ضرب الدّهر ضربانه حتى اجتمعنا مع ابنه عبد الله في ذلك القصر بعينه ، فخرج علينا راكبا يتمثّل [4] :

يا أيّها المتمنّي أن يكون فتى مثل ابن ليلى فقد خلّى لك السّبلا
انظر ثلاث خلال قد جمعن له هل سبّ من أحد أو سبّ أو بخلا [5]

ثم دار حول الرافقة ، ثم انصرف وجلس مجلسه وحضرناه ، وأحضرت رقاع وقصص فجعل يوقع فيها وأنا أحصي حتى بلغت صلاته ألفي ألف وسبعمائة ألف ، ثم التفت إليّ مستطعما الكلام ، فدعوت له وحسّنت أفعاله فقلت نعم أعزّ الله الأمير ، السرف من الشرف ، وكررتها. فقال : لم كرّرتها؟ فقلت أني كنت أسقطت [6] عند ذي اليمينين [7] وقصصت عليه القصّة فما زال يضحك ويتعجب.

رجع : ومنهم شيخ الإسلام ، وعلّامة العلماء والأعلام ، مالك زمام الفضائل ، مرجع سائر الأفاضل ، ذو الخصال التي تميّز بها عن الأعيان والخلال التي عزت عن أن تعزّز بثان ، رافع رايات الشريعة الشريفة ، وحافظ آيات الذريعة المنيفة ، من تطابقت على فضله الألفاظ والمعاني ، وبلغت به

---

(1) استطعمه الحديث : سأله أن يحدثه.

(2) الآية 67 من سورة الفرقان.

(3) الآية 141 من سورة الانعام ، والآية 31 من سورة الأعراف. في الأصول (أن الله لا يحب المسرفين) وهو من أوهام النسخ.

(4) الشعر لمحمد بن بشير بن بشير من بني خارجة (ترجمته في الأغاني 16 / 61).

(5) في الأغاني (أعدد ثلاث خصال قد عرفن له).

(6) أسقطت : أخطأت. في أساس البلاغة أسقط في كتابه وحسابه : أخطأ.

(7) ذو اليمينين : طاهر بن الحسين الخزاعي ، توفي سنة 207 هـ (الأعلام 3 / 348).

العلوم منتهى الآمال وغايات الأماني : شـــيخنا ومولانا جعفر بن كمال الدين بن محمد بن سعيد بن ناصر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن سليمان بن عيسى البحراني :

هـو طـود عـلـم لا يـبـارى رفـعـة ومحـيـط فضـــل لا يـزال مـديـدا [1]

عـلـم إذا جـارت صـــوائـب غـيره أبـدى لـنـا رأيـا لـديـه ســـديـدا

أحـيـا ربـاع المـكـرمـات بـفضـــلـه مـن بـعـد أن كـانـت مـهـامـه بـيـدا

وإليـه ألقى الفضـــل صـعـب زمـامـه ودنـا لـه طـوعـا وكـان بـعـيـدا

كـم حجّـة في الخلق شـــاد عـمـادهـا كـرهـا وأرضـــى الـعـدل والـتّـوحـيـدا

لا زالت كواكب هدايته تعمّ بضـــيائها الوجود وفرائد فوائده تخجل بنظامها جواهر العقود. ولعمري أنّه الإمام الذي كشـف قناع الفضـائل وأوضـح لها سـبيلا ، والهمام الذي ارتشف من كؤوس المكارم كأسا مزاجها زنجبيلا. قدم علينا الهند في سنة تسع وستين فعلقت منه يداي بالحبل المتين وقد أودعت من أنفاسه رحلتي ما أعده من نفائس نحلتي.

فمن ذلك ما كتبه لي بخطّه الشـريف في بعض تذاكري ، وقال لي لسـان قلمه : كن شاكري :

وقـائـلـة سـمـعـنـا أنّ بـكـرا لـه فضـــل عـلـى عـمـر وزيـد

فـقـلـت لهـا سـمـاعـك لـيس شـــيئـا وهـذا مـثـل تسـمـع بـالمـعـيـدي

ولا يخفى أنّ هذا التعريض عقد للبّة القريض ، وصـــريح عند أرباب البلاغة أنّه أعلى من التصـــريح. ثم هذا التلميح هو ما أجمع عليه أرباب البديع أنه المليح. ومن نفائس حكمه قوله :

إن تـــرد إيـــلاد مـــن زوّجـــتـــه فاتّخذ ـــــ وفّقت ـــــ زوجا صـــالحا [2]

---

(1) جاء في حاشية ع بقلم الناسخ ما نصه (الأبيات للمؤلف) ولا وجود لهذه الإشارة في (ك) و (أ).

(2) في ك (أن ترد من زوجة إيلادها).

إنّ ماء المزن عذب طعمه فإذا أسبخ أضحى مالحا

ومن بدائع معانيه التي أعيت على المعنّي بالأدب ومعانيه قوله في تعزّ : قرية من أعمال اليمن ، وكان قد اجتمع بواليها السيد يحيى بن محمد بن القاسم الزيدي ، فأحله بناديه ، وأوجب عليه شكر أياديه :

تعزّ دار تناهت في محاسنها فليس يوجد في الدّنيا مضارعها

وحيث كان الفتى يحيى العزيز بها عزّت فصارت على الماضي مضارعها [1]

وكان قد عرض عليّ نسخة من اللّباب فأعدتها عليه وكتبت إليه :

يا أيّها المولى الذي أضحى بمجد مستطاب

ما كان ردّي للكتاب وحقّ فضلك والكتاب

إلّا لعلمك أنّه قشر وسمّي باللّباب

فاصفح بفضلك عن فتى قد ضلّ في ليل الشّباب

والشّيخ أولى من عفا عن ذنب غرّ في التّصابي [2]

فأجاب وأجاد :

يا ماجدا في شعره قد جاء بالعجب العجاب

أنّى لمثلي يستطيع لمثلكم ردّ الجواب

إذ أنتم بيت العلى بل أنتم لبّ اللّباب

وكلامكم خير الكلام وعندكم علم الكتاب

تبني كما تبني كهولكم أما جيد الشّباب

لكن تفضّلكم على أذلّ شاردة الصّعاب

كم نعمة لكم وكم من منّة ملأت وطابي

أنا عاجز عن شكرها حتّى اوسّد في التّراب

---

(1) سقط هذا البيت من (ك).

(2) سقط هذا البيت من (ع).

وأنا المودّ على الحقيقة أينما اتّجهت ركابي [1]

يحلو لديّ على الهوى فيكم تجرّع كلّ صاب

وإذا رأيتم لي صلاحا فهو لي عين الصّواب

هذا وإن رغمت به آناف أقوام غضاب

ديني الذي منه افتخاري في الورى وله انتسابي

وإليكم من مخلص أزكى دعاء مستجاب

ومن فوائده : هذه المسائل السنيّة. قال : سئلت عن المسائل التي نظمها اليافعي [2] محاجيا فأجبت عنها على تشعّب فنونها ، وهي :

إلى أهل فقه والفرائض والأدب سؤال فقير مذنب يافعي النّسب

فأيّ مباح الفعل مضمون فاعل ومحظور فعل ليس يضمن بالعطب

وأيّ معار ليس يغرم هالكا وعارية ليست تردّ لدى الطّلب

ومستعمل في غير فرض وحكمة طهوريّة الماء الطّهور لها سلب [3]

ولأمّ ربع المال في أيّ صورة ولا عول والباقي لزوج وخاب أب [4]

ومنصوب اعراب تراه معوّضا برفع ومرفوع تراه قد انتصب

ومنصوبه حاكى لمجرور عكسه فهل من مجيب للجواب قد انتدب

يجب بجواب صائب في جميعها ومجموعها عشر بإحصاء من حسب

محاجاتها من قبل هذا نظمتها بروض علوم من رآها رأى العجب

يغرّد في الأفنان زاهي فنونها ويطرب قمريها لمن لا له طرب [5]

---

(1) المود (بكسر الميم وفتح الواو ، وتشديد الدال) : الكثير الحب. في ك (وأنا المحب).

(2) هو عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي صاحب كتاب مرآة الجنان المتوفى سنة 768 هـ (معجم المؤلفين 6 / 34).

(3) في ك ، وأ (إذا استلب) مكان (إذا سلب).

(4) في ك (لزوج له حدب).

(5) في ك (ويطرب قمري الهناء لمن طرب).

إذا في بحـــار خـــاض لجـــيّ بحـــرهـــا لـبـيـض المـعـانـي ذو ارتـيـاح لهـا خـطـب
فـطـالـع لهـا إن كـنـت أهـل فـنـونهـا لتعرف مـا قولي إلى وصـــفهـا نســـب

الجواب :

أما جواب الأولى : فالأكل من مال في المخمصة قهرا.

وأما جواب الثانية : فقتل المشرك المستأمن في دار السلام عمدا.

وأما جواب الثالثة : فالبالي بالاستعمال المأذون ، حتى خرج من المالية بحيث يعدّ تالفا ، أو هالكا ، وعارية السفينة.

وأما جواب الرابعة : فالعارية الواجبة ، كاستعارة الحبل ليتعلّق الغريق به قبل حصول الغرض منها ، أو العارية الفاسدة ، كعارية الصغير والمستعير :

وأما جواب الخامسة : فوضوء الصبي.

وأما جواب السادسة : فالمكاتبة إذا ماتت وقد أدّت نصف مكاتبتها ، وتركت مالا ولها زوج ، وأمّ ، وأب ممنوع من الارث بإحدى الأسباب ، وليس لها ولد.

وأما جواب السابعة : فهو من وجوه : منها : (ما جاء على بعض اللغات في رفع الفاعل والمفعول معا ، ومنها) [1] ما جاء على نصب الفاعل ورفع المفعول عند ظهور المعنى ، في مثل قولهم : خرق الثوب المسمار ، برفع الثوب ونصب المسمار ، وقول الشاعر :

مثـل الـقـنـافـذ هـدّاجـون قـد بـلـغـت نجـران أو بـلـغـت ســـوآتهـم هـجـر [2]

بنصب السوآت ورفع هجر ، ومنها : مفعول أفعال القلوب إذا دخله الالغاء.

وأما جواب الثامنة : فإمّا على اللغة الأخرى في نصـــب الفاعل والمفعول نحو قول الشاعر :

---

(1) الذي بين القوسين غير موجود في ك.

(2) البيت في مغني اللبيب ، الشاهد (968).

قد سالم الحيّات منها القدما الافعوان والشجاع الشجعما [1]

وأما على المثال الثاني في المسألة السابعة.

وأما جواب التاسعة : ففي جمع المؤنث السالم نحو : هندات ، ومسلمات.

وأما جواب العاشرة : ففي جميع أقسام غير المنصرف. والحمد لله (وحده. انتهى بنصه ومن خطه نقلت) [2].

ومما أنشدني لغيره قول الشيخ عبد علي بن ناصر الحويزي [3] من مرثيه له في السيد مبارك [4] :

سفه توهّم ما أرقن من الظّبى أيدي القيون من الأشعّة جوهرا

هذا عمود الماء طلقا جاريا وافاه ما صدع العلى فتكسّرا

وقد نظم هذا المعنى الوالد دام مجده فقال :

لا تحسبن سيف الشّريف المنتضى بدر العلى المسعود أسعد من مضى

هذا اللّعاب به جلاء من ذكا قين أجاد به المضارب وارتضى

لكن لأمر هائل شنع جرى جرت المياه تكسّرا فهو الأضا

ونظمه شيخنا المذكور فقال :

لا تظنّ جوهر السّيف فيه من جلا جاده القيون صقالا

بل لأمر من الأمور مهول صادف الماء فاستحال نمالا

ونظمته أنا فقلت :

لا تحسبنّ فرند صارمه به وشيا أجادته القيون وجوهرا

---

(1) وهذا البيت أيضا في المغني الشاهد (969) وفيه (منه) مكان (منها).

(2) الذي بين القوسين غير موجود في (ك).

(3) كان الشيخ عبد علي الحويزي حيا سنة 1063 ه (أنوار الربيع 2 / 275).

(4) هو مبارك بن السيد عبد المطلب المشعشعي أمير الحويزة. توفي سنة 1025 ه.
(تاريخ المشعشعيين / 99 وما بعدها).

بـل ذاك غـيـل المـاء أزعـجـه الـذي كسـر النّـدى فـجرى بـه متـكسّـرا

ثم انتقلت إلى معنى آخر في ظني أني لم أسبق إليه فقلت مادحا :

لا تحسـبنّ فـرنـد صـارمـه بـه وشـيـا أجـادتـه الـقـيـون فـأبهـرا

هـذا نـدى يمـنـاه سـال بمـتـنـه فـغـدا يـلـوح بصـفـحـتـيـه جـوهـرا

وأنشدني للسيد الجليل ناصر بن سليمان القاروني [1] :

أيـا مـن يـغـالي في الـقـريـب ويشـتري قـرابـة إنسـان بـألـف أبـاعـد

تعال فـإنّي ـــ ليتني لا قريب لي ـــ أبـيـعـك مـنـهـم كـلّ ألـف بـواحـد

وأنشدني للسيد العلامة ماجد بن هاشم البحراني (*) قدّس الله سرّه الشريف في قارئ حسن الصوت :

وتـال لآي الـذكـر قـد وقـفـت بـنـا تـلاوتـه بـين الضّـلالـة والـرّشـد

بـلـفـظ يسـوق المـتّـقـين إلى الجـنـا ومعنى يقود الفـاسـقين إلى الزّهـد [2]

وأنشـدني له أيضـا ، قال : وهو مما قاله بديهة ، وذلك أنّه كان يؤمّ ويخطب بشـيراز فكان ينشيء لكل جمعة خطبة ، فنسي ذات جمعة الخطبة التي أنشأها فارتجل خطبة وختمها بهذه الأبيات :

نـاشـدتـك الله إلّا مـا نـظـرت إلى صـنيع مـا ابتـدأ البـاري ومـا ابتـدعـا

تجـد صـفـيـح سمـاء مـن زمـرّدة خضـراء فيهـا فريـد الـدّر قـد رصـعـا

تـرى الـدّراري يـدانـين الجـنـوح فـمـا يجـدن غـبّ السّـرى عيّـا ولا ضـلـعـا

والأرض طـاشـت ولم تسـكن فوقّرهـا بـالراسـيـات التي من فوقهـا وضـعـا

فـقـرّ طـائشـهـا من بـعـدمـا امتـنـعـا وانحطّ شـامخهـا من بعـدمـا ارتفعـا [3]

---

(1) ترجم المؤلف في كتابه سلافة العصر / 514 للسيد ناصر القاروني البحراني ، ولم أقف على تاريخ وفاته.

(2) في أنوار البدرين / 90 ونفحة الريحانة 3 / 202 (ومعنى يشـوق العاشـقين إلى الزهد) وفي سـلافة العصـر (هند) مكان (الزهد).

(3) في أنوار البدرين (ساحتها) مكان (طائشها).

وأرسل الغاديات المعصرات لها فقهقهت ملء فيها واكتست خلعا [1]

هذا ونفسك لو أمّ الخبير لها لا رتدّ عنها كليل الطّرف وارتدعا

وليس في العالم العلويّ من أثر يحيّر اللّبّ إلّا فيك قد جمعا

وهذه الأبيات طبقة عالية لو كانت عن رويّة لكانت غاية ، فكيف وهي عن بديهة وارتجال. ومما أنشدني قوله أيضا وهو معنى بديع :

من شيب رأسي بكت عيني ولا عجب تجري العيون لوقع الثّلج في القلل

وقوله (رحمه‌الله في الجناس) [2] :

وأحوى أطار القلب منّي وما انطوى عليه جناحا مضرحيّ ولا نسر

عققنا العلى إن سامنا دلج السّرى إليه إلى أحقاف قاف ولا نسري

وقوله فيه أيضا :

يعزّ جناب الظّبي إن قسته به وما هو منه في سكون ولا نفر

فرتنا ظبى الأعداء إن قال قائل فروا كلّ جيب في هواه ولا نفري

وقوله فيه :

وذي هيف ما الورد يوما ببالغ مدى وجنتيه في احمرار ولا نشر

برئنا من الاسلام إن سيم وصله علينا بما فوق النّفوس ولا نشري [3]

وقلت أنا في هذه المادة :

وأهيف قد قدّ القلوب بقدّه وما هو عن حدّي سنان ولا نصل

صلتنا لظى الهيجاء إن سامنا هوى على حبّه صلي النّفوس ولا نصلي

وقلت أيضا :

ومزر بضوء الشّمس لم تر وجهه ولا ما ثلثه في علوّ ولا نبل [4]

---

(1) في سلافة العصر / 493 (فقهقهت ملأ ثم اكتست خلعا).

(2) الذي بين القوسين غير موجود في ك.

(3) كذا في الأصول ، والذي في سلافة العصر (برئنا من العلياء).

(4) في ك (قابلته) مكان (ماثلته).

بـلـيـنـا جـوى إن رام مـنّـا تـدلّـلا بـلاء نـفـوس في هـواه ولا نـبـلـي

وذكرت بقول السـيد قدس سـرّه (برئنا من الاسـلام) حكاية لطيفة ذكرها الصـلاح الصـفدي في شـرح الرسـالة [1] قال : كان القاضـي الخليجي عبد الله بن محمد [2] ابن أخت علّويه المغني تيّاها صـلفا ، تقلّد القضـاء للأمين ، وكان علّويه عدوّا له ، فجرت له قضـية في بغداد فاستعفى من القضاء ، وسأل أن يتولّى بعض الكور البعيدة ، فولي قضاء دمشق ، أو حمص. ولما تولى المأمون الخلافة غناه يوما علّويه بشعر الخليجي وهو :

برئـت من الاسـلام إن كـان ذا الـذي أتـاك بـه الـواشـون عـنّي كـمـا قـالـوا
ولـكـنّـهـم لمـا رأوك غـريّـة بهجري تواصـوا بـالنّميمـة واحتـالـوا
فـقـد صـرت أذنـا لـلـوشـاة سميعـة ينـالون من عرضـي ولو شـئـت مـا نـالوا

فقال له المأمون من يقول هذا الشعر؟ قال : قاضي دمشق ، فأمر المأمون بإحضاره ، فأشـخص وجلس المأمون للشـرب ، وأحضـر علّويه ، ودعا بالقاضـي فقال له : أنشـدني الأبيات ، فقال يا أمير المؤمنين هذه ابيات قلتها منذ أربعين سـنة وأنا صـبيّ. والذي أكرمك بالخلافة وورّثك ميراث النبوّة ما قلت شـعرا منذ أكثر من عشـرين سـنة إلّا في زهد أو عتاب صـديق. فقال له : اجلس ، فجلس ، فناوله قدح نبيذ كان في يده ، فأرعد وبكى وأخذ القدح من يده وقال : والله يا أمير المؤمنين ما غيّرت الماء بشـيء قط ممّا يختلف في تحليله ، فقال : لعلك تريد نبيذ التمر ، أو الزبيب فقال : والله يا أمير المؤمنين لا أعرف شـيئا من ذلك. فأخذ المأمون القدح من يده وقال : أما والله لو شربت شيئا من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننت أنّك صـادق في قولك كلّه ، ولكن لا يتولى لي القضـاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الاسـلام ، انصـرف إلى منزلك ، وأمر علّويه فغيّر هذه الكلمة وجعل مكانها (حرمت مكاني منك).

---

(1) يريد رسالة ابن زيدون.

(2) ذكره صـاحب الأغاني 11 / 318 وسماه محمد بن عبد الله الخلنجي ، وأورد الحكاية التي سـيرويها المؤلف عن الصفدي.

قال الصفدي : ما جرى للمأمون عفا الله عنه مع هذا القاضي المسكين على خلاف المعهود من حلمه ومكارم أخلاقه ، وكان غير هذا الفعل أولى به وبرئاسته ، ولكن صان منصب القضاء ووفّره وأجلّه فعفا الله عنه. وأما القاضي الخليجي فقد اختلج في خاطره من الوشاة ما أضرّ به عند محبوبته وعند الخليفة ، وهذا من كهانة الشعر ومما يتّفق وقوعه للشاعر بعد مدّة مديدة. وأما علّويه فأعلّه الله ولا أعلى له كعبا ، فقد أضرّ بحاله وعطّله من حلي القضاء. انتهى [1].

قلت : (وظني أن السيد **رحمه‌الله** لو وقف على هذه الواقعة لم يفه بما قاله احتياطا ، ولقد كان **رحمه‌الله** قاضيا فلا يأمن أن يرميه الدهر بمثلها) [2].

(وكانت وفاة السيد المذكور سنة ثمان وعشرين وألف بشيراز ، وكان أوحد أهل زمانه وأفضلهم على الاطلاق **رحمه‌الله** تعالى) [3].

ومنهم الشيخ الكبير المستفز دون وقار فضله يلملم وثبير ، الجامع بين علمي الأديان والأبدان ، والمحرز من فنون العلم ما عزّ ودان ، محيي مآثر الطبابة على نسق السلف الأول ، ومذكي شهاب سمائها الخامد بما فسرّ منها

---

(1) ورد في ك بعد كلمة (انتهى) التعليق الآتي ، وأظنه زيادة من الناسخ :

(أقول : ولم لم يصن هو منصب الخلافة ومقام الإمارة ، ويوقر خلافة المسلمين وإمارة المؤمنين وهما هما :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنها فأنت حكيم

فهناك تسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(2) وردت هذه الجملة في ك هكذا (وأقول أن السيد **رحمه‌الله** لعله مكذوب عليه ، ولقد كان قاضيا في عصره أيضا فكيف يأمن أن يرمى بمثلها لو اطلع عليها. وبعد فالظن فيه أنه كان اتقى الله ، واعرف بحرمة الإسلام من أن يقول مثل هذا وقد علم حال البراءة.

(3) في ك (وكان أوحد أهل زمانه علما وأفضلهم على الإطلاق. توفي سنة ثمان وعشرين وألف بشيراز).

وأوّل ، ذو الخطر السامي حسين بن شهاب الدين الشامي هو مع ما تحلّى به من الطبابة ، له في مراتب العلم أعظم بابه ، فقد طوى أديمه من الفضل على أغزر ديمه ، وأمّا الأدب فقد نسل إليه من كلّ حدب ، ومتى انفهقت لهاته بالشعر أرخص من عقود اللآلي كلّ غالي السعر. هذا إلى خلق في المجون تستنير به اللّيالي الجون ، جاعلا ذلك له شيمة ، يستلّ لها من القلوب كلّ سخيمة.

قدم علينا الهند سنة أربع وسبعين [1] فورد منهل أمله العذب المعين ، وكان الوالد كثيرا [2] ما يشتاق إلى لقيانه ، لتحلي فرائده وعقيانه ، ولما بلغ خبر وصوله قلت لشوقه إليه وثنائه عليه :

جاء البشير مبشّرا فأقرّ من بشراه عيني
وافى يقول أتى الحسين فقلت أهلا بالحسين
أهو الّذي حاز المكارم والعلى ملء اليدين
قالوا نعم هو ذاك من فاق الورى من غير مين [3]

وقد أثبت له ما يستحلى جناه ، وتستجلى حسناه ، فمن ذلك قوله وهو من غرر القصائد التي امتدح بها الوالد [4] :

تبدّت لنا والبدر للغرب جانح وكأس الكرى في راحة الطّرف طافح
بحيث السّها ترنو بعين كليلة وإنسانها في لجّة الجوّ سابح
وحيث النجوم الزاهرات كأنّما توقّد منها في الظّلام مصابح
كأنّ على الآفاق روض بنفسج وهنّ الظباء العيس فيها سوانح

---

(1) وتوفي سنة 1076 هـ. ترجمته في أنوار الربيع 1 / 51.

(2) ابتداء من هذا القوس إلى انتهاء الجملة التي ستختم بقوس آخر ـ وهي تشتمل على ثلاث قصائد ـ سقط من (ع) وسأشير إلى نهاية ذلك في موضعه.

(3) في أ(هو ذاك بل فاق الورى).

(4) القصيدة في سلافة العصر / 354.

فلمّا تجلّى نورها نسخ الدّجى فلا أعزل إلّا غدا وهو رامح
لك الله شمسا يكسف الشمس نورها وبدرا لنور البدر في اليمّ فاضح
كأنّ نجوم اللّيل ورق حمائم وفي كلّ جزء من محيّاك جارح
خليليّ عوجابي على أيمن الحمى لعلّ سماحا بالوصال تسامح
سواء عليّ الموت أم شطّت النّوى بسمحاء أم حزّ الوريدين ذابح
تجنّبتها لا عن ملال ولا قلى ولكن مصاب يصدع القلب فادح
مصاب إذا أخفيته متّ لوعة ووجدا وإن أبديته فهو فاضح
وإن رمت أسلو حبّها حال دونه رسيس جوى ضمّت عليه الجوانح
قضى الله يا سمحاء بالبين بيننا ألا كلّ ما يقضي به الله صالح
حنانيك أنت البرء والداء إنّما يفوز ويشقى فيك دان ونازح
لقد فتكت بي غارة منك شنّها على القلب غاد في هواك ورائح
فلا نفع إن شطّت بك الدار أو دنت وسيّان عندي فيك لاح وناصح
سقى الله هاتيك المعاهد عارضا من المزن تمريه الرّياح اللّواقح
ليغدو بها نشر الخزامى كأنّما يخالطه من نشر دارين نافح
كأنّ خدود الورد والطلّ فوقها خدود الغواني فوقها الدّمع ناضح
كأنّ ابتسام الرّوض والجوّ عابس محيّا نظام الدّين والدّهر كالح
همام إذا يمّمت أعتاب مجده نأت عنك أحداث الزّمان الفوادح [1]
يزيد على اللّأواء حرصا على النّدى كما أرهف السّيف اليمانيّ ماسح
مقيم بظلّ المجد حيث توطّدت أو اخيه مهما يبرح المجد بارح
إذا أظلمت شهب الكمال أنارها وإن خمدت زند العلى فهو قادح
وإن ضنّت الأنواء جادت يمينه وإن منعت أهل النّدى فهو مانح
أحاتم أم كعب بن مامة مثله أبى الله أنّ الفرق كالصّبح واضح

---

(1) في سلافة العصر / 355 (تحامتك أخطار الزمان الفوادح).

وكـلّ امـرئ رام الـغـنى دون بـابـه فـقـد حـجـبـت عـنـه المـنى والمـنـائـح
أقـائسـه بـالـبـحـر لا يـنـبـغـي لـه وهـل يسـتـوي عـذب فـرات ومـالح
وتـزعـم أنّ الـغـيـث مـثـل يمـيـنـه وهـيـهـات رشّـاح الـقـطـار وطـافـح
هـو الـبـدر بـدر الـتـمّ لـولا محـاقـه هو الشـمس لا بـل منـه فيهـا ملامح
إلى مـثـلـه عـمـدا وفي ظـلّ مـثـلـه تحـثّ المـهـارى أو تـراح الـرّوازح
هـو ابـن رسـول الله وابـن وصـيّـه فـمـاذا عسـى أن يـبـلـغ الـقـول مـادح
فـيـا مسـتـفـيـد المـال كـيـمـا يـفـيـده إذا غـلّ في الأزم الأكفّ الشّـحـائح [1]
سـأكسـوك من مكنون نظمي [وشـائعا] تنـاط بجيـد الـدّهر منهـا وشـائح [2]
تـدوم دوام الـفـرقـديـن عـلـى المـدى إذا لحـقـت بـالمـادحـين المـدائـح

وقال يمدحه أيضا [3] :

لـك الخـير لا زيـد يـدوم ولا عـمـرو ولا مـاء يـبـقـى في الـدّنـان ولا خمـر
فـبـادر إلى الـلّـذات غـير مـراقـب فمـا لـك إن قصّـرت عن نيلهـا عـذر
فـإن قيـل في الشّـيـب الوقـار لأهلـه فـذاك كـلام عـنـه في مسـمـعي وقـر
وقـالوا نـذير الشّـيـب جـاء كمـا ترى فـقـلـت لهـم هـيـهـات أن تـغـني النّـذر
لئن كـان رأسـي غيّر الشّـيـب لونـه فـرقّـة طـبـعـي لا يـغـيّرهـا الـدّهـر
يـقـولـون دع عـنـك الـغـواني فـإنّمـا قصـاراك لحظ العين والنّظر الشّـزر
وهـل فـيـك لـلـغـيـد الحسـان بـقـيّـة وقـد ظـهـر المـكـنـون وارتـفـع السّـتر
ومـا لـلـغـواني وابـن سـبـعـين حـجّـة وحـلـم الهـوى جـهـل ومـعـروفـه نـكـر

---

(1) الأزم (بسكون الزاي) جمع الأزمة : الشدة والقحط.

(2) في الأصلين (مثانحا) مكان (وشائعا) والمثبت من سلافة العصر ، ولعله (وشائحا) ، الوشائح جمع الوشاح ، وهو شبه قلادة تنسج من أديم عريض يرصع بالجواهر.

(3) القصيدة من سلافة العصر / 351 وخلاصة الاثر 2 / 93 ونفحة الريحانة 2 / 386 وفي بعض أبياتها اختلاف في الرواية مع تفاوت في عدد أبياتها.

فقلت دعوني فالهوى ذلك الهوى ... وما العمر إلّا اليوم والعام والشّهر
نشأت أحبّ الغيد طفلا ويافعا ... وكهلا ولو أوفى على المائة العمر
وهنّ وإن أعرضن عنّي حبائب ... لهنّ عليّ الحكم والنّهي والأمر
أحاشيك بي منهنّ من لو تعرّضت ... لنوء الثريّا لاستهلّ لها القطر
ترقرق [ماء] الحسن في نار خدّها ... فماء ولا ماء وجمر ولا جمر [1]
فيا بعد ما بين الحسان وبينها ... لهنّ جميعا شطره ولها الشّطر
برهرهة صفر الوشاح إذا مشت ... تجاذب منها الرّدف والعطف والخصر [2]
من البيض لم تغمس يدا في لطيمة ... وقد ملأ الآفاق من طيبها نشر
تخرّ لها زهر الكواكب سجّدا ... وتعنو لها الشّمس المنيرة والبدر
تخال بجفنيها من النّوم لوثة ... وتحسبها سكرى وليس بها سكر [3]
وقالوا إلى هاروت ينسب سحرها ... أبى الله بل من لحظها يؤخذ السّحر
تخالف حالي في الغرام وحالها ... لها محض ودّي في الهوى ولي الهجر
فيا ويح قلبي كم يقاسي من الهوى ... ويا ويله كم لا ينهنهه الزّجر
على أنّني لا جازع إن تباعدت ... بها الدار أو عزّ التجلّد والصبر
فمدح نظام الدّين دامت سعوده ... هو القصد لا بيض الكواعب والسّمر
شريف له في كلّ قلب مدينة ... عزيز له في كلّ جارحة مصر
من النّفر البيض الألى شهدت لهم ... صدور العوالي والمهنّدة البتر
إذا عدّ أهل الفضل كأن أمامهم ... وإن عدّ أهل البذل كان له الفخر
نهوض بأعباء المكارم كلّها ... فإن ضاق صدر منهم رحب الصّدر
له تسعة الأعشار من رتب العلى ... وللنّاس منها ما بقي وهو العسر

---

(1) في الأصلين (نار الحسن) والتصويب من المصادر المذكورة.

(2) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة والناعمة.

(3) اللوثة (بضم اللام) : الاسترخاء والبطء.

تجلّ عن الدّنيا ـــــ وإن جلّ قدرها ـــــ يمين ابن معصوم ونائله الغمر
وما بي إلى نوء السّماكين حاجة وقد لامست كفّي أناملـه العشر
فلا وعده خلف ولا البرق خلّب ولا جوده مطل ولا سيبه نزر
علقت إليه البحر لا أرهب الرّدى فصادفت بحرا لا يقاس به بحر
وأدركت من نعماه ما دونه الغنى فدامت لي النّعمى ودام له الشكر
لئن ملت يوما عن هواه لغيره فلا كانت الدّنيا ولا وفر الوفر
فكفران ما أسدى إليّ من النّدى هو الكفر لا بل دونه عندي الكفر
إذا أنكر الحسّاد سابق فضله أقرّ له الركن اليمانيّ والحجر
وما قلت ما قد قلت إلّا تعلّلا وإلّا فماذا يبلغ النّظم والنّثر
ولا زال محروس الجناب مؤيّدا من الله ما دام السّماكين والنّسر

وقوله من قصيدة يمدح بها بعض الأكابر [1] :

أشمس الضّحى لا بل محيّاك أجمل وغصن النّقا لا بل قوامك أعدل
سفرت لنا حيث النّجوم كأنّها كواعب في سود المطارف ترفل
[وحيث الهزيع الآبنوسيّ] حالك كأنّ الدجى ستر على الأرض مسدل [2]
كأنّ الثريّا إذ (تراءت) لناظري وشاح على جيد الظّلام مفصّل [3]
كأنّ سهيلا والنّجوم تؤمّه نوافر ورق خلفها لاح أجدل
كأنّ السّها ذو صبوة غاله النّوى فأنحله والبين للصّبّ ينحل
فلمّا بدا مرآك شابت فروعه وقد كان مسودّ الغدائر أليل [4]

---

(1) القصيدة في سلافة العصر / 357 ، ونفحة الريحانة 2 / 388. وفي عدد أبياتها ورواية بعض الأبيات اختلاف.

(2) في الأصلين (كان الهرير الابن أسود حالك) والتصويب من نفحة الريحانة.

(3) في ك (تناءت) مكان (تراءت).

(4) (اليل) كذا ورد في الأصلين ، والمصدرين المذكورين وحقها النصب. وقد نوه محقق نفحة الريحانة عن هذا الاقواء.

[لعا] لعثاري كيف لا أبلغ المنى وأدرك شأوا نيله لا يؤمّل [1]

وقد أدركتني من أبي الجود نظرة فأشرق نجمي بعد ما كان يأفل

وللمجد فضل حيث كان وإنّه إذا كان في زاكي الأرومة أفضل

كذا لدرّ يزهو حيث نيطت عقوده ولكنّه فوق التّرائب أجمل

ومنهم الأديب الضارب بسهم لا يدرك له ضريب. حامل رايات النباهة ، حافظ آيات الروية والبداهة ، شيخ الأدب وفتاها ، ومصطافها ومشتاها عفيف الدين عبد الله بن الحسين [2] لا زال موفّق الشأن من الشين. هو وإن كان ثقفي الأصل إلا أنّه مثقف قناة النصل ، له في الأدب مكانة يعرفها من شاهد مكانه. ما سما إلى صهوة منه إلّا امتطاها ، ولا شدّ كتيبة ذهنه عليها إلّا سباها. ينظم الدراري أسلاكا ، ويجعل [3] خاطره لها أفلاكا. لا يتكلّف نحو وعروض ، بل بسليقة أبانت له السنن والفروض. فمن ثمّ أخذ بمجامع القلوب وفق ما قيل [4] :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب [5]

وكم أنشد لسان حاله المطرب :

ولست بنحويّ يلوك لسانه ولكن سليقيّ يقول فيعرب

وقد أثبت له ما تغتبقه راحا ، وتملأ بمواهبه راحا. فمن ذلك قوله يخاطب الوالد :

أبا هاشم سدت الأنام بباذخ من المجد مبنيّ على الحزم والوفا

---

(1) لعا لفلان : دعاء له معناه : سلمت ونجوت. في الأصلين (أما العثاري) والتصويب من سلافة العصر.

(2) عفيف الدين : ترجم له المؤلف في سلافة العصر / 237 والمحبي في نفحة الريحانة 4 / 141 ولم أقف على تاريخ وفاته.

(3) إلى هنا انتهى ما سقط من (ع).

(4) يأتي في ك بعد هذه الكلمة (والذي هو مثل مضروب).

(5) البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها (من الجآذر في زي الأعاريب).

خـلـقـت نحـيـفـا والمـروءة والـذّكـا تصـــوغ الفتى مـاضـــي الضّـــرائب مرهفا
فـمـا شـــرف الإنســـان إلّا بـقـلـبـه متى طـاب مـا واراه من شـــخصـــه كفى

وكنت كتبت إليه سنة تسع وستين وهو من أول شعري

يـا ربـيـب الـنّـدى وتـرب المـعـالي وأديـبـا فـاق الـورى بـالمـقـال
اسـتمع لي ـــ لا زلت ـــ واصـغ لقولي وأجـبـني بمـا يخـفّ ثـقـالي
فـأنـا الـيـوم مـنـذ عـامـين صـــبّ بـــغـــزال يـــفـــوق كـــلّ غـــزال
رقّ لي مـــن جـفـاه كـلّ عـذول ورثـا لي مـن صـــدّه كـلّ قـالي
كـلّـمـا رمـت رشـــفـة مـن لمـاه صـــدّ عـنّي وســـامـني بـالمحـال
وأنـــا والّـــذي أعـــلّ فـــؤادي بهـواه لســـت الـغـداة بســـالي
كيـف والوجـد قـد أبـاح اصـــطبـاري ودمـــوعـــي لمـا تـزل في انهـمـال
فـافتني ـــ لا برحـت ـــ فتوى أريـب فـعســـاه يصـــغـي ويـرثـي لحـالي
وابـق واســـلـم في عـزّة وعـلاء يـا ربـيـب الـنّـدى وتـرب المـعـالي [1]

فأجاب وأجاد :

يـا همـامـا قـد حـاز طـرف الـكـمـال وتحـلّـى بـالـفضـــل والافضـــال
وجـوادا يـلـوح في فـلـك المجـد ســـنـاه يـزري بضـــوء الهـلال
لا تـنـكّـر مـن مـطـل ظـبي كـنـاس إنّمـا يـعـذب الهـوى بـالمـطـال
ربّمـا لاحـظ الأغـنّ لـعـذر واحتشـــام من خوف قيـل وقـال [2]
الهـوى غـوره بـعـيـد المـنـال يـا مـنى كـلّ غـادة مـكسـال [3]

فـاتّئـد في الأمور واسـتعمـل الصّـبر وراقـب لـغـفـلـة الـعـدّال
واطّـرح في الـكـنـاس كـفّـة حـبـل إنّمـا تـعـلـق الـظّـبـا بـالحـبـال [4]

---

(1) في ك (وهناء) مكان (وعلاء).
(2) في ك (الأنام) مكان (الأغن).
(3) لا وجود لهذا البيت في ك.
(4) الكفة (بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة) : ما يصاد به الظباء.

عـلّ تحظى منهـا بطيـب الوصـــال يـا همـامـا قـد حـاز طرف الكمـال [1]

ومن شعره قوله :

ويـح قـلـب المحـبّ مـاذا يـقـاســـي كـلّ قلـب عليـه كـالصـخر قـاسـي

يـا جـفـوني أيـن الـدّمـوع فـقـد أحـرق قـلـبـي تـوقّـد الأنـفـاس

جـدّ وجـدي بحـبّ لاه وأودى بـفـؤادي تـذكـاره وهـو نـاسـي

وقوله في الجناس التام :

لـقـد صـار لي مـدمـع بـعـدهـم يـفـيـض عـلـى وجـنـتي كـالـعـقـيـق [2]

لـتـذكـار أيّـامـنـا بـالحـمـى وتـلـك الـلّـيـالي بـوادي الـعـقـيـق

وقوله مخاطبا لي وقد وافى الخبر بانتقال والدتي إلى جوار ربّها [3] :

يـا أيّهـا العلم النّـدب الـذي شـهـدت بفضـلـه جملـة السّـادات والعلمـا

ومـن تمـلّـك رقّ المـكـرمـات فـتى وشـاد ركن العلى حلمـا ومـا احتلمـا

لا تـبـتـئـس مـن زمـان فـرّ نـاجـذه وفـوّق السّـهـم لمـا أن عـدا فـرمـى [4]

فـالـدّهـر حـرب وإن أبـدى مسـالمـة لم يعط سـلمـا ولم يبق امرءا سـلمـا [5]

فـالحـرّ إن نـابـه دهـر بـآزمـة تعيي فـإنّ الأسـى في فقـد من علمـا [6]

فصـل في ذكر جملة من أخبار الهند ، وأحوالها وما يتّصـل بذلك من النكت والنوادر وأمثالها ، حلّا لعقد البيان بتقييدها ، وتبييضا لوجه الكتاب بتسويدها.

---

(1) في ك (عل تحظي بطيب وصل فتشفي).

(2) في سلافة العصر / 242 ونفحة الريحانة 4 / 141 (بعدكم) مكان (بعدهم).

(3) الأبيات في سلافة العصر / 240 وفي رواية بعضها اختلاف.

(4) فرناجذه : كشفه ، أو كشر عنه.

(5) في ك (تلق) مكان (يبق).

(6) الآزمة (بالمد) كالأزمة : الشدة. في ك (بنائبة) مكان (بآزمة) ، وجاء عجز البيت في أ(يعيي الأسى للأسى محيي بها علما).

ذكر أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر [1] قال : ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن هذا العالم وبدئه : أن الهند كانت (قديما كزمان الغرّة) [2] التي كان بها الصلاح والحكمة ، فإنّه لما تجيّلت الأجيال وتحزّبت الأحزاب حاولت الهند أن تضمّ المملكة ، وتستولي على الحوزة ، وتكون الرئاسة فيها فقال كبراؤهم : نحن أهل البدء وفينا التناهي ، ولنا الغاية والصدور ، والانتهاء. ومنا سرى الأب إلى الأرض فلا ينازعنا أحد موقفا ، ولا عاندنا وأراد بنا الاغماض إلّا أتينا عليه وأبدناه ، أو يرجع إلى طاعتنا ، فأزمعت على ذلك ، ونصبت لها ملكا وهو البرهمن الأكبر والملك الأعظم ، والإمام المقدم. ظهرت في أيامه الحكمة ، وتقدّمت العلماء ، واستخرجوا الحديد من المعادن ، وضربت في أيامه السيوف والخناجر ، وكثير من أنواع المقاتل ، وشيّد الهياكل ورصّعها بالجواهر المشرقة المنيرة ، وصور فيها الأفلاك والبروج الاثني عشر والكواكب (وبيّن كيفيّة صورة العالم ، وأورد أيضا بالصورة) [3] أفعال الكواكب في هذا العالم واحداثها للأشخاص الحيوانية ، وبين حال المدبّر [4] الذي هو الشمس ، وأثبت كتابا في براهين جميع ذلك ، وقرّب إلى عقول العوام فهم ذلك ، وغرس في نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك وأشار إلى المبدئ الأول المعطي سائر الموجودات وجودها ، الفائض عليها بجوده. وانقادت له الهند وأخصبت بلادها ، وأراهم مصالح الدنيا ، وجمع الحكماء فأحدثوا في أيامه كتاب السند هند وتفسيره دهر الدهور ، ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات ، وأحدثوا الأحرف التسعة المحيطة بالحساب الهندي. وكان أوّل من تكلّم في أوج الشمس ، وذكر أنه يقيم في كلّ برج ثلاثة آلاف سنة ، وأنه إذا انتقل في البروج الجنوبية انتقلت العمارة ، فصار العامر

---

(1) الجزء الأول / 76.

(2) كذا ورد في الأصول ، والذي في مروج الذهب (في قديم الزمان الفرقة).

(3) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (وبين بالصورة كيفية العالم ، وأرى بالصورة).

(4) في مروج الذهب (المدبر الأعظم).

غامرا والغامر عامرا ، والشمال جنوبا والجنوب شمالا ، ورتب في بيت الذهب حساب البدء الأول ، والتاريخ الأقدم الذي عليه عمل الهند في تاريخ البدءة وظهورها في أرض الهند وسائر الممالك. ولهم في البدء خطب طويل.

وكان ملك البرهمن إلى أن هلك ثلثمائة وستين سنة ، وولده يعرفون بالبراهمة إلى وقتنا هذا ، والهند تعظّمهم ، وهم أعلى أجناسهم وأشرافهم ، ولا يغتذون بشيء من الحيوان ، وفي رقابهم ـــ الرجال والنساء منهم ـــ خيوط صفر مقلّدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند.

قلت : وما ذكره باق إلى زماننا هذا ، ولهم مذاهب تفرّدوا بها عن سائر ملل الهند.

قال [1] : وكان قد اجتمع منهم في قديم الزمان في ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور إليهم منهم في بيت الذهب. فقال بعضهم لبعض : تعالوا حتى نتناظر فننظر ما قصّة العالم وما سرّه؟ ومن أين أقبلنا ومن أين نمرّ؟ وهل خروجنا من عدم إلى وجود حكمة أو ضد ذلك؟ وهل خالقنا المخترع لنا والمنشيء لأجسامنا يستجلب بخلقنا منفعة؟ أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرّة؟ أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا؟ أم هل هو غني (من كلّ وجه عن اقتنائه إيّانا وإبلائنا بعد وجودنا؟) [2].

فقال الحكيم المنظور إليه منهم : أترى أحدا من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح إلى الثقة؟.

وقال الحكيم الثاني : لو تناهت حكمة الباري **عزوجل** في أحد العقول كان ذلك نقصا من حكمته ، وكان الغرض غير مدروك ، وكان التقصير مانعا من الادراك.

وقال الحكيم الثالث : الواجب علينا أن نبتدئ بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء منا ، ونحن أولى بعلمنا من أن نتفرغ إلى علم ما بعدنا.

---

(1) القول للمسعودي في مروج الذهب.

(2) في مروج الذهب (فما وجه أفنائه ايانا ، وإعدامنا بعد وجودنا وإيلامنا وملاذنا).

قال الحكيم الرابع : لقد ساء وقوع من وقع وقعا احتاج فيه (بنفسه) [1].

قال الحكيم الخامس : من ههنا وجب الاتصال بالحكماء الممدودين بالحكمة.

قال الحكيم السادس : الواجب على المرء المحبّ لسعادة نفسه ألّا يغفل عن ذلك لا سيما إذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا.

قال الحكيم السابع : أنا لا أدري ما تقولون غير أني أخرجت إلى هذه الدنيا مضطرّا ، وعشت فيها حائرا ، وأخرج منها مكرها.

فاختلف الهند من سلف وخلف في آرائهم السبعة ، وكلّ قد اقتدى بهم ، وبمّم مذهبهم وتفرّعوا بعد ذلك في مذاهبهم ، وتنازعوا في آرائهم ، فالذي يقع الحصر من طوائفهم سبعون فرقة.

قال المسعودي : وقد تنوزع في البرهمن ، فمنهم من زعم أنّه آدم (ع) وأنّه رسول من الله عزوجل إلى الهند. ومنهم من يقول أنّه كان ملكا على حسب ما ذكرنا ــ وهذا أشهر . ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا ، وفزعت إلى نصب ملك آخر عليها من أكبر ولده ، وكان وليّ عهد أبيه الموصى عليه من ولده وهو (الناهور) [2] ، فسار فيهم سيرة أبيه ، وأحسن النظر لهم وزاد في بناء الهياكل ، وقدّم الحكماء وزاد في مراتبهم ، وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها. فكان ملكه إلى أن هلك مائة سنة. وفي أيامه علمت النرد وأحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثالا للمكاسب وأنّها لا تنال بالكسب ولا بالحيلة في هذه الدنيا ، وإنّ الرزق لا يتأتى بالحذق.

وقد ذكر أن أردشير بن بابك أوّل من صنع النرد ولعب بها ، وأرى تقلّب الدنيا بأهلها واختلاف أمورها ، وجعل بيوتها اثني عشر بيتا بعدد الشهور ، وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر ، وجعل [الفصّين][3] مثالا للقدر وتقلبه

---

(1) في مروج الذهب (إلى معرفة نفسه).

(2) في مروج الذهب (الباهبود) وقال المحقق (في نسخة : الناهود).

(3) في ع وأ (القصة) وفي ك (الفص) وما أثبته عن مروج الذهب.

بأهل الدنيا ، وأن الإنسان يلعب فيبلغ بإسعاد القدر إيّاه في مراده باللعب بها ما يريد ، وأنّ الحازم الفطن لا يتأتى له ما يتأتى لغيره إلّا إذا أسعده القدر ، وأن الأرزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال [إلّا][1] بالجدود.

ثم ملك (دامان بعد الناهور) [2] فكان ملكه نحوا من مائة وخمسين سنة. ولدامان سير وأخبار وحروب مع ملوك فارس ، وملوك الصين.

ثم ملك فور إلى أن هلك مائة وأربعين سنة.

ثم ملك بعده (دبشليم) [3] وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذي (نقله ابن) [4] المقفع [5].

قلت : وقد ذكر أن أول من نقل كتاب كليلة ودمنة وجعله شعرا : أبان بن عبد الحميد [6] الشاعر المشهور. وكان قد نقله للبرامكة ونظمه ليسهل حفظه ، أوّله :

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الّذي يدعى كليله دمنه [7]

فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند [8]

قال المسعودي : وكان ملكه مائة وعشر سنين.

ثم ملك بعده (تلهيث) [9] وصنعت في أيامه الشطرنج فقضى بلعبها على

---

(1) زيادة من مروج الذهب اقتضاه المعنى.

(2) في مروج الذهب (زامان بعد الباهبود).

(3) في ع (د سليم) وفي ك (سلم) وفي أ(د سلم) وما أثبته عن مروج الذهب.

(4) في مروج الذهب (ينسب لابن).

(5) هو عبد الله بن المقفع الكاتب الشاعر. قتل سنة 145 ه (معجم المؤلفين 6 / 156).

(6) هو ابان بن عبد الحميد اللاحقي من شعراء القرن الثاني لله جرة. نظم ليحيى بن خالد البرمكي كليلة ودمنة بأربعة عشر ألف بيت. أورد الصولي في كتابه (الأوراق ـــ أخبار الشعراء) جزءا يسيرا منها ضمن ترجمة الشاعر المذكور.

(7) في الأوراق (كتاب كذب ومحنة).

(8) في الأوراق (فيه دلالات وفيه رشد).

(9) في مروج الذهب (بلهيث).

النرد ، وبيّن الظفر الذي ينال الحازم ، والنكبة التي تلحق بالجاهل ، وحسب حسابها ورتّب لذلك كتابا للهند يتداولونه بينهم ، ولعب بالشطرنج مع حكمائه ، وجعلها مصوّرة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوانات مما ليس بناطق وجعلهم درجات ومراتب. ومثّل الشاة بالمدبّر الرئيس ، وكذلك ما يليه من القطع ، وأقام ذلك مثالا للأجساد العلوية التي هي الأجسام السماوية من السبعة ، والاثني عشر. وأفراد كل قطعة منها بكوكب ، وجعلها ضابطة للمملكة ، وإذا كاد عدوّ من أعدائه فوقعت منه حيلة في الحروب نظروا من أين [يؤتون][1] في عاجل وآجل.

وللهند في لعب الشطرنج سرّ يرونه في تضاعيف حسابها ، ويتعلقون بذلك إلى ما علا من الأفلاك ، وما إليه منتهى العلّة الأولى في أنّ مبلغ أعداد أضعاف الشطرنج :

ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف.

وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف [2].

وثلثمائة وسبعون ألف ألف ألف ألف [3].

وتسعة آلاف ألف ألف ألف [4].

وخمسمائة ألف ألف.

وأحد وخمسون ألف وستمائة وخمسة عشر.

ومراتب هذه الألوف الستة الأولى ، ثم الخمسة التي هي ألف ألف

---

(1) في ع (يؤتوا) وفي ك (يؤتى) وفي أ(تؤتو) وما أثبته عن مروج الذهب.

(2) سقط هذا الرقم كله من ك ، وفي مروج الذهب (وأربعمائة ألف وست وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف ألف).

(3) سقط هذا الرقم أيضا من ك ، وفي مروج الذهب (وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف).

(4) في مروج الذهب (وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف ، وسبعة آلاف ألف).

خمس مرات ، ثم الأربعة ، ثم الثلاثة ، ثم الاثنان ، ثم الواحد. لها عندهم معان يذكرونها في الدهور والأعصار ، وتقتضيه سائر المؤثرات العلويّة في هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها. ولليونانيين والروم وغيرهم من الأمم في الشـــطرنج كلام كثير وأنواع من اللعب بها. قد ذكر ذلك الشـــطرنجيون في كتبهم ممن تقدم منهم كالصـــولي [1] والعدلي [2] وإليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج.

وما أحسن قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب [3] في الشطرنج :

تـأمّـل تر الشّـــطرنـج كـالـدّهر دولـة نهـارا ولـيـلا ثم بـؤســـا وأنـعـمـا

محـرّكـهـا بـاق وتـفـنى جمـيـعـهـا وبـعـد الـفـنـا تحـيـا وتـبـعـث أعـظـمـا

قال ابن حجة في ثمرات الأوراق : وهذا يشبه قول القاضي الفاضل [4] وقد أخرج له السلطان الملك الناصر خيال الظل [5] ليفرجه عليه ، فقام الفاضل عند الشروع في عمله ، فقال له الناصر : إن كان حراما فما نحضره ـ وكان حديث العهد بخدمته قبل أن يلي السلطنة ـــ فما أراد أن يكدّر عليه فقعد إلى آخره ، فلما انقضى ذلك قال له الملك ناصر : كيف رأيت ذلك؟ قال : رأيت موعظة عظيمة ، رأيت دولا تأتي ، ودولا تمضـــي ، ولما طوي الازار إذا بالمحرك واحد. فأخرج ببلاغته هذا الجدّ في هذا الهزل. انتهى.

---

(1) هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي البغدادي الأديب الشطرنجي. توفي سنة 335 هـ (معجم المؤلفين 12 / 105).

(2) العدلي : ذكره ابن النديم في الفهرســـت / 155 بهذه النســـبة ولم يذكر اسمه. وقال : له من الكتب كتاب الشطرنج.

(3) نسب المؤلف هذين البيتين في كتابه أنوار الربيع 5 / 65 إلى شمس الدين ابن الصايغ. وما أورده هنا موافق لرواية خزانة الأدب لابن حجة الحموي /. 324

(4) هو عبد الرحيم بن علي المعروف بالقاضي الفاضل. توفي سنة 596 هـ (أنوار الربيع 2 / 285).

(5) خيال الظل ، ويسمى الخيالة : صورة تمثال الشيء. أطلقه مجمع دار العلوم على السينما (معجم متن اللغة).

وقريب من هذا المعنى قول من قال [1] :

رأيت خيال الظّلّ أكبر عبرة لمن كان في علم الحقيقة راقي

شخوص وأشباح تمرّ وتنقضي وتفنى جميعا والمحرّك باقي

قال المسعودي : وكان ملك (تلهيث) [2] ملك الهند إلى أن هلك ثمانين سنة ، وفي بعض النسخ أنّه ملك مائة وثلاثين سنة.

ثم ملك بعده كورش فأحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت ، وما يحتمله من التكليف أهل العصر ، وخرج من مذاهب من سلف. وكان ملك الهند هذا إلى أن مات عشرين ومائة سنة.

ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها فتحزّبت الأحزاب ، وتجيّلت الأجيال ، وانفرد كلّ رئيس بناحية ، فتملّك على أرض السند ملك ، وتملك أرض القنوج ملك ، وتملّك أرض [قشمير][3] ملك ، وتملّك على (أرض المامكين) [4] وهي الحوزة الكبرى ملك يسمّى (بلهر) [5] وهذا أول ملك من ملوكهم سمّي بالبلهر فصارت سمة لمن ملك من الملوك في هذه الحوزة إلى وقتنا هذا.

قال : وأرض الهند واسعة في البرّ والبحر والجبال ، وملكهم يتّصل بملك (الرانج) [6] وهي دار مملكة المهراج ملك الجزائر ، وهذه المملكة [فرز بين][7] مملكة الهند والصين ، وتضاف إلى الهند ، والهند متّصلة مما يلي

---

(1) البيتان في ريحانة الألباء من دون عزو ، وفي روايتها اختلاف طفيف.

(2) في مروج الذهب (بلهيث) وفي أ(تاهيت).

(3) في الأصول (قسمين) مكان (قشمير) والتصويب من مروج الذهب 1 / 82.

(4) في مروج الذهب (مدينة المانكير).

(5) في ك وأ (بلهز) وفي مروج الذهب (بلهري).

(6) في مروج الذهب (الزايج).

(7) في ع وأ (فرد من) وفي ك (جزء من) وفي مروج الذهب (قدر من) وما أثبته عن رواية أخرى أوردها محقق مروج الذهب في الهامش.

الجبال بأرض خراسان ، والسند إلى أرض التبت. وبين هذه الممالك تباين وحدوب ، ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متّفقة ، والأكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الأرواح.

قال : والهند في عقولهم وسياساتهم وحكمتهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج وغيرهم وسائر الأجناس. وقد ذكر جالينوس : في الأسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد في غيره : تفلفل الشعر ، وخفّة الحاجبين ، وانتشار المنخرين ، وغلظ [الشفتين][1] ، وتحديد الأسنان ، ونتن الجلد ، وسواد الحدق ، وتشقّق اليدين والرجلين ، وطول الذكر ، وكثرة الطرب. قال جالينوس : وإنّما غلب الأسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله. ولقد كان طاووس اليماني [2] صاحب عبد الله بن العباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي ويقول : أنّه عبد مشوّه الخلقة. وبلغنا أن الراضي بالله كان لا يتناول شيئا من أسود ويقول : أنه عبد مشوّه. فلا أدري أقلّد طاووسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل. ولقد صنّف الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظراتهم مع البيضان [3].

قال : والهند لا يملّك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ، ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم إلّا في كلّ برهة من الزمان معلومة ، لأنّ في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقّها. فالرياسات عند هؤلاء لا تجوز إلّا بالتكبّر ووضع الأشياء مواضعها من مراتب السياسة.

قال : ورأيت في بلاد سرنديب ـ وهي جزيرة من جزائر البحر ـ إذا مات ملكهم صيّر على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكر [4] مستعدّة لهذا

---

(1) في الأصول (الساقين) والتصويب من مروج الذهب.

(2) هو طاووس اليماني بن كيسان الخولاني بالولاء ، من أكابر التابعين. توفي سنة 106 هـ (وفيات الأعيان 2 / 194).

(3) تراجع رسائل الجاحظ 1 / 177 . 225.

(4) البكر (بفتحتين) جمع البكرة : خشبة مستديرة تدور على محور ، ومنها بكرة البئر.

المعنى وشعره ينجر على الأرض ، وامراة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادي : أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد جاز فيكم حكمه ، وقد صـــار إلى ما ترون من ترك الدينا ، وقبض روحه ملك الموت بأمر الحيّ القديم الذي لا يموت ، فلا تغترّوا بالحياة بعد ، وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ، ويطاف به شـوارع المدينة ، ثم يفصـل أربع قطع وقد هيّء له الصّندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيطيّب ويحرق بالنار ، ثم يذرّى رماده في الرياح. وكذلك فعل أكثر الهند بملوكهم وخواصّهم لغرض يذكرونه ، ونهج يتمنّونه في المســـتقبل والملك مقصـــور في أهل البيت لا ينتقل عنهم إلى غيرهم ، وكذلك بيوت الوزراء والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغيّر ولا تبدّل. والهند تمنع من شرب الشراب ، ويعنّفون شاربه لا على طريق التديّن ، لكن تنزيها عن أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم. وإذا صحّ عندهم عن ملك من ملوكهم شربه ، استحقّ الخلع من ملكه ، إذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط. وربّما يسقون الجواري فيطربن بحضرتهم ، فتطرب الرجال لطرب الجواري. وللهند سياسات كثيرة. انتهى كلام المسعودي باختصار في بعض المواضع.

وأقول : ما ذكره كان فيما سـلف من الزمان وقديم العصـر. وأما الآن فقد اسـتولت ملوك الاسـلام على كثير من أقطار الهند ، واسـتحوذت على جملة من ممالكها. وأمّا أسـامي الممالك التي ذكرها فلا تعرف الآن لتغير الملوك. فكلّ من عمّر منهم بلدة سماها باسمه ونسـي اسمها الأول ، فلا تكاد تعرف بلدة باسمها القديم إلّا نادرا ، أو جزائر وأماكن شـــاحطة لم يدخلها ملوك الاسـلام ، وذلك لسـعة هذا القطر ، وتباعد ما بين جهاته. وقد بلغنا الآن أنّ ملكا من الكفرة الهنود إذا ركب إلى بيت الأصنام مشى أمامه ثمانية آلاف فيل.

وقرأت في كتاب لملك الهند إلى ملك سمرقند يفتخر فيه بسـعة ملكه ويحدث بنعمة الله تعالى عليه ، يقول فيه : وكفى ملكنا اتساعا أنه ربع الربع المعمور ، والله أعلم بصحة ذلك.

وقطر الهند من الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة.

فائدة : الأقاليم السبعة : أوّلها أرض بابل ، وخراسان ، وفارس ، والأهواز ، والموصل ، وأرض الجبال. ولهم من البروج : الحمل ، والقوس ومن الأنجم السبعة : المشتري [1].

والاقليم الثاني : السند ، والهند ، والسودان. ولهم من البروج : الجدي ، ومن الأنجم السبعة زحل [2].

والاقليم الثالث : مكة ، والمدينة ، واليمن ، والطائف ، والحجاز وما بينها. ولهم من البروج : العقرب ، ومن الأنجم السبعة : الزهرة.

والاقليم الرابع : مصر ، وافريقية ، والبربر ، والأندلس وما بينها. ولهم من البروج : الجوزاء ، ومن الأنجم السبعة : عطارد.

والاقليم الخامس : الشام ، والروم ، والجزيرة. ولهم من البروج : الدلو ، ومن الأنجم السبعة : القمر.

والاقليم السادس : الترك ، والخزر ، والديلم ، والصقالبة. ولهم من البروج : السرطان ، ومن الأنجم السبعة : المريخ.

والاقليم السابع : [الدبيل][3] ، والصين. ولهم من البروج : الميزان. ومن الأنجم السبعة : الشمس. والله أعلم.

وذكر المسعودي في معرض كلام له في نهر الكنك وهو نهر الهند ، ويمرّ بكثير من جبال السند. قال : وهو نهر حاد الانصباب والجريان ، عليه تعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد ، وتغرقها زهدا في هذا العالم ، ورغبة في النقلة عنه ، وذلك أنّهم يقصدون موضعا في أعالي هذا النهر المعروف ، وهناك

---

(1) في ك (زحل) مكان (المشتري).

(2) في ك (المشتري) مكان (زحل).

(3) الدبيل (بفتح الدال وكسر الباء) هكذا ضبطها ياقوت : مدينة أرمينية ، تتاخم أران ، وقد وردت في أحسن التقاسيم / 61 (بضم الدال). في ع (الذيل) وفي ك (الديل) وفي أ(الدليل) والتصويب من المصدرين المذكورين.

جبال عالية ، وأشـــجار عادية [1] ورجال جلوس ، وحدائد وســـيوف منصـــوبة على ذلك الشـجر ، وقطع من الخشـب. فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلاد القاصـية ، فيسـمعون كلام أولئك الرجال المرتّبين على هذا النهر ما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم ، والترغيب فيما ســواه. ويطرحون أنفســهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشــجار العادية ، والسيوف والحدائد المنصوبة ، فيقطّعون قطعا ، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء.

قال : وهنالك شـجر من إحدى عجائب العالم ونوادره. والغريب من شـأنه أنّه يظهر في الأرض أغصـانا مشـتبكة من أحسـن ما يكون من الشـجر والورق ويسـتقيم في الجوّ كأبعد ما يكون من طوال النخل ، ثم [ينحني][2] جميع ذلك منعكســا فيغوص في الأرض مندسّــا ، ويهوي في قعرها ســفلا على المقدار الذي ارتفع في الهواء ويســعى وينثني ما يغيب منه تحت الأرض ويتوارى تحت الثرى. فلولا أنّ الهند قد وكّلت بقطعه لطبّق على تلك البلاد ، وغشــي تلك الأرض.

قال : والهند تعذّب أنفســها على ما وصــفنا بأنواع العذاب ، وقد تيقّنت أنّ ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلا ، هو ما أسلفته وعذبت أنفسها في هذه الدار معجلا.

فمنهم من يصير إلى باب الملك فيستأذن في إحراقه لنفسه. ثم يدور في الأسواق وقد أجّجت له النار العظيمة عليها من قد وكّل بإيقادها ، ثم يســير في الأســواق وقدّامه الطبول والصــنوج وعلى [بدنه][3] أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفســه وحوله أهله وقرابته ، وعلى رأســه اكليل من الريحان ، وقد قشــر جلدة من رأســه وعليها الجمر ، وقد جعل عليها الكبريت والسندروس [4] وهامته

---

(1) الأشجار العادية : القديمة ، والعظيمة.

(2) في الأصول (يحنو) وما أثبته عن مروج الذهب 1 / 209.

(3) في الأصول (يديه) والمثبت عن مروج الذهب.

(4) السندروس (بالكسر) : صمغ شجر أو معدن شبيه بالكهرب (أقرب الموارد).

تحترق ، وروائح دماغه تفوح ، وهو يمضـــغ ورق التانبول [1] وحبّ الفوفل. فإذا طاف في الأسـواق وانتهى إلى تلك النار وهو غير مكترث لا يتغيّر في مشـيته ، فمنهم من إذا أشـرف على النار وقد صارت جمرا كالتلّ العظيم تناول بيده خنجرا فيضعه في لبّته.

قال : وقد حضـرت ببلاد صـيمور من بلاد الهند سـنة أربع وثلثمائة فرأيت رجلا من فتيانهم وقد طاف على ما وصـفنا في أسـواقهم ، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضـعه على فؤاده فشـقّه ثم أدخل يده الشـمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم ، فقطع منها قطعة بالخنجر فدفعها إلى بعض أخوته تهاونا بالموت ، ولذّة بالنقلة ، ثم هوى بنفسـه في الناء. وإذا مات الملك من ملوكهم أو قتل ، حرق كثير من الناس أنفسهم لموته.

وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفوس ، وأنواع المقاتل تألم عند ذكرها الأبدان وتقشعر منها الأبشار.

وذكر أن الأغلب عليهم في لعبهم القمار بالشطرنج والنرد على الثياب والجوهر ، وربّما أنفذ الواحد ما معه فيلعب على قطع عضو من أعضاء جسمه ، وهو أن يحضر لهم قدر من النحاس صـــغير على نار فحم فيها دهن لهم أحمر ، فيغلي ذلك الدهن ، وهو دهن مدمل للجراح وماســك لســيلان الدم ، ويجمعون خنجرا. فإذا لعب في أصــبع من أصــابعه وقمر قطعها بذلك الخنجر وهو مثل النار ، ثم غمس يده في ذلك الدهن فكواها ثم عاد إلى لعبه. فإن توجه عليه اللعب في قطع الأصــابع والكفّ ثم الذراع والزند وســائر الأطراف وكل ذلك يســتعمل فيه الكيّ بذلك الدهن وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند ، وهو عجيب المعنى لما ذكرنا ، وما ذكرناه عنهم مستفيض من فعلهم.

قلت : أمّا أنواع تعذيبهم لأنفسهم فباق إلى زماننا هذا ، فمن ذلك أنه إذا

---

(1) التانبول ، والتامول : ضرب من اليقطين ، طعم ورقة كالقرنفل. يمضغونه بقليل من الكلس ، ويغلب استعماله في الهند واليمن والحجاز.

مات الرجل منهم وكان له زوجة جعلت له دائرة عظيمة من الحطب كالحظيرة فيوضع الرجل وسطها وذلك قبل أن تؤجج ، ثم تأتي زوجته وقد لبست أفخر ثيابها مضمّخة بالدهن المطيّب ، وتحلّت بجميع حليها ، وقد زفّها أهلها وقرابتها جميعا وغيرهم ممن هو على ملّتهم ، فتقف عند زوجها في وسط تلك الحظيرة [1] وهي تمضغ ورق التانبول ، وتتكلّم وتضحك غير مكترثة بالموت. وقد ضرب لها وتدان في تلك الحظيرة من الحطب فتربط رجلاها فيهما بسلسلتين من الحديد ، ثم يصب الدهن على ذلك الحطب وتضرم النار وتؤجّج. فإذا اتقدت النار ولحقت المرأة رفعتها عن الأرض فيمنعها قيد رجليها عن أن تلقيها إلى خارج ، فلم تزل ترتفع وتنحطّ حتى تفارق روحها بدنها.

وذكر الشيخ البهائي (*) في كشكوله [2] : أنه استمرّت العادة في أقاصي بلاد الهند على إقامة عيد كبير على رأس كلّ مائة سنة ، فيخرج أهل البلد جميعا من شيخ وشاب وصغير وكبير إلى صحراء خارج البلد فيها حجر كبير منصوب. فينادي منادي الملك : لا يصعد هذا الحجر إلّا من حضر هذا العيد قبل هذا ، فربّما جاء الشيخ الهرم الذي ذهبت قوّته وعمى بصره ، والعجوز الشوهاء وهي ترجف من الكبر ، فيصعدان على ذلك الحجر ، أو أحدهما ، وربّما لا يجيء أحد ويكون قد فني ذلك القرن بأسره. فمن صعد ذلك الحجر نادى بأعلى صوته : قد حضرت العيد السابق وأنا طفل صغير ، وكان ملكنا فلان ، ووزيرنا فلان ، وقاضينا فلان ، ثم يصف الأمم الماضية من ذلك القرن كيف طحنهم الموت وأكلهم البلى ، وصاروا تحت أطباق الثرى. ثم يقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكر الموت ، وغرور الدنيا ولعبها بأهلها ، فيكثر في ذلك اليوم البكاء ، وذكر الموت والتأسف على صدور الذنوب ، والغفلة عن ذهاب العمر. ثم يتوبون ويكثرون الصدقات ، ويخرجون من التبعات. انتهى.

---

(1) الحظيرة : الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الأغنام ، أو الإبل.

(2) كشكول البهائي 1 / 7.

وحكى المسعودي [1] وغيره : أنّ الاسكندر لما ملك فارس واحتوى على ملكها وتزوّج بابنه ملكها ســـار نحو الســـند والهند ، ووطئ ملوكها ، وحمل إليه الهدايا والخراج ، وحاربه (فورك) [2] وكان أعظم ملوكها ، وكانت له مع الاسكندر حروب ، وقتله الاسكندر مبارزة ، وبلغه أنّ في أقاصي أرض الهند ملكا ذا حكمة وسياسة ، وديانة وإنصاف للرعيّة ، وأنّه قد أتى عليه مئون من السنين ، وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له : كند ، وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة والعصبية وغيرها ، حاملا لها على خلق كريم ، وأدب رائق. فكتب إليه كتابا يقول فيه : إذا أتاك كتابي هذا فإن كنت ماشـــيا فلا تلتفت ، وإن كنت قائما فلا تقعد حتى تصل إليّ وإلّا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند. فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر بأحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه اجتمع قبله [3] أشياء لم يجتمع عند غيره مثلها. فمن ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها ، وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله ، وطبيب لا تخشى معه داء ولا شـــيء من العوارض إلّا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحلّ العقدة التي عقدها المبدع لها ، والمخترع لهذا الجسم الحسّي المنصوب غرضا للحتوف والبلايا ، وقدح إذا ملأته شرب منه عسكرك جميعه ولا ينقض منه شيء. وأنا منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه. فلما قرأ الاســـكندر الكتاب أنفذ إليه جماعة من حكماء اليونانيين والروم ، وقال لهم : إن كان صـــادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك إليّ ودعوا الرجل ، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك ، وأنّه أخبر عن الشيء بخلافه فأشخصوه إليّ. فمضى القوم وأظهر لهم الجارية ، فلما رمقوها بأبصارهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه أن يتعدّى إلى غيره. فخاف القوم على عقولهم ، ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهر سلطان هواهم. ثم أراهم بعد ذلك ما تقدّم الوعد به وصرفهم ،

---

(1) مروج الذهب 1 / 293.

(2) في مروج الذهب (فور).

(3) في مروج الذهب (أنه اجتمع له قبله).

وسيّر بالفيلسوف والجارية والطبيب والقدح ، فلما وردوا على الاسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف ، ونظر إلى الجارية فبهرت عقله ، وأمر قيمة جواريه بالقيام عليها ، ثم صرف همّته إلى الفيلسوف وإلى علم ما عنده وعند الطبيب. فملأ قدحا من السمن وأرهقه حتى لم يبق للزيادة عليه مجال ، وبعث به إلى الفيلسوف ، فدعا بألف ابرة فغرس أطرافها في السمن وأنفذها إلى الاسكندر. فأمر الاسكندر بسبك الابر كرة وبعثها إليه ، فسبكها وجعلها مرآة مصقولة وأعادها. فدعا الاسكندر بطست من ماء فطرح المرآة فيه حتى رسبت وأعادها ، فجعلها طاسة طافية على الماء وأعادها. فملأها الاسكندر بالتراب وبعث بها إليه. فلما نظر الفيلسوف إليها تغيّر لونه وجزع ، وتغيّرت صفاته ، وأسبل دموعه على صحن خدّه وجعل يكثر شهيقه ، وظهر حنينه ، وطال أنينه ، وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ، ثم أفاق من تلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها فقال : ويحك يا نفس ما الذي قذف بك في هذه السدفة ، وأصارك إلى هذه الغمة ، ووصلك بهذه الظلمة ، أنسيت وأنت في النور تسرحين ، وفي العلوم تمرحين. تنظرين بالضياء الصادق ، تنفسحين في العالم المشرق ، أنزلت إلى عالم الظلم والمعاندة ، والغشم والمفاسدة ، تخطفك الخواطف ، وتهزّك العواصف ، قد حرمت علم الغيوب ، والكون في العالم المحبوب ، ورميت بشدائد الخطوب ، ورفضت كلّ مطلوب. أين مصادرك الطيّبة وراحتك القوية؟ حللت في الأجساد ، وقوي عليك الكون والفساد ، واختلطت يا نفس بين السباع القاتلة والأفاعي المهلكة ، والمياه المالحة ، والنيران المحرقة ، والرياح العاصفة ، تسير بك الأعمار في قرارات الأجسام ، لا تشاهدين إلّا غافلا ولا ترين إلّا جاهلا ، جيل قد زهدوا في الخيرات ، ورغبوا عن الحسنات. ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته : يا لك من نجوم سائرة ، وأجسام زاهرة ، من عالم شريف طلعت ، ولشيء ما وضعت ، إنّك من عالم نفيس قد كانت النفس في أعاليه ساكنة ، وفي خزائنه قاطنة ، وقد أصبحت عنه ظاعنة. ثم أقبل على رسول الاسكندر فقال : خذه وردّه إلى الملك . يعني التراب . ولم يحدث فيه حادثة.

فلما وصل الرسول إلى الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد ، فتعجب الاسكندر من ذلك ، فلما أن كان في صبيحة تلك الليلة جلس الاسكندر جلوسا خاصا ودعا الفيلسوف ، فلما أقبل رآه طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، ومن كان كذلك فهو أوحد زمانه ، فأحسّ الفيلسوف بذلك فأدار اصبع السبابة حول وجهه ثم وضعها على أنفه ، ثم دنا مسرعا فحيّا الملك ، فأشار إليه بالجلوس ، وسأله عن وضع اصبعه على أنفه ، فقال : فهمت ما خطر لك فأشرت إلى أنّه ليس في الهند غيري ، كما أنّه ليس في الوجه إلّا أنف واحد ، قال : فما معنى غرز الابر في السمن؟ قال : فهمت أنّك تقول : علمت حتى لا مجال للزيادة كما ملئ هذا الاناء ، فأشرت إلى أن الكامل يقبل الكمال. قال : فما المراد من بسط الكرة؟ قال : فهمت أنّك تقول : قلبي قسا من سفك الدماء واشتغل بهذا العالم فلم يقبل العلم ، فأشرت إلى أنّ جلاء الصدأ ممكن كما صار من الكرة مرآة تري الأجسام. قال : فما المراد من جعلها طاسة طافية على الماء؟ قال : فهمت أنك تقول : الأيّام قصيرة ، والأجل قريب ، ولا يدرك العلم الكثير في الزمن القليل ، فأشرت إلى أن قطع المسافة الطويلة في الأمد اليسير متيسّر كما طفت الراسبة على وجه الماء في أسرع وقت. قال : فما بالك حين ملأت الإناء بالتراب لم تردّ الجواب؟ قال : فهمت أنك تقول : ثم الموت ، فأخبرتك أنّه لا حيلة في ذلك. فقال الاسكندر : صدقت ، ولا حسننّ إلى الهند لأجلك ، وأمر له بجوائز كثيرة ، فقال : لو أحببت المال ما أردت [1] العلم فلست أدخل علمي ما يضادّه وينافيه. ثم نصح الاسكندر بنصائح يأمره فيها بالعدل والاحسان. فخيّره الاسكندر بين المقام عنده ، والعود إلى وطنه ، فاختار العود إلى وطنه فلحق بأرضه. وما أحسن قول من قال :

ولو أنّ الغريب غدا مليكا ونال من العلى أقصى مراده
لبات وقلبه يصلى بنار لتربة أرضه وهوى بلاده

---

(1) في ك (ما نلت) مكان (ما أردت).

ولله درّ القائل [1] :

فـيـا وطـني إن فـاتـني بـك سـابـق من الـدّهر فلينعم لسـاكنـك البـال

فـإن أسـتـطـع في الحشـر آتـك زائـرا وهـيـهـات لي يـوم الـقـيـامـة أشـغـال

وأما القدح فامتحنه من أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقصه شربهم منه شيئا ، وكان معمولا بضرب من خواص الهند الروحانية [والطبائع][2] التامة وغير ذلك من العلم مما تدعيه الهند. وقد قيل : أنه كان لآدم أبي البشر بأرض سرنديب من بلاد الهند ، مبارك له فيه ، فورث عنه وتداوله الأملاك إلى أن انتهى إلى الملك كند لعظم شأنه. وأمّا الطبيب فكان كما وصفه صاحبه.

وقرأت في خلق الإنسان للعلامة النيسابوري [3] : أن الملك كند المذكور رأى قبل مكاتبة الاسكندر له بمائة سنة رؤيا راعته ، فجمع لها علماء مملكته وقصّها عليهم فقال : إني رأيت كوة صغيرة إلى بيت فيه فيل عظيم محبوس ، وأنّه خرج من تلك الكوة كلّه ما خلا ذنبه ، وتعجبت من خروج الأكبر وبقاء الأصغر ، ورأيت قردا على سرير الملك ، وكرباسة [4] في أيدي طائفة يتنازعونها فلا تنخرق ، ولا يغلب بعضهم عليها بعضا ، ورجلا عطشان يهرب من الماء والماء يتبعه فلا يعطف عليه حتى يشربه ، ورأيت أهل المدينة في المبايعة والتصرّف ، ورأيت قوما مرضى يعودون صحيحا ويسألونه عن حاله ، وبرذونا ذا رأسين يأكل بكليهما ولا يروّث ، ولا له مراث ، وثلاث خوابي [5] مصفوفة ينصبّ ما في اليمنى واليسرى بعضها إلى بعض ولا يقطّر في الوسطى شيء وهي فارغة ، وبقرة ترتضع من عجلها ، وعينا قد يبس مخرج مائها وما دونها ممتلئ.

---

(1) الشعر لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله المتوفى سنة 449 هـ (أنوار الربيع 1 / 39).

(2) لا وجود لهذه الكلمة في ك ، وفي ع وأ (الطماع) وما أثبته عن مروج الذهب.

(3) هو بيان الحق محمود ابن أبي الحسن النيسابوري وقد تقدم التعريف به.

(4) الكرباسة ، والكرباس : ثوب من القطن ، وقيل الثوب الخشن (معرب).

(5) الخوابي ، جمع الخابية (وأصلها الهمز) : الجرة الكبيرة.

وقد علمت أنّ هذه الرؤيا لأمر عظيم وخطب فظيع ، وخاصـــة لتتابعها في وقت واحد. فقالوا له : إنّ علمك يفضـل على علمنا فضـل قدرك على أقدارنا ، فليقل في التأويل خيرا ، فإن الحكماء أمروا بذلك. فقال الملك : وهل لكلمة الأنس اقتدار على ردّ ما قد قضـى الله ، وسـبق به علمه؟ فقالوا : لا يفي علمنا بتأويل هذه الرؤيا ، ولا يسـتقلّ به غير مهراي العالم ، ووصـفوا له أمره فقال : لو لم تكن لي إلى هذا الرجل حاجة لآتينّه اعظاما له وتيمّنا بلقائه ، فكيف ولي إليه حاجة. ثم ركب إلى أرضـه في خفّ [1] من رجاله وأتاه وخرّ له سـاجدا وأخبره الخبر فقال العالم : لا بأس عليك من رؤياك إلى مائة سـنة ، ثم تضـرّك بعض الضـرر ، ولا يبيد سـلطانك ، ولكنّك تسـلم ، وتسـلم بلادك بجارية ، وطبيب ، وفيلسـوف. قال : وكيف ذلك أيها الصـادق؟ قال : إذا تمّ الأجل أتت أمّة من المغرب يملكها الاسـكندر ، والنصـر محتفّ به. لا يطيقه الأنس والجن ، يدخل المشـرق ويعطيه أهله المقادة ، وسـتسـلم منه بما ذكرت ، فلا يطأ لك حريما ، ولا يخرّب بلدا ، وأمّته أمّة سوء ، وهذه الرؤيا عليهم.

أمّا الفيل : فملك تلك الأمة خرج من الدين قبله إلّا أتباعه.

وأمّا القرد : فالملوك على عهده يصيرون سفلا ، والسفل ملوكا تسجد لهم الملوك.

وأمّا العطشان : فالناس في زمانه يهربون من العلم ولا يلتفتون إليه.

وأمّا المرضى : ففقراء تلك الأمة يهدون لأغنيائهم.

وأمّا البرذون : فإنّهم يرون الأخذ من الولي والعدو ، ولا يرون للبذل موضعا.

وأمّا الخوابي : فأهل المسكنة تكون فيما بين أغنيائهم فلا تنال منهم خيرا.

وأمّا الكرباسة : فتقريره ممالك الأرض على طوائف متساوية في القدر ،

---

(1) الخف (بكسر الخاء وتشديد الفاء) : الجماعة القليلة.

لا يغلب بعضهم بعضا ، ويتوادعون على ذلك زمانا.

وأمّا العين : فهي مخرج الأمور من غير مجاريها ، وتحوّل الأمر إلى غير أهله.

وأمّا البقرة : فالمطعم يصير مستطعما ، والملوك عبيدا ، إلّا أنت وأهلك. فانصرف وقرّ عينا إلى تمام الأجل ، فإذا أتاك فلا تحاربه واهد له ابنتك الحسناء ، وطبيبك الماهر ، وفيلسوفك الطويل. ففعل ما أمره وسلم.

وهذه القصة مع صدق أمر الرؤيا في انعقاد الدول فائدة العلم بتأخرها إلى حين والله أعلم.

ورأيت في كتاب العقد [1] لأحمد بن عبد ربه القرطبي [2] : أن أحد ملوك الهند كتب إلى عمر بن عبد العزيز : من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك والذي تحته بنت ألف ملك ، والذي في مربطه (مائة ألف) [3] فيل ، والذي له نهران ينبتان العود ، والبوّة [4] ، والجوز ، والكافور الذي يوجد ريحه على [مسيرة][5] اثني عشر ميلا. إلى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئا. أما بعد فإني أردت أن تبعث إليّ رجلا يعلمني الاسلام ، ويوقفني على حدوده والسلام.

وفي المروج [6] : أن ملك الهند كتب إلى كسرى : من ملك الهند

---

(1) العقد الفريد 2 / 202.

(2) توفي أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي سنة 328 ه (أنوار الربيع 4 / 223).

(3) في العقد الفريد (ألف فيل).

(4) البوة (بفتح الباء وتشديد الواو المفتوحة) : جوزة صلبة تدق وتخلط مع أجزاء التوابل والأفاويه. وهي معروفة بالعراق بهذا الاسم ، ولم أجد لها ذكرا في معاجم اللغة. في العقد الفريد 2 / 202 (الألوة) مكان (البوة) وقال المحقق : هي ضرب من العود يتبخر به.

(5) زيادة من القعد الفريد.

(6) مروج الذهب للمسعودي 1 / 266.

صاحب قصر الذهب (وايوان) [1] الياقوت والدرّ إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كسرى أنو شروان. وأهدى إليه ألف منّ عود هندي يذوب في النار كالشمع ، ويختم عليه كما يختم على الشمع فتتبين فيه الكتابة ، وجاما من الياقوت الأحمر فسحته شبر مدوّر مملوءا درّا وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خدّها ، وكأنّ بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ورقة تخطيطها واتقان تشكيلها ، مقرونة الحاجبين لها ضفائر تحوزها ، (تغنى بالفارسية والهندية والصينية ، يستغرق الوجد سماعها ، وترقص رقص الفرس والهند والصين ، عاملة بأنواع الملاهي) [2]. وفرشا من جلود الحيّات ألين من الحرير ، وأحسن من الوشي ، والله أعلم.

قيل : وقد كان الملك العظيم ، والعدل الكثير ، والنعم الجزيلة ، والسياسة الحسنة ، والرخاء والأمن الذي لا خوف معه في بلاد الهند ، وبلاد الصين ، وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم ، والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر سواهم على أمثالها.

قلت : وهي الآن كما قيل :

فتغيّرت كلّ البلاد وأهلها وغدت حديثا مثل أمس قد مضى

وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود ، وشجر الكافور ، وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل [3] ، والدارصيني [4] والكبابة [5] والبسباسة [6] وأنواع الأدوية.

---

(1) في مروج الذهب (وأبواب).

(2) الذي بين القوسين غير موجود في مروج الذهب.

(3) السنبل (بالضم) : نبات طيب الرائحة ، يتداوى به ، ويسمى سنبل العصافير.

(4) الدارصيني : مثل لحاء الشجر ويسمى في العراق (الدارسين) يخلط مدقوقة مع التوابل (معرب).

(5) الكبابة : دواء صيني ويستعمل مع التوابل أيضا.

(6) البسباسة : أوراق صفر تحذي اللسان كالكبابة.

ومن كلام ابن القرّيّة [1] لما سأله الحجاج عن البلدان : الهند بحرها درّ ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عود ، وورقها عطر ، وأهلها طغام كقطع الحمام.

وقال المسعودي : بحر الهند والصين في قعره اللؤلؤ ، وفي جباله الجواهر ، ومعادن الذهب والفضة والرصاص القلعي [2]. وفي أفواه دوابه العاج ، ومن نباته الأبنوس والخيزران والقنا ، والبقّم والعود وأشجار الكافور ، وأشجار كثيرة ، والجوز بوّاء ، والقرنفل والصندل وأنواع الأفاويه والطيب والعنبر ، وطيوره الببغاي [3] البيض والخضر ، ثم الطواويس وأنواعها في صورها واختلافها في الصغر والكبر ، ومنها ما يكون كالنعامة كبرا ، ومن حشرات أرض الهند سنانير الزباد ، وظباء المسك. قيل : وعلة كون الطيب بأرض الهند أنّه من الورق الذي خصفه عليه آدم أبو البشر من ورق الجنّة ، فإنّه لما هبط بالهند في جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق ، يبس فذرّته الرّياح فانتشر في بلاد الهند فكان هو العلّة في ذلك والله أعلم.

وجبل سرنديب من أعجب الجبال ، طوله مائتان ونيّف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه‌السلام. قيل : لا بدّ له كلّ يوم مطرة تغسل موضع قدمه ، وقد لمعت عليه اليواقيت ، وفيه الماس.

وفي جزائره أنواع الأفاويه ، وشجر الساج ، والله سبحانه أعلم.

ومما يلتحق بأخبار الهند وينتظم في سلكها قصة بابا رتن الصحابي ، فلا بأس بذكرها لغرابتها : قرأت في تذكرة صلاح الدين الصفدي في الجزء

---

(1) هو أيوب بن زيد بن قيس الهلالي المعروف بابن القرية (بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة وتشديد الياء المفتوحة ـ في ع (ابن القرن) وفي ك وأ (ابن القربة) ـ : أعرابي أمي وخطيب يضرب المثل ببلاغته ، قتله الحجاج سنة 84 هـ (الأعلام 1 / 381) وترجم له الخونساري في روضات الجنات / 111 وسماه (اسماعيل بن زيد).

(2) القلعي : نسبة إلى نوع من الرصاص الجيد يسمى القلعة (بتسكين اللام ، وتحرك).

(3) الببغاي ، كذا جاء في ك ، والظاهر أنه يريد جمع ببغا ، والمعروف أنها تجمع على ببغاوات. وفي ع (الساعى) وفي أ(الباغي). لم أجد الخبر في مروج الذهب ولعلني لم أهتد إليه.

الثامن [1] منها ما نصّـــه : نقلت من خطّ الفاضـــل علاء الدين علي بن مظفر [2] الكندي رحمه‌الله تعالى ما صورته :

حدثنا القاضـــي الأجل العالم جلال الدين أبو عبد الله محمد بن ســـليمان بن ابراهيم الكاتب من لفظه في يوم الأحد [3] خامس عشـر ذي الحجة سـنة احدى عشـرة وسـبعمائة بدار السـعادة دمشـق المحروسـة. قال : أخبرني الشـريف قاضـي القضـاة نور الدين أبو الحسـن علي بن الشـريف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الحسـين الحسـيني الأثري الحنفي من لفظه في العشـر الآخر من جمادى الأولى عام احدى وسـبعمائة بالقاهرة قال أخبرني جدي الحسـين بن محمد قال : كنت في زمن الصبا وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة سافرت مع أبي محمد ، وعمي عمر من خراســـان إلى بلاد الهند في تجارة ، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصـلنا إلى ضـيعة من ضـياع الهند ، فعرّج القفل نحو الضـيعة ونزلوا بها ، وضـجّ أهل القافلة فسألناهم عن الشأن فقالوا : هذه ضيعة الشيخ رتن (اسمه بالهندية) وعرّبه الناس وسموه بالمعمّر لكونه عمّر عمرا خارجا عن العادة. فلما نزلنا خارج الضـيعة رأينا بفنائها شـجرة عظيمة تظلّ خلقا عظيما ، وتحتها جمع عظيم من أهل الضـيعة ، فتبادر الكلّ نحو الشـجرة ونحن معهم ، فلما رآنا أهل الضيعة سلّمنا عليهم وسلموا علينا ، ورأينا زنبيلا كبيرا معلقا في بعض أغصان الشـــجرة ، فســـألنا عن ذلك فقالوا : هذا الزنبيل فيه الشـــيخ رتن الذي رأى رســـول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم مرتين ودعا له بطول العمر ست مرات ، فسألنا جميع أهل الضيعة أن ينزل الشيخ [4] ونسمع كلامه ، وكيف رأى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم وما يروي عنه. فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى الزنبيل ـ وكان ببكرة ـ فأنزله فإذا هو مملوء بالقطن ، والشيخ في وسط القطن ، ففتح رأس الزنبيل وإذا الشيخ فيه

---

(1) في كشف الظنون 1 / 388 إنها بنحو ثلاثين مجلدا.

(2) لعله علي بن المظفر بن ابراهيم الوداعي الكندي الاســـكندراني ثم الدمشـــقي المتوفى ســـنة 716 هـ (الدرر الكامنة 3 / 204).

(3) في ك (يوم الاربعاء).

(4) في ك (فسألنا جميعنا أن ينزل الشيخ).

كالفرخ ، فحسر عن وجهه ووضع فمه على أذنه وقال : يا جدّاه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وفيهم شرفاء أولاد النبي **صلى الله عليه وسلم** وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وماذا قال لك. فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع ونفهم كلامه فقال :

سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة ، فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية ، فرأيت غلاما أسمر اللّون مليح الكون ، حسن الشمائل وهو يرعى إبلا في تلك الأودية وقد حال السيل بينه وبين إبله وهو يخشى من خوض السيل لقوّته فعلمت حاله ، فأتيت إليه وحملته وخضت السيل إلى عند ابله من غير معرفة سابقة ، فلما وضعته عند ابله نظر إليّ وقال لي بالعربيّة : بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك. فتركته ومضيت إلى سبيلي إلى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنّا أتينا إليه من أمر التجارة وعدنا إلى الوطن ، فلما تطاولت المدة على ذلك ، كنا جلوسا في فناء ضيعتنا هذه في ليلة مقمرة رأينا البدر في كبد السماء وقد انشقّ نصفين ، فغرب نصف في المشرق ، ونصف في المغرب ساعة زمانية ، وأظلم الليل ثم طلع النصف من المشرق ، والنصف الثاني من المغرب إلى أن التقيا في وسط السماء وعاد كما كان أوّل مرّة ، فعجبنا من ذلك غاية العجب ، ولم نعرف لذلك سببا ، وسألنا الركبان عن خبر ذلك وسببه فأخبرونا : أنّ رجلا هاشميا ظهر بمكة وادّعى أنه رسول الله إلى كافة العالم ، وأن أهل مكّة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء ، وأنّهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في المغرب ، ونصفه في المشرق ، ثم يعود إلى ما كان عليه ففعل لهم ذلك بقدرة الله تعالى. فلمّا سمعنا ذلك من السفار اشتقت (إلى أن أرى المذكور) [1] فتجهزت في تجارة وسافرت إلى أن دخلت مكة ، وسألت عن الرجل الموصوف فدلّوني على موضعه ، فأتيت إلى منزله واستأذنت عليه فأذن لي ، ودخلت عليه فوجدته جالسا في صدر المنزل والأنوار تتلألأ في وجهه وقد

---

(1) في ك (إلى رؤية ذلك النبي).

(استثارت) [1] محاسنه وتغيّرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأولى فلم أعرفه. فلمّا سلّمت عليه نظر إليّ وتبسّم وعرفني وقال : وعليك السلام ، أدن منّي ، وكان بين يديه طبق فيه رطب ، وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يعظّمونه ويبجّلونه ، فتوقفت لهيبته ، فقال ثانيا : أدن مني وكل فالموافقة من المروءة ، والمنافقة من الزندقة. فتقدمت وجلست ، وأكلت معهم من الرطب ، وصار يناولني الرطب بيده المباركة إلى أن ناولني ست رطبات سوى ما أكلت بيدي. ثم نظر إليّ وتبسّم وقال لي : ألم تعرفني؟ قلت : كأني ، غير أني ما تحققت ، فقال لي : ألم تحملني في عام كذا وجاوزت بي السيل حين حال السيل بيني وبين ابلي ، فعند ذلك عرفته بالعلامة ، وقلت له : بلى والله يا صبيح الوجه ، فقال لي : أمدد يدك إليّ ، فمددت يدي اليمنى إليه فصافحني بيده اليمنى وقال لي : قل أشهد أن لا اله إلّا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فقلت ذلك كما علّمني. فسرّ بذلك وقال لي عند خروجي من عنده : بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك ، بارك الله في عمرك. فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالاسلام. فاستجاب الله دعاء نبيه **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة ، وها عمري اليوم نيف وستمائة سنة ازداد عمري بكلّ دعوة مائة سنة ، وجميع من في هذه الضيعة العظيمة أولاد أولاد أولاد أولادي ، وفتح الله عليّ وعليهم بكلّ خير ، وبكلّ نعمة ببركة رسول الله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم**. تم بالخير والحمد لله.

قال الصفدي بعد نقل ذلك : كأني ببعض من يقف على حديث هذا المعمّر يداخله شك في طول عمره إلى هذا الحدّ ، ويراجع في صدقه ، ويتردد فيه ويقول : إن كان ذلك مبلغه من العلم تقليدا لزاعمه. إن التجربة دلّت على أن غاية سن النمو ثلاثون سنة ، وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون. ويجب أن يكون غاية سنّ النقصان ضعف الأربعين المتقدمة ، فيكون نهاية العمر مائة وعشرين سنة كما زعم الطبيعيون ، وقالوا إنما صار زمان الفساد ضعف زمان الكون أمّا من السبب المادي فلأنّ في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على

---

(1) كذا في ع وك ، وأخالها (استنارت). وفي أ(استزادت).

البدن فتتمسك بالقوة ، وأمّا من السبب الفاعلي فلأنّ الطبيعة تتأدى إلى الأفضل ، وتتحامى عن الأنقص ، أو كما زعم أصحاب النجوم من أنّ قوام العالم بالشمس ، وسنوها الكبرى مائة وعشرين سنة فيقال له : ليس في قول الطائفتين برهان قطعي يدلّ على أنّ نهاية عمر الإنسان هذا القدر ، أو قدر معيّن غيره. ولقد جاءت الكتب الإلهية صلوات الله على من أنزلت عليه بإثبات الأعمار الطويلة للأمم السالفة ، قال الله تعالى في حقّ نوح (ع) «فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاما» [1] والتوراة والانجيل مطابقان للقرآن العظيم في إثبات الأعمار الطويلة للآدميين ، والاصرار على إنكار ذلك دليل على الجهل.

وقال الشيخ أبو الريحان البيروني في كتابه المسمّى بالآثار الباقية عن القرون الخالية [2] : وقد أنكر بعض أغمار الحشوية والدهرية ما وصف من طول أعمار الأمم الخالية ، وخاصة ما ذكر فيما وراء زمان ابراهيم الخليل **عليه‌السلام**.

وذكر شيئا من كلام المنجمين ، ثم حكى عن ما شاء الله [3] أنه قال في أول كتابه في المواليد : يمكن أن يعيش أصحاب سنّي القران الأوسط إذا اتّفق الميلاد عند تحويل القران إلى الحمل ومثلثاته ، والدلالات كانت على مثل ما ذكرنا أن يبقى المولود سني القران الأعظم وهي تسعمائة وستون سنة بالتقريب حتى يعود القران إلى موضعه.

وحكى أيضا عن أبي سعيد بن شاذان في كتاب مذاكراته مع أبي معشر [4] في الأسرار : أنه أنفذ إلى أبي معشر مولودا لابن ملك سرنديب وكان طالعه الجوزاء ، وزحل في السرطان ، والشمس في الجدي ، فحكم أبو معشر

---

(1) الآية / 14 من سورة العنكبوت.

(2) الآثار الباقية / 78.

(3) في الأصول (ثم حكى عما شاء الله) والتصويب من الآثار الباقية. وما شاء الله اسم رجل نعته البيروني في الآثار الباقية / 79 بأنه أستاذ أصحاب أحكام النجوم.

(4) هو أبو معشر الفلكي (جعفر بن محمد) المتوفى سنة 272 هـ (الأعلام 2 / 122).

بأن يعيش دور زحل (الأوسط ، وقال : هؤلاء أهل اقليم قد تقدم بهم الحكم بطول الأعمار وصاحبهم زحل ، ثم قال أبو معشر : وبلغني أن الإنسان إذا مات فيهم قبل دور زحل) [1] تعجبوا من سرعة موته. انتهى كلام أبي الريحان.

قلت [2] (وبقاء رتن المحكي عنه هذا العمر معجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم) [3] ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لجماعة من أصحابه بكثرة الولد ، وطول العمر وغير ذلك ، مثل أنس بن مالك وغيره فبورك لهم في أولادهم وعمرهم. ونقل أصحاب التاريخ أنّه مات في عام وباء لأنس بن مالك سبعون ولدا أو أكثر ، فغير بدع لمن يدعو له ست مرات أن يعمّر ستمائة سنة مع إمكان ذلك. غاية ما في الباب أن نحن لم نشاهد أحدا وصل إلى ذلك ، وعدم الدليل لا يدل على عدم المدلول.

قال محمد بن عبد الرحمن بن علي الزمرّدي الحنفي : وأخبرني القاضي معين الدين عبد المحسن بن القاضي جلال الدين عبد الله بن هشام بالحديث السابق سماعا عليه قال : أخبرني بذلك قاضي القضاة (نور الدين المذكور بالسند) [4] المذكور في خامس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، قال محمد الألفي : سألت شيخنا الحافظ الذهبي عن رتن الهندي فقال : هذا لا وجود له ، بل هو اسم موضوع لأخبار مكذوبة ، أو هو شيطان تبدّى لهم بصورة أنسيّ ، زعم في حدود الستمائة أنّه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فافتضح بتلك الأحاديث الموضوعة ، وبكلّ حال ابليس أسنّ منه. وقد صنّفت فيه جزءا سمّيته كسر وثن بابا رتن [5] ذكرت فيه طرق حديث رتن وضعفها.

---

(1) الذي بين القوسين غير موجود في ك.

(2) القول للصفدي.

(3) سقطت الجملة التي بين القوسين من ك.

(4) وهذه الجملة أيضا سقطت من ك.

(5) وقال الذهبي في ميزان الاعتدال 2 / 45 (رتن وما أدراك ما رتن. شيخ دجال بلا ريب ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة ، والصحابة لا يكذبون ، وهذا جرئ على الله ورسوله وقد ألفت في أمره جزءا ، وقد قيل أنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

انتهى ما قرأته في تذكرة الصفدي.

ورأيت في هامش النسخة التي نقلت منها بخط بعض الفضلاء ما صورته : وممّا يؤيد كون هذا الحديث كذبا أنّه قال في أوله في وصف رسول الله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** : أسمر اللّون ، وأنّه كان يرعى ابلا. الأوّل كذب باتفاق ، وأما كونه كان يرعى ابلا فهذا ممّا لم يعرف ، وإنّما الذي يعرف أنّه كان يرعى الغنم لقوله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** : ما من نبيّ إلّا ورعى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : وأنا كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة. انتهى.

وفي هامش النسخة المذكورة أيضا منقول عن خط برهان الدين بن جماعة [1] ما مثاله : هذا الذي ذكره شيخنا الذهبي هو الحقّ ، وما صدّر به الصفدي (من تجويز الوقوع لا يقتضي الوقوع ، فكم من جائر ليس بواقع. وأمّا إنكار التردّد فيه والشك فخبط لا يلتفت إليه ، والصواب عدم التردد في بطلانه ، وليس الصفدي) [2] من رجال هذا المقام. انتهى.

وفي أوائل المجلّد الثاني من الكشكول [3] : الشيخ رضي الدين علي لالا الغزنوي وفاته سنة اثنتين وأربعين وستمائة. ذكر في أواخر الثلث الأخير من النفحات : أن هذا الشيخ سافر إلى الهند ، وصحب أبا الرضا رتن ، وأعطاه رتن مشطا زعم أنّه مشط رسول الله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم**. وذكر في النفحات أيضا أنّ هذا المشط كان عند علاء الدولة السمناني كان وصل إليه من هذا الشيخ ، وأن علاء الدولة لفّه في خرقة ، ولفّ الخرقة في ورقة وكتب على الورقة بخطه : هذا المشط من أمشاط رسول الله **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** وصلة من أبي الرضا رتن إلى هذا الضعيف. وذكر أيضا : أنّ علاء الدولة كتب بخطّه : أنّه يقال أنّ ذلك كان أمانة من الرسول **صلى‌الله‌عليه‌وسلم** ليصل

ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه (جملة كبيرة من أسمج الكذب والمحال).

(1) هو القاضي برهان الدين بن عبد الرحيم بن محمد بن سعد الله بن جماعة. توفي سنة 790 هـ (الدرر الكامنة 1 / 39).

(2) الذي بين القوسين ساقط من (ك).

(3) كشكول البهائي 1 / 286 وفي الرواية اختلاف ، واضطراب هنا وهناك.

إلى الشـــيخ رضـــي الدين لالا. انتهى كلام النفحات وفيه نظر وكلام طويل. يظهر لمن رأى كلام صـاحب القاموس في لفظ (رتن) وفيه رمز يعرفه من يعرفه ، فحلّه إن أطقت والسـلام. انتهى كلام الكشـــكول ، وهذا كلام صـــاحب القاموس : رتن (محركا) بن كربال بن رتن البترندي (قيل) [1] أنه ليس بصـــحابي وإنّما هو كذاب ظهر بالهند بعد الســـتمائة ، فادّعى الصحبة وصدّق ، وروى أحاديث سمعناها من أصحاب أصحابه. انتهى والله أعلم.

وكانت ملوك الاسـلام بالهند سـتة ، كلّ واحد منهم قد احتوى على قطر من أقطارها واسـتبدّ بجهة من جهاتها. ومن غريب ما يحكى عن بعضـهم وهو السـلطان محمد شـاه بن السـلطان تغلق ، أن المولى جمال الدين بن حسـام الدين الشـاعر قصـده من العجم وامتدحه بقصيدة ، فلما حضر مجلسه وأنشد المطلع أمره السلطان المذكور أن يكفّ عن الإنشاد وقال : إنّي لا أطيق القيام بصـــلتك إن أنشـــدتها بتمامها ، ثم أمر الغلمان أن يأتوا ببدر الدنانير ويصبّوها حوله حتّى تساوي رأسه ، فصبّوها فلما ساوت الدنانير رأسه قام الشاعر ، فأعجب السـلطان قيامه ، فأمر أن يزيدوا في صـبّ الدنانير حتى تسـاوي رأسـه قائما ففعلوا. وكانت وفاة السلطان المذكور سنة احدى وخمسين وسبعمائة.

ولم تزل ملوك الاسـلام في الهند منقسـمين سـتة أقسـام إلى أن قويت شـوكة السـلطان محمد همايون ، وكان أكبر ملوكها ، فوطئهم جميعا واحتوى على جهاتهم ولم يقاومه أحد. ولم يبق من أولئك الملوك إلّا ملوك الدكن مع الطاعة له والانقياد ، وكانوا إذ ذاك أربعة ، ثم جاء من خلف من أولاده فاحتووا على ملك ملكين منهم فبقي ملكان : أحدهما مولانا السـلطان خلّد الله ملكه ، والثاني عادل شـاه صـاحب أرض كوكن المقدم ذكره ، وأكثر بلاد الهند في زماننا هذا في حوزة ولد السـلطان محمد همايون المذكور ، والملك فيهم من سـنة اثنتين وسـتين وتسـعمائة ، وهي السـنة التي كسـر فيها السـلطان محمد همايون ملك دهلي [2] واحتوى على ملكه ، ولم يزل في غاية من الأيد والازدياد والقوّة

---

(1) لا وجود لكلمة (قيل) في الكشكول ولا في القاموس.

(2) (دهلي) وتسمى أيضا (دلهي) يراجع القاموس الإسلامي 2 / 399.

والسداد ، لم يطمح إليه طاكح ولم يجمح عنه جامح ، والملك لله الواحد القهار.

ما اختلف اللّيل والنّهار ولا دارت نجوم السّماء في الفلك [1]

إلّا لنقل السّلطان من ملك قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذي العرش لم يزل أبدا ليس بفان ولا بمشترك

لطيفة : كان الشيخ محمد بن حكيم الملك [2] دخل الديار الهندية فلم يطب له بها مقام ، فكتب إلى القاضي تاج الدين المالكي (*) بمكة المشرّفة كتابا يشكو فيه أحواله ، منه :

رحلت عن كعبة البطحاء والحرم ، ونزلت بساحة قوم لا يدرون ما حماية الحرم ، مثل من هو خارج من الأنوار إلى الظّلم ، ونقلت من جوار البيت وسدنته إلى حيث خوار العجل وجوار عبدته ، واستبدلت عن العكوف بالركن والمقام ، الوقوف بين عبدة الأصنام ، وهجرت مهابط الوحي والتنزيل ومتردّد الروح الأمين جبرئيل ، إلى مساقط أنداء الكفر والضلال ومرابط الأنعام والأفيال ، وعوّضت بالمشاعر الاسلامية حيث فرض الفروض والسنن ، معتكف أقوام يجرون في رفض الفرائض على سنن ، وبدّلت بزمزم والحطيم ومقام ابراهيم ، زمزمة البراهمة على الحطيم [3]. بديار لا تطيب إلّا لمن خلع ربقة الاسلام من عنقه ، ولا ينعم بها سوى من (انعم) [4] في تخويده إلى ميادين

---

(1) وردت الأبيات منسوبة لأبي العتاهية اسماعيل ابن القاسم في هامش الصفحة / 274 من ديوانه مع مصادر تخريجها وفي روايتها بعض الاختلاف. توفي أبو العتاهية سنة 212 ه (أنوار الربيع 2 / 96).

(2) هو الشيخ محمد بن الشيخ أحمد حكيم الملك المتوفى بالهند سنة 1050 ه (سلافة العصر / 158).

(3) الحطيم . هنا . ما يبقى من نبات عام أول.

(4) (أنعم) كذا ورد في الأصول ، وفي سلافة العصر (أمعن) وهو الصواب ، لأن الكلمتين وإن تعاقبتا في بعض المعاني كأن يقال : أنعم ، وأمعن النظر في الأمر ، فإنّ الثانية تنفرد بمعنى (العدو) فيقال : أمعن الفرس في عدوه ، ولا يقال : أنعم.

الضـلالة وعنقه [1]. لا يصـفو لي بها عيش ، ولا ألتذّ بالحياة في نعيم ولو أنّه على ما يقال : أيش وأيش.

كـيـف يـلـتـذّ بـالحـيـاة مـعـنّى بـين أحشـائـه كـوري الـزّنـاد [2]

في قرى الهنـد جسـمـه والاصـيحـاب حـجـازا والـقـلـب في أجـيـاد [3]

أقاسي من متاعب الوحدة كلّ محنة وشدّة ، وأعاني من أهوال الغربة كلّ غمّة وكربة ،

فمـا غربـة الإنسـان في شـقّـه النّوى ولـكـنّـهـا والله في عـدم الشّـكـل [4]

وإنّي غـريـب بـين بسـت وأهـلـهـا وإن كـان فـيـهـا أسـرتي وبهـا أهـلـي

انتهى. ومن إنشـاء بعض فضـلاء المتأخرين وكتبه إلى بعض أصـدقائه ، وكانا بالهند ، وقد تلطّف أيم الله :

إن اختصـاصـي الأكيد ، وإخلاصـي الذي ما عليه مزيد ، وشـوقي الذي لا يكاد يوصـف ، وموّدتي التي ضـميرك مني بها أعرف (علّة تامة في) [5] سـرعة النهوض والمبادرة إلى التشـرّف بتلك الذات التي جمعت بين مزايا الأدب ومفاخره ولكن حال القضـاء المبرم دون المراد ، وأقعدني عن القيام بهذا الموجب ما يقعد ويقيم من قواعد هذه البلاد. إذ ما من شـخص إلّا وعليه رقيب عتيد وما من نفس إلّا ويكنفها شـاهد وشـهيد. تضـبط الحركات والسـكنات بأقلام غير الكرام الكاتبين ، وترسـم الدقيقة والجليلة في رقّ يقرأ من قرأه بأنّ عليكم

---

(1) التخويد : سير الوخد أي السريع ، والعنق : السير الفسيح الواسع.

(2) البيتان من قصيدة لابن الفارض (عمر بن علي) المتوفى سنة 632 هـ (معجم المؤلفين 7 / 301).

(3) حور صـاحب الرسـالة هذا البيت إلى ما يوافق غرضـه. والذي في الديوان (في قرى مصـر) و (والاصـيحاب شآما). أجياد : جبل ، وهما أجيادان (كبير وصغير) وهما محلتان بمكة.

(4) البيتان لأبي سليمان حمد بن محمد البستي ، وقد تقدم ذكرهما مع التعريف بالشاعر.

(5) في ك (تحثني على).

لحافظين [1]. وجملة الأمر أن الحال كما قال من قال :

أتمشّـــــــى في حـــــذار مـثـل مـن يـطـلـب صـــيـد [2]

وأنـــا المحـــبـــوس لـــكـــن لـــيـــس في رجـــلـــي قـــيـــد

انتهى. ومن قواعد أهل الدكن المأثورة ورسومهم المشهورة اعتناؤهم بعشر محرّم الحرام ، وإحياؤهم لتلك اللّيالي والأيّام ، فإنّهم منذ يستهلّون الشهر إلى أن تنقضي العشر لا يزالون في مآتم من الأحزان ومآثر من الأشجان ، ينصبون أعلاما قد جلّلوها بأنواع الحلل المزخرفة ، ويعظّمونها ولا تعظيم شعائر الله المشرّفة ، ويلقون عليها من أقسام الفلول [3] والأزهار ، ما يزدري بنواضـــر الرياض ذوات الأنوار ، فيقيمون عندها النوح والمآتم ، ويحيون ســـننا قد افترضـــوها من فواتح وخواتم ، فإذا أظلم الليل أجّجوا قريبا منها نارا يعظمون هولها ، ويندبون الحسـين **عليه‌السـلام** وهم يطوفون حولها. وما من بيت إلّا وقد نصـبوا فيه جملة من هذه الأعلام ، زاعمين أنّ ذلك من أقرب القرب وأعظم شعائر الاسلام. وكلّ منهم قد لبس ثوب الحداد ، وتدرّع جلباب السّـــواد ، وهم مع ذلك يجعلون حول هذه الأعلام من التماثيل ما يعدّ من الترهات والأباطيل ، وينفقون على ذلك مئين وألوف ، لشـــأن عندهم معروف ومألوف ، فترى الأرض حديقة أخذت زخرفها وازّينت ، وتنوعت (بريط) [4] أزاهيرها وتلونت. فتبرز حينئذ ربّات الحجال إلى هذه المقترحات [5] بين الرجال ، فيأخذ كلّ من ذوي الله والشجو نصيبه المقسوم ، ويتمتع كلّ من الفريقين بقيام هذه القواعد والرسوم. ولهم في هذه الأيام نوادر لا يبين عنها

---

(1) اقتباس من الآية العاشرة من سورة الانفطار (وأن عليكم لحافظين).

(2) سقط هذا البيت من ع وأ.

(3) الفلول ، جمع الفل (بالضم) : الياسمين المضاعف بالتركيب وهو زهر نقي البياض (التاج).

(4) الريط جمع الريطة (بالفتح) : كل ثوب لين رقيق غير مخيط يشبه الملحفة. لا وجود للكلمة في (ك).

(5) المقترحات : المبتدعات ، من اقترح الأمر : ابتدعه من غير سبق مثال.

البيان ، ولا يفي بمعرفتها إلّا العيان. وهذا متعارف عند صغيرهم وكبيرهم ، ومأمورهم وأميرهم.

ومما اتّفق لي نظمه في عشر المحرم سنة أربع وسبعين في لابس سواده كتبت به إلى صاحبنا العفيف عبد الله بن حسين الثقفي (*) :

لا تقل البدر لاح في الغسق هذا سواد القلوب والحدق
إنسان عيني بدا بأسودها فعاد لي إذ رمقته رمقي
يا لابسا للسّواد طبت شذا ما المسك إلّا من نشرك العبق
لبست لون الدّجى فسرّ وقد أغرت ضوء الصّباح في الأفق
حتّى بدا فيه وهو منفلق يشقّ ثوب الظّلام من حنق

فأجاب وأجاد :

روحي فدا من أعاد لي رمقي لما بدا كالهلال في الشّفق
يهتزّ كالغصن في غلائله ويرشق القلب منه بالرّشق
قلت له مذ بدا يعاتبني ويمزج الهزل منه بالحنق
لو أنصف الدّهر يا شفا سقمي ما بتّ أرعى النّجوم من أرق
لكن عسى عطفة نسرّ بها فيها سرور القلب والحدق

ووقف على ذلك السيد الجليل الأيّد المثيل [1] عبد الله بن محمد البحراني [2] فقال معارضا ، ودخل هذه الحلبة راكضا :

أبدر تمّ بدا من الأفق عمّ جميع البلاد بالشّرق
أم سبت مهجتي محاسنه يختال في ناعم من السّرق [3]

---

(1) الأيد : القوي ، المثيل : الفاضل ، في ك (السيد الأيد الجليل ، العديم المثيل).

(2) هو السيد عبد الله بن محمد بن عبد الحسين آل شبانة البحراني ، ترجم له المؤلف في سلافة العصر / 505 ، وعنه أخذ المحبي في نفحة الريحانة 3 / 191 والبلادي في أنوار البدرين / 97 ولم أقف على تاريخ وفاته.

(3) السرق (محركة) : الحرير (معرب).

أصـــبـح مـن لـبســـه وطـلـعـتـه يجـمـع بـين الصّـــبـاح والـغســـق
أبــرزه لــبســـه السّـــواد لــنــا بمـنـظـر ذي مـلاحـة أنـق
قـد قـلـت لمـا رأيـت صـــورتـه ســـبـحـان بـاري الأنـام مـن عـلـق
وبـتّ حـتّى الصّـــبـاح في أرق مـن همـيـان بـه وفي قـلـق [1]
أعـيـذه والـقـوى تـؤمّـنـه بـالـنّـاس مـن شـرّهـم وبـالـفـلـق

ثم كتب إليّ صاحبنا العفيف في عشر المحرّم من السنة المذكورة.

بـروحـي مجـبـولا عـلـى الحـبّ قـلـبـه وقـلـبي مجـبـول عـلـى حبّـه طـبـعـا [2]
يـراقـب أيّـام المحـرّم جـاهـدا ويـطـلـع بـدرا والمحـبّ لـه يـرعـى
كـلـفـت بـه أيّـام دهـري مـنصـف ووجـه الصّـبـا طلق وروض الهوى مرعى [3]
جنينـا ثمـار الوصـل من دوحـة المنى ليـالي لا واش ولا كـاشـح يسـعى [4]
فـلـلـه أيّـام تـقـضّـت ولم تـعـد يحـقّ لـعـيـني أن تسـحّ لهـا دمـعـا

فأجبته بقولي :

بنفســي من قـد حـاز لون الـدّجى فرعـا ولم يـكـفـه حـتّى تـقـمّصـه درعـا
بـدا فـكـأنّ الـبـدر في جـنـح لـيـلـة تعلّم منه كيف يصـدعه صـدعـا [5]
نمـتـه لـنـا عشـر المحـرّم جـهـرة يـطـارح أتـرابـا تـكـنّـفـنـه سـبـعـا
تـبـدّى عـلـى رزء الحسـين مسـوّدا ومـا زال يـولي في الهـوى كـربـلا مـنـعـا
وقـد سـلّ من جفنيـه عضـبـا مهنّـدا كـأنّ لـه في كـلّ جـارحـة وقـعـا
هنـاك رأيـت الموت تـنـدى صـفـاحـه ونـاعي الأسـى وأهـل الهوى صـرعى

---

(1) في ك (في ضجر) مكان (في أرق).

(2) في سلافة العصر / 241 ونفحة الريحانة 4 / 142 (طبعه) مكان (قلبه).

(3) في ك (وروض المنى).

(4) في ك (فنلنا) مكان (جنينا) و (الهوى) مكان (المنى).

(5) كذا ورد عجز البيت في الأصـول ، وسـلافة العصـر ونفحة الريحانة ، وورد في ديوان المؤلف هكذا : (أو الشمس وافت في ظلام الدجى تسعى).

وما أحسن قول أحمد بن عيسى الهاشمي من ولد الواثق يعتذر من الكحل (في يوم عاشوراء) [1].

لم أكتحل في صباح يوم اهريق فيه دم الحسين
إلّا لحزني وذاك أنّي سوّدت حتى بياض عيني

وقال آخر في ذلك :

ولائم لام في اكتحالي يوم أراقوا دم الحسين
فقلت دعني أحقّ عضو فيه بلبس السّواد عيني [2]

(غريبة) [3] : نقلت من خط الصلاح الصفدي ما صورته : ذكر أنّ رجلا من أهل نجران احتفر حفيرة فوجد فيها لوحا من ذهب مكتوب فيه :

أيرجو معشر قتلوا حسينا شفاعة جدّه يوم الحساب [4]

كتب ابراهيم خليل الله ، فجاؤا باللوح إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** فقرأه ثم بكى وقال من آذاني في عترتي لم تنله شفاعتي. انتهى.

(ومن العجيب ما حكاه) [5] أبو العباس ثعلب عن (السدّي) [6] قال : أتيت كربلاء أبيع بضاعة لي فعمل لنا شيخ من طيء طعاما فتعشينا عنده ، فذكر قتل الحسين (ع) فقلت : ما شرك في قتله أحد إلّا مات بأسوء ميتة ، فقال لي رجل : ما أكذبكم يا أهل العراق ، فأنا ممن شرك في ذلك ، فلم يبرح حتى دنا من

---

(1) لا وجود لهذه الجملة في ك ، وأ.

(2) يأتي في ك بعد هذا البيت ما نصه (وهذا خلاف الأنصاف والمروءة). وأخالها زيادة من الناسخ.

(3) الكلمة غير موجودة في (ك) و (أ).

(4) يأتي في ك بعد هذا البيت ، البيت الآتي :

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

(5) في ك (وحكى) وفي أ(ومنه ما حكاه).

(6) في ع (السعدي) وفي ك (الأسدي) وفي أ(السندي) والتصويب من مجالس ثعلب /. 339 تراجع ترجمة السدي المتوفى سنة 128 هـ. في الأعلام 1 /. 313

المصباح وهو يتقد بنفط ، فذهب ليخرج الفتيلة باصبعه فأخذت النار فيها ، فذهب يطفئها بريقه فأخذت النار بلحيته ، فعدا إلى الفرات فألقى نفسه في الماء فرأيته على الماء كأنه فحمة.

ويحكى عن الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسين بن النحاس [1] أنه سئل يوم عاشوراء من قبل الملك الناصر صاحب حلب [2] أن يذكر شيئا في مقتل الحسين (ع) فصعد المنبر وجلس طويلا لا يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى وأنشأ يقول وهو يبكي :

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصّور في (نفخ الخلائق) ينفخ [3]

لا بدّ أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين مضمّخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي ، وصعد الصالحية وهو يبكي فأبكى الناس.

قال ابن الأثير : كان الشيخ عماد الدين المذكور فاضلا عالما فصيحا مشتغلا بالمطالعة والعبادة ، ومما أنشد عند موته :

ما زلت تدأب في التّاريخ مجتهدا حتّى رأيتك في التّاريخ مكتوبا

ومن بديع المراثي في الحسين (ع) قول أبي الحسين الجزار (*) :

ويعود عاشوراء يذكرني رزء الحسين فليت لم يعد

يوم سبيلي حين أذكره أن لا يدور الصّبر في خلدي

فليت عينا فيه قد كحلت ممرود لم تخل من رمد [4]

---

(1) لعله عبد الله بن الحسن بن الحسن (وقيل الحسين) المعروف بالشيخ عماد الدين ابن النحاس المتوفى سنة 654 هـ (ذيل مرآة الزمان 1 / 24 ، والنجوم الزاهرة 7 / 35). في ك (أبو عبد الله ابن الحسين).

(2) هو يوسف (الناصر) بن محمد بن الظاهر غازي آخر ملوك بني أيوب. توفي سنة 659 هـ (الأعلام 9 / 330).

(3) في ك (يوم القيامة ينفخ) وفي أ(في حشر الخلائق ينفخ).

(4) في ك (في مرود لم تنج من رمد) والأبيات في أعيان الشيعة 52 / 45 والغدير 5 / 427 وفي رواية البيت الثالث اختلاف.

ويـدا بـه لشـــماتـة خضـــبـت مـقـطـوعـة مـن زنـدهـا بـيـدي
أمّـا وقـد قـتـل الحسـين بـه فـأبـو الحسـين أحـقّ بـالـكـمـد

وخمس أبو الحسين المذكور قصيدتي أبي تمام (*) يرثي بهما الحسين (ع) [1] أحدهما قوله (أصم بك الناعي وإن كان أسمعا) [2] والأخرى قوله (أي القلوب عليكم ليس ينصدع) [3] وخمس الموفق الحكيم المعروف بالورك [4] الدريديّة مرثية فيه (ع).

قال رزق الله بن عبد العزيز الحنبلي [5] : اجتمعت بملحد المعرّة ـ يعني أبا العلاء المعري فقال لي : ما سمعت في مراثي الحسين بن علي **عليهماالسلام** مرثية تكتب ، فقلت قال بعض فلاحي بلادنا أبياتا تعجز عنها شيوخ تنوخ فقال : وما هي؟ قلت : قوله [6] :

---

(1) أي جعلهما في رثاء الحسين.

(2) مطلع قصيدة في رثاء أبي نصر محمد بن حميد ، وتمامه (وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا).

(3) مطلع قصيدة في رثاء أبي نصر أيضا وتمامه (وأي نوم عليكم ليس يمتنع) وجاء في ك بعد ذلك ما يأتي . وأخاله زيادة من الناسخ ـــ (وكان الجزار بديع الشعر رقيقة ، توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة عن إحدى وسبعين سنة واسمه يحيى بن عبد العظيم).

(4) جاء في ك (وخمس الموفق الحكيم المعروف بالوزان ، الدريدية ونقلها إلى رثاء الحسين **عليه‌السلام** واسمه عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصاري ، وهو شاعر مقتدر على النظم ، طبيب بعلبكي توفي سنة سبع وسبعين وستمائة). أقول : أخال هذا الايضاح زيادة من الناسخ. وللحكيم المذكور ترجمة في فوات الوفيات 1 / 481 وفيه (المعروف بالوزان) وشذرات الذهب 5 / 358 وفيه (المعروف بالورل) وجاء في حاشية الشذرات (في تاريخ الاسلام للذهبي : المعروف بالورن).

(5) هو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز الحنبلي المتوفى سنة 488 هـ عن سن عالية (طبقات الحنابلة 2 / 250). في ك (الحلبي) مكان (الحنبلي).

(6) الأبيات في معجم الأدباء 11 / 110 ، والحماسة البصرية 1 / 200 منسوبة لدعبل الخزاعي. وساق محقق الحماسة قصة رزق الله مع أبي العلاء ، واثبت الاختلافات في الرواية.

رأس ابن بنت محمد ووصيّه للمسلمين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع لا جازع فيهم ولا مسترجع
أيقظت أجفانا وكنت أنمتها وأنمت عينا لم تكن بك تهجع
ما روضة إلّا تمنّت أنّها لك تربة ولخطّ قبرك موضع

(**انتهى من شرح الرسالة للصفدي**) [1]

وقلت أنا أرثيه **عليه‌السلام** في عشر محرم سنة اثنتين وسبعين :

نفسي الفداء لمقتول على ظمأ لم يسق إلّا بحدّ البيض والأسل
نفسي الفداء له من هالك هلكت له الهداية من علم ومن عمل
قرّت به أعين الأعداء شامتة واسخنت أعين الأملاك والرّسل
أفديه مستنصرا قد قلّ ناصره ومستضاما قليل الخيل والخول
يا صرعة صرعت شمّ الأنوف بها وأصبح الدين منها عاثر الأمل
قد أثكلت بضعة المختار فاطمة وأوجعت قلب خير الأوصياء علي

وأبدع الشريف الرضي (رض) (*) في قوله من قصيدة يرثيه (ع) :

كأنّ بيض المواضي وهي تنهبه نار تحكّم في جسم من النّور [2]

قال الصلاح الصفدي في شرح الرسالة : قيل لابن الجوزي وهو على المنبر : كيف يقال : أنّ يزيد قتل الحسين (ع) وهو بدمشق ، والحسين قتل بكربلاء من أرض العراق؟ فأنشد :

سهم أصاب وراميه بذي سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك

والبيت للشريف الرضي من قصيدته التي أوّلها :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أنّ القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلّا مدمعي الباكي

---

(1) سقطت هذه الجملة من (ك).

(2) يأتي في ك بعد هذا البيت (وقال الشريف المرتضى أخوه من قصيده فيه **عليه‌السلام**

فيا لها مظلمة أولجت على رسول الله في القبر

وهذه لمعة من بوارق البيان ، وزهرة من حدائق الاحسان ممّا جمعته يد الأقلام ، وابتزّته من صحائف الأعلام ، آثرت إثباتها في هذا التأليف تأليفا للنفوس ، وتفويفا للطروس ، وقد قيل : الشعر مؤتلف العقول ، ومختلف النقول ، وكفاه شرفا وفخرا (أنّ من الشعر لحكمة ، وأن من البيان لسحرا). ولله درّ ابن أوس الطائي [1] حيث يقول :

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بناة المعالي أين تبنى المكارم [2]

فمن ذلك لمعن بن أوس المزني [3].

لعمرك ما أهويت كفّي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة من الدّهر إلّا قد أصابت فتى قبلي

بعض العرب :

ولا يشتكيني الجار إن سار ظاعنا ولا يشتكي ابن العمّ غيبي ومشهدي

وإنّي إن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

أبو الأسود الدؤلي (*) ينصح ابنه [4] :

العيش لا عيش إلّا ما اقتصدت فإن وتسرف وتقتر لقيت الضرّ والعطبا

والعلم زين وتشريف لصاحبه فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

لا خير فيمن له أصل بلا أدب حتى يكون على ما زانه حدبا

---

(1) هو أبو تمام الطائي وقد مرّ ذكره.

(2) في ك (بغاة المعالي) وفي الديوان (بغاة الندى من أين تؤتى المكارم) وأثبت المحقق في الهامش روايات أخرى.

(3) معن بن أوس : شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام. عمر طويلا وتوفي في زمن عبد الله بن الزبير (أنوار الربيع 2 / 84). عدد الأبيات في أمالي القالي 2 / 234 خمسة ، وفي الصناعتين / 55 : أربعة.

(4) في ديوان أبي الأسود (المستدرك) سبعة أبيات من القصيدة ، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

كم من حسيب أخي عيّ وطمطمة فدم لدى القوم معروف إذا انتسبا
في بيت مكرمة آباؤه نجب كانوا رؤوسا فأمسى بعدهم ذنبا
وخامل مقرف الآباء ذي أدب نال المعالي بالآداب والرّتبا
أصخى عزيزا عظيم الشّأن مشتهرا في خدّه صعر قد ظلّ محتجبا
العلم كنز وذخر لا نفاد له نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثمّ يسلبه عمّا قليل فيلقى الذلّ والحربا
وحامل العلم مغبوط به أبدا ولا يحاذر منه الفوت والسّلبا
يا جامع العلم نعم الذّخر تجمعه لا تعدلنّ به درّا ولا ذهبا

أحمد بن أبي طاهر [1] في التوسط بين الدنيا والدين (وقضاء حق كل منهما في حينه) [2].

ركبت الصّبا حتى إذا ما وني الصّبا نزلت من التّقوى بأكرم منزل
ودين الفتى بين التّماسك والنّهى ودنيا الفتى بين الهوى والتّغزّل

المعرّي (*) :

لئن كنت تهوى العيش فابغ توسّطا فعند التّناهي يقصر المتطاول [3]
توقّى البدور النّقص وهي أهلّة ويدركها النّقصان وهي كوامل

آخر وأجاد ما شاء :

وما الدّهر إلّا شرّه قبل خيره ولذّات عيش غالبتها الفجائع
فثغر بأيّام المسرّة ضاحك وطرف بأيّام الحوادث دامع

بعض المحبين [4] :

أحسنت ظنّك بالأيّام تلبسها ولم تخف غبّ ما يأتي به القدر

---

(1) هو أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور. توفي سنة 280 هـ (أنوار الربيع 2 / 110).
(2) سقطت هذه الجملة من ك ، وسقط اسم أحمد بن أبي طاهر من (أ).
(3) في شروح سقط الزند 2 / 552 (وإن) مكان (لئن).
(4) في ك (وقول الاخر) وفي أ(غيره).

وســـالمتـك اللّـيـالي فـاغـتررت بهـا وعنـد صـــفو اللّيـالي يحـدث الكـدر

محمود الوراق [1] :

أظـــهـــروا لـــلـــنّـــاس سمـــتـــا وعـــلـــى المـــنـــقـــوش داروا

ولـــه صـــــلّـــوا وصـــــامـــوا ولـــه حـــجّـــوا وســـــاروا

لـــو رأوه في الـــثّـــريّـــا ولهـــم ريـــش لـــطـــاروا

أنشد أبو عبيدة [2] لبعضهم :

أدن الرّجـال عـلـى مـقـدار ســعـيـهـم وأعـط كـلّا بمـا أبـلـى ومـا صـــبرا

واعزم على الرّأي مـا صـــحّـت مـذاهبـه ومـا تحـيّرت فـيـه فـاتـبـع الأثـرا [3]

ابن الرومي [4] :

تـغـنـون عـن كـلّ تـقـريـظ بمـجـدكـم غنى الظّبـاء عن التكحيـل بـالكحـل

تـلـوح في دول الاســـلام دولـتـكـم كـأنّهـا مـلّـة الاســـلام في المـلـل [5]

آخر وأجاد [6] :

ســـفى الله أيّـامـا لـنـا لســـن رجّـعـا علينـا وعصـــر العـامريّـة من عصـــر

لـيـالي أعـطـيـت الصّـــبـابـة مـقـودي تمـرّ الـلّـيـالي والشّـــهـور ولا أدري

---

(1) هو محمود بن حسن الوراق المتوفى نحو سنة 225 هـ (الأعلام 8 / 42. في (غيره وأجاد).

(2) لعله أبو عبيدة النحوي (معمر بن المثنى) المتوفى سنة 209 هـ (الأعلام 8 / 191).

(3) صدر البيت في ك هكذا (وثق بمن لك قد صحت مذاهبه).

(4) هو علي بن العباس المتوفى ســنة 283 هـ (أنوار الربيع 1 / 149). لا وجود للبيتين في ك. ووردا في أبدون عزو.

(5) في الديوان (اختيار كامل كيلاني) . دولة الأيام دولتكم).

(6) لا وجود للبيتين في ك ، وهما لمجنون ليلى من قصيدة مثبتة في ديوانه ، ووردا في سمط اللالي / 763 منسوبين لطلحة بن أبي الصفي الفقعسي ، وفي أمالي القالي 2 / 139 ، والبصائر والذخائر 3 / 283 بدون عزو.

بعضهم [1] :

لأشـــكـرنّـك مـعـروفـا هممـت بـه أنّ اهـتـمـامـك بـالمـعـروف مـعـروف
ولا ألـومـك إن لم يمضـــه قـدر فـالشـيء بـالـقـدر المحتوم مصـروف

بعض الأعراب في الأدعية المرفوعة [2] :

وســـاريـة لم تســـر في الأرض تبـتغي محـلّا ولم يـقـطـع لهـا السّـــير قـاطـع
ســرت حيـث لم تحـد الركـاب ولم تنخ لـورد ولم يمـنـع لهـا السّـــير مـانـع
تســـير وراء اللّـيـل واللّـيـل ســـاقـط بـأرواقـه فـيـه سمـير وهـاجـع
إذا وردت لم يـــردد الله وردهـــا عـلـى أهـلـهـا والله راء وســـامـع
نـفـتّـح أبـواب السّـــمـاوات دونهـا إذا قـرع الأبـواب مـنـهـنّ قـارع
وإنّي لأرجـــو الله حـــتّى كـــأنّمـــا أرى بجـمـيـل الـظّـنّ مـا الله صـــانـع

فائدة : ذكر يعقوب بن اسحاق [3] في رسالة مقصورة على أوقات الدعاء : أن القمر وعطارد إذا قارنا كوكب كفّ الخضيب كان وقتا للدعاء بالغنى والشجاعة ، ويستجاب له في وسـط عمره ، وإن قارنه زحل بسـعود سـعد الداعي من أوسـط عمره إلى آخره وإن كان منحوسـا افتقر وضـعف ، وذلك أن من الأدعية ما ينعكس على داعية فيصـير إلى ضـد ما يرتجيه. كما يحكى أن أهل طبرستان أجدبوا أيام الحسن بن زيد العلوي [4] فخرجوا يستسقون ، فما فرغوا من دعائهم إلا والحريق مضطرم في أطراف البلد حتى قال أبو الغمر [5] :

---

(1) البيتان في نهاية الأرب للباهلي (لعله محمد بن حازم) ، وفي التذكرة السـعدية / 358 لعمر بن المبارك المتوفى نحو سنة 200 هـ (الأعلام 9 / 259).

(2) الأبيات في زهر الاداب 2 / 842 لمحمد بن حازم ، وفي العقد الفريد 3 / 227 ، وعيون الأخبار 2 / 286 بدون عزو. وفي رواية بعضها اختلاف.

(3) لعله يعقوب بن اسحاق الكندي الفيلسوف المشهور. له رسالة في التنجيم ، واختيارات الأيام ، توفي سنة 260 هـ (الأعلام 9 / 255).

(4) هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل العلوي مؤسّس الدولة العلوية بطبرستان.
توفي سنة 270 هـ (الأعلام 2 / 206).

(5) هو أبو الغمر الطمري (ولعله الطبري) واسمه هارون بن موسى (وقيل ابن محمد)

خرجوا يسألون صوب غمام فأجيبوا بصيّب من حريق
جاءهم ضدّ ما تمنّوه إذ جاءت قلوب محشّوة بفسوق

قال يعقوب : فإن قارن كف الخضيب المشتري نصر الداعي على ظالمه ، وإن قارنته الزهرة أجيبت دعوته في المال [1] وقل عمره ، وإن قارنه المريخ كان الداعي وقت دعائه ظالما من يدعو عليه وحرم الإجابة.

قلت : وهذا لا استبعاد فيه ، فقد ذهب طائفة كثيرة من الأوائل والأواخر إلى أنه إذا استعين في الأدعية بأشكال من الكواكب في أوقات مسعودة كانت مؤثرة ومرجوة ، وهو كما يستعان فيها بتجريد الفكر وتصحيح النية والبروز في الجماعات إلى الصحاري وغير ذلك ، والله أعلم ، وما أحسن قول القائل :

أتلعب بالدّعاء وتزدريه فسوف يبين ما صنع الدّعاء [2]
سهام اللّيل لا تحظي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء [3]

عروة بن حزام [4] :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هما شفياني [5]
فما تركا من سلوة يعرفانها ولا رقية إلّا بها رقياني
فقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمّنت منك الضّلوع يدان

آخر :

أعلّل بالمنى قلبي لأنّي أذود الهمّ بالتّعليل عنّي

كاتب الحسن بن زيد العلوي المتقدم ذكره (معجم الشعراء / 463).

(1) في ك (في الحال) مكان (في المال).

(2) في ك (أتهزأ بالدعاء).

(3) في ك (وللأمد انتهاء).

(4) هو عروة بن حزام العذري. توفي في أوائل أيام معاوية (أنوار الربيع 1 / 377) لم يرد اسمه في (أ).

(5) الأبيات من قصيدة في الأغاني 23 / 298 وفوات الوفيات 2 / 73 والشعر والشعراء / 519 وفي رواية بعض أبياتها اختلاف.

وأعلم أنّ وصلك لا يرجّى ولكن لا أقلّ من التّمنّي

مجنون ليلى (*) :

أمانيّ من ليلى حسان كأنّما سقتني بها ليلى على ظمأ بردا [1]

منى إن تكن حقّا تكن غاية المنى وإلّا فقد عشنا بها زمنا رغدا [2]

بعضهم :

قلت لعبدي إذ عصاني ولم ينته عمّا كنت أنهاه

عصيت مولاك اقتداء به كما عصى مولاك مولاه

الشيخ كمال الدين ميثم البحراني [3].

جمعت فنون العلم أبغي بها العلى فقصّر بي عمّا سموت به القلّ

فقد بان لي أنّ المعالي بأسرها فروع وأنّ المال فيها هو الأصل

قلت : بل الأمر أعظم من هذا ، فقد قيل : ربّما يقدح في عدالة الرجل اقلاله ، كما يحكى أنّ محمد بن عبد الرحمن بن الأسود شهد عند ابن أبي ليلى [4] شهادة فتوقّف في شهادته مع أنّه نسيج وحده في زمانه. قال سفيان بن عيينة [5] فناظرته وقلت : أنىّ لك بالكوفة رجل مثله؟ قال : هو كذلك إلّا أنّ الذي شهد به عظيم ، والرجل فقير. فأعجبني هذا من قوله.

وقال آخر من أبيات [6] :

ذريني للغنى أسعى فإنّي رأيت الناس شرّهم الفقير [7]

---

(1) لا وجود لهذين البيتين في ديوان مجنون ليلى ، ووردا في (أ) بدون عزو.

(2) في ك (منى أن تكن حقا فقد أحسن المنى).

(3) هو ميثم بن علي البحراني (كمال الدين) ، توفي سنة 679 هـ (معجم المؤلفين 13 / 55). والبيتان في أنوار البدرين / 68 وفي روايتهما اختلاف.

(4) هو محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى القاضي. توفي سنة 148 هـ (الأعلام 7 / 60).

(5) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي. توفي سنة 198 هـ (الأعلام 3 / 159).

(6) هو عروة بن حزام ، وقد تقدم ذكره.

(7) في الديوان (دعيني) مكان (ذريني).

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير

القاضي أبو الحسن [1] :

ما تطعّمت لذّة العيش حتّى صرت في وحدتي لكتبي جليسا
ليس شيء أجلّ عندي من نفسي فلم أبتغ سواها أنيسا
إنّما الذلّ في مداخلة النّاس فدعها وعش كريما رئيسا

بعضهم وأجاد :

أناس أمنّاهم فنمّوا حديثنا فلمّا كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا
ولم يحفظوا الودّ الذي كان بيننا ولا حين همّوا بالقطيعة أجملوا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر [2] :

خليليّ لو كان الزّمان مساعدي وآذيتماني لم يضق عنكما صدري
فأمّا إذا كان الزّمان معاندي فلا تصبحا عونا عليّ مع الدّهر

وهو من قول بعضهم : ليسع الرجل في اخوانه أن يكون جارا [3] لهم من الحدثان ، فإن لم يمكنه فليجهد أن لا يكون عليهم مع الزمان. ولي قريب من هذا المعنى من قصيدة :

الله لي من واعد وعده كذب وفي الانجاز من يلمع
يمنعني العذب ولما يزل ينهلني بالآجن المنقع
مال مع الدّهر على روعتي ولم يمل يوما عليه معي [4]

المبرّد [5] :

---

(1) هو القاضي أبو الحسن الجرجاني (علي بن عبد العزيز) وقد تقدم ذكره.

(2) هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي المتوفى سنة 300 هـ (الأعلام 4 / 350). في أ(عبد الله بن طاهر). والبيتان في حماسة الظرفاء 1 / 206 لعبيد الله بن عبد الله المذكور ، وفي البصائر والذخائر 4 / 99 بدون عزو. وفي روايتهما اختلاف.

(3) الجار . هنا . بمعنى المستجير ، والمجير ، والمقصود المعنى الثاني.

(4) في ك (على لوعتي).

(5) هو محمد بن يزيد المبرد. توفي سنة 285 هـ (معجم المؤلفين 12 / 114) وفي ك (لبعضهم).

وكـنـت إذا الصّـــديـق أراد غـيـظـي وأشـــرقـني عـلـى حـنـق بـريـقـي [1]

غـفـرت ذنـوبـه وكـظـمـت غـيـظـي مخـافـة أن أعـيـش بـلا صـــديـق [2]

وهو من قول بشّار [3] :

إذا أنـت لم تشـــرب مرارا على القـذى ظمئـت وأيّ النّـاس تصـفو مشـــاربـه

فـعـش واحـدا أوصـــل أخـاك فـإنّـه مـقـارف ذنـب مـرّة ومجـانـبـه [4]

ولكثّير (*) في المعنى [5].

ومن لم يغـمّض عينـه عن صـــديقـه وعن بعض مـا فيـه يمـت وهو عـاتـب

ومـن يـتـتـبّـع جـاهـدا كـلّ عـثـرة يجـدهـا ولم يسـلم لـه الـدّهر صـــاحـب

ومن كلام ابراهيم النخعي [6] : لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب فإنه يركبه اليوم ويتركه غدا. وهو من الحديث (اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه ، وانتظروا فيئته).

ويحكى أن أخوين في السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره؟ فقال : أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت ، وأنا حقيق بأن آخذ بيده ، وأتلطّف له في المعاتبة ، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه. وفي شـــعر عمر بن أبي ربيعة (*) زيادة على هذا ، وهو :

وخـلّ كـان عـين الـنّصـــح مـنّي ومســـتـمـعـا لمـا أهـوى سمـيـعـا [7]

---

(1) البيتان في الصداقة والصديق / 31 بدون عزو.

(2) في الصداقة والصديق (عفوت ذنوبه وصفحت عنه).

(3) توفي بشار بن برد سنة 167 هـ. وقيل 168 (أنوار الربيع 1 / 36 ، ومقدمة ديوان بشار).

(4) في الديوان (مفارق) مكان (مقارف) ولكل من الروايتين وجه مقبول أوضحه المحقق.

(5) البيتان في الصداقة والصديق / 244 مع اختلاف في الرواية والترتيب ، وما أثبته المؤلف موافق لرواية حماسة البحتري /. 72

(6) هو ابراهيم بن يزيد النخمي فقيه تابعي توفي سنة 96 هـ (الأعلام 1 / 76).

(7) رواية البيت في الديوان هكذا :

وخـل كـان عـين الـنصـــح مـني إذا نـظـرت ومســـتـمـعـا سمـيـعـا

أطاف بغيّه فنهيت عنها وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدي فلمّا أبى وعصى أتيناها جميعا

وممّا يستملح من كلام بعضهم : يستحب من الخريف الخصب ، ومن الربيع الزهر ، ومن الجارية الملاحة ، ومن الغلام الكيس ، ومن الصاحب الرفق ، ومن القريب الانبساط ، ومن الغريب الانقباض.

وقيل : لا شيء أسوأ لصحبة الأحرار من هتك أعراضهم ، فإن الحرّ لا يرضيه عن عرضه شيء.

وعلى ذلك يحكى : أنّه كان للفضل بن يحيى كاتب نافذ في صناعته ، فبينما الفضل يوما قد خلا به في بيت يملي عليه كتابا ويخفض صوته ، فاحتاج الكاتب أن يستفهمه ما يخفى عليه من كلامه فاستعاده حرفين ، فشق ذلك على الفضل ، فقال للكاتب : كم تستعيدني يا بيطار؟ وكان الفضل صلفا تيّاها بنفسه. فلما قال للكاتب هذا القول ألقى قلمه في دواته وأطبقها وقال للفضل : بهذا تعاشر الأحرار ، وهذا ما كنت أرجو منك؟ فندم الفضل على ما كان منه وقال له : عد إلى كتابك. فحلف الكاتب بأغلظ الأيمان لا يكتب له أبدا ، فقلق الفضل من ذلك ، ودار بينهما كلام كثير ، وتأدّى الخبر إلى يحيى بن خالد ، فركب من ساعته حمارا مصريا كان يركبه من داره إلى دار ولده. فما شعر الفضل إلّا أن هجم عليه. فلما رأى أباه قام وقعد يحيى في الصدر ، وجلس الفضل ، ثم أمر الكاتب أن يجلس وقال : فبماذا أنتم؟ فقال الفضل : كنت أملي عليه كتابا ، قال : بلغني الخبر ، وصدق الرجل. فإنّ الملوك لا يخدمون إلّا للاعتزاز بهم ، فإذا أسمعت كاتبك مثل هذا الكلام وأوغرت صدره فبماذا تجتلب نصحه؟ ثم أقبل على الكاتب وقال : قد أعفيناك مما كرهت ، وأمرنا لك بمائة ألف درهم. فاختلف إلينا لنشغلك في بعض الأعمال التي تصلح لها.

بعضهم [1] :

إن كنت تبغي العلم أو أهله وشاهدا يخبر عن غائب

---

(1) البيتان في العقد الفريد 2 / 311 من دون عزو ، وفي روايتهما اختلاف.

فـاعـتـبر الأرض بـأسمـائـهـا واعـتـبر الصّـاحـب بـالصّـاحـب

آخر :

ألا ربّ بـاغـي حـاجـة لا يـنـالهـا وآخـر قـد تـقضـى لـه وهـو آيـس

يـكـدّ لهـا هـذا وتـقضـى لـغـيره وتـأتي الـذي تقضـى لـه وهو جـالس

آخر :

إذا كـان جـدّ المـرء في الأمـر مـقـبـلا تـأتّـت لـه الأشـيـاء من كـلّ جـانـب

وإن أدبـرت دنـيـاه يـومـا تـوعّـرت عـلـيـه فـأعـيـتـه وجـوه المـطـالـب

آخر :

نهـايـة أهـواء الـقـلـوب بـعـيـدة ومـن دونهـا لـلـحـادثـات مصـائـد

فنـحـن كـطير يـبـتـغي الحـبّ مسـرعـا ودون الـذي يـبـغـيـه فـخّ وصـائـد

لطيفة : قيل : أنّ عصـفورا بلغ إلى فخّ موضـوع في التراب ، فقال له العصـفور : من أنت؟ قال : عبد من عبيد الله ، قال : فلم جلست على التراب؟ قال : تواضعا ، قال : فلم انحنى ظهرك؟ قال : من خشـية الله ، قال : فلم شـددت وسـطك؟ قال : للخدمة ، قال : فما هذه القصبة؟ قال : هذه عصـاي أتوكأ عليها ، قال : فما هذه الحبّة؟ قال حبّة أتصـدّق بها ، فقال العصـفور : أتجوّز لي أن التقطها؟ فقال الفخّ إن احتجت فافعل ، فدنا العصـفور من الحبّة فانطبق عليه الفخ وأخذ بحلقه ، فقال العصـفور : حيق حيق ، فقال له الفخّ : قل ما شئت فما لخلاصـك من سـبيل ، فقال العصـفور : اللهم إني أعوذ بك من شـخص ذاك قوله وهذا فعله.

لبعضهم :

يجـدّ بـنـا الـزّمـان ونحـن نـلـهـو ولا نـدري مـتى يـرد الحـمـام

ويخـدعـنـا الهـوى في ظـلّ عـيـش يمـرّ بـنـا كـمـا مـرّ الـغـمـام

كـركـب سـفـيـنـة في لجّ بحـر تسـيـر بهـم وهـم فـيـهـا نـيـام

آخر :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا ووجهك أضحى ساهم اللّون أغبرا
فقلت لها يا سلم من كان همّه كهمّي ولاقى ما لقيت تغيّرا

آخر [1] :

خليليّ لو أنّ همّ النّفوس دام عليها قليلا قتل [2]
ولكنّ شيئا يسمّى السّرور قديما سمعنا به ما فعل

آخر :

باتا بأنعم عيشة حتّى بدا صبح تألّق كالأغرّ الأشقر [3]

آخر :

لا ذا أتى طلبا ولا ذا يأتلي هربا فذا تعب وذا مكدود [4]
كاللّيل يطلبه النّهار بضوئه وظلامه بضيائه مطرود

آخر :

ما للمعيل وللمعالي إنّما يسعى اليهنّ الدّؤوب الفارد [5]
كالشّمس في أفق السّماء تجوبها وأبو البنات النّعش فيها راكد [6]

آخر :

قد كنت أعذل في الصّبابة أهلها فاعجب لما تأتي به الأيّام
واليوم أعذرهم وأعلم إنّما سبل الغواية والهدى أقسام

آخر :

---

(1) البيتان في التمثيل والمحاضرة 104 منسوبان لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي.
(2) في التمثيل والمحاضرة (ثلاثا) مكان قليلا).
(3) في ك (وجه الصباح كما الأغر الأشقر).
(4) يأتلي : يقصر ، ويبطئ.
(5) الفارد : المنفرد.
(6) في ك (وأبو بنات النعش).

بلوت أخلّاء هذا الزّمان فأقللت بالهجر منه نصيبي
وكلّهم إن تأمّلتهم صديق العيان عدّو المغيب

آخر [1] :

الصبر مفتاح ما يرجّى وكلّ صعب به يهون
فاصبر وإن طالت اللّيالي فربّما أمكن الحرون
وربّما نيل باصطبار ما قيل هيهات لا يكون

بعضهم :

ما عضّني زمن إلّا لبست له ثوبا من الصّبر لا يبلى على الزّمن
إنّ الكريم إذا نابته نائبة ألفيته وجميل الصّبر في قرن

حاضر ، مولى يحي بن عبد الله بن الحسن [2] :

تعوّدت مسّ الضرّ حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصّبر [3]
وصيّرني يأسي من النّاس واثقا بحسن صنيع الله من حيث لا أدري
ووسّع صدري بالأذى كثرة الأذى وقد كنت أحيانا يضيق به صدري
إذا أنا لم أقبل من الدّهر كلّ ما تكرّهت منه طال عتبي على الدهر

التهامي [4] :

لله درّ الحادثات فإنّها صدأ اللّئام وصيقل الأحرار [5]
ما كنت إلّا زبرة فطبعني سيفا وأطلق حدّهنّ غراري [6]

---

(1) البيتان في الفرج بعد الشدة / 461 بدون عزو.

(2) تراجع الأبيات وأخبار الشاعر في الأغاني 4 / 94 ومقاتل الطالبيين / 425 و 622 ، ووفيات الأعيان 1 / 202 ، وعمدة الطالب / 230 ، وأعيان الشيعة 18 /. 366

(3) في ع ، وك (حسن البلاء) والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية المصادر التقدم ذكرها.

(4) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي المتوفى سنة 416 هـ (أنوار الربيع 1 / 62).

(5) في الديوان (النائبات) مكان (الحادثات).

(6) في الديوان / 63 (هل كنت) و (وأطلق صرفهن).

آخر [1] :

لقد فارق الناس الأحبّة قبلنا وأعيا دواء الموت كلّ طبيب [2]

فربّ كئيب ليس تذري جفونه وربّ كثير الدّمع غير كئيب [3]

آخر :

لقد خفت حتّى لو تمرّ حمامة لقلت عدوّ أو طليعة معشر

فإن قيل خير قلت هذي خديعة وإن قيل شرّ قلت حقّ فشمّر

مجنون ليلى (*) [4].

قضى الله حبّ العامرية فاصطبر عليه وقد تجري الأمور على قدر

ألا ليقل من شاء ما شاء إنّما يلام الفتى فيما استطاع من الأمر

محبّ آخر :

وإنّي لصبّار على كلّ حادث ولكنّني من خطّة البين أجزع

ومن ذا يطيق الصّبر بعد خليله ومن ذا لوشك البين لا يتضعضع

آخر :

إذا ما دجاها اللّيل كنّا كواكبا جلوسا حواليها وكانت هي البدر [5]

سهاد ولكن دونه لذّة الكرى وليل ولكن دون إشراقه الفجر

آخر [6] :

لحى الله من لا ينفع الودّ عنده ومن حبله إن مدّ غير متين

---

(1) هو أبو الطيب المتنبي وقد تقدم ذكره.

(2) في الديوان (وقد فارق).

(3) في الديوان (ليس تندى)

(4) لا وجود للبيتين في الديوان ، ووردا في ك ، وأ بدون عزو.

(5) في ك (كن) مكان (كنا).

(6) في عيون الأخبار 3 / 78 (وأنشد ابن الاعرابي).

ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهد خوّان لكلّ أمين [1]

ابن نباتة السعدي (*) :

فلا تحقرنّ عدوّا رماك وإن كان في ساعديه قصر
فإنّ السيوف تحزّ الرّقاب وتعجز عمّا تنال الأبر [2]

آخر [3] :

وقائل فيم تهاجرتما فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس أشكال والّاف

آخر [4] :

لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتّى يذلّوا ـــ وإن عزّوا ـــ لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة لا صفح ذلّ ولكن صفح أحلام

آخر [5] :

فإن لا أكن أهلا لما أنت أهله فأنت أمير المؤمنين له أهل
ففضلك أرجو لا البراءة إنّه أبى الله إلّا أن يكون لك الفضل

قيس بن الخطيم [6] :

وما بعض الإقامة في ديار يهان بها الفتى إلّا عناء [7]

---

(1) لا وجود لهذا البيت في عيون الأخبار ، وجاء بمحله البيت الآتي :

ومن هوان يحدث له الغير نظرة يقطع بها أسباب كل قرين

(2) في الديوان 2 / 72 (فإن الحسام يحز) و (يعجز).

(3) البيتان في نهاية الارب 2 / 136 بدون عزو أيضا.

(4) البيتان في البصائر والذخائر 2 / 835 منسوبان للنظام (ابراهيم بن سيار) المتوفى سنة 231 هـ (الأعلام 1 / 32) ، ووردا في العقد الفريد 2 / 379 ، وعيون الأخبار 1 / 287 بدون عزو. وفي رواية البيت الثاني اختلاف.

(5) لا وجود لهذين البيتين في ك.

(6) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ، شاعر جاهلي (الأعلام 6 / 55).

(7) البيتان الأول والثاني من قطعة وردت في ديوانه وفي روايتهما اختلاف طفيف ، أما

يـريـد المـرء أن يـعـطـى مـنـاه ... ويـأبى الله إلّا مـا يشـاء
وكـلّ شـديـدة نـزلـت بـقـوم ... سـيـأتي بـعـد شـدّتها رخـاء

ابن المعتز [1] :

مـن لي بـقـلـب صـيـغ من صـخـرة ... في جسـد مـن لـؤلـؤ رطـب
جـرحـت خـدّيـه بـلـحـظـي فـمـا ... بـرحـت حـتّى اقـتـصّ مـن قـلـبي

آخر [2] :

وجـاؤا إلـيـه بـالـتّـعـاويـذ والـرّقـى ... وصـبّـوا عـلـيـه المـاء من ألم النّـكـس
وقـالـوا بـه مـن أعـين الجـنّ نـظـرة ... ولـو عـلـمـوا قـالـوا بـه نـظرة الأنـس [3]

المجنون (*) :

لـقـد هـتـفـت في جـنـح لـيـل حمـامـة ... عـلـى فـنـن تـبـكـي وإنّي لـنـائـم [4]
كـذبـت وبيـت الله لو كـنـت عـاشـقـا ... لمـا سـبـقـتـني بـالـبـكـاء الحـمـائـم

وله :

إلى الله أشـكـو نيّـة شـقّـت العصـا ... هـي الـيـوم شـتّى وهـي أمـس جمـيـع [5]
مضـى زمن والنـاس يسـتشـفعون بي ... فـهـل لي إلى لـيـلـى الـغـداة شـفـيـع

بعضهم وأجاد [6] :

البيت الثالث فلا وجود له في الديوان غير أنه مثبت له في حماسة أبي تمام شرح المرزوقي 3 /. 1188

(1) هو عبد الله بن المعتز المتوفى سنة 296 هـ (أنوار الربيع 1 / 89) ولا وجود للبيتين في ديوانه طبع دار صادر ببيروت ، ووردا في ك ، وأ بدون عزو.

(2) هو مجنون ليلى والبيتان في ديوانه.

(3) في الديوان (ولو عقلوا) وفي أنوار الربيع 2 / 206 (ولو صدقوا).

(4) في الديوان (وهنا) مكان (تبكي).

(5) النية . هنا . الرحلة البعيدة ، يريد بشق العصا : التفرق.

(6) الأبيات لقيس بن ذريح المتوفى سنة 68 هـ (الأعلام 6 / 55) وهي موجودة في الأغاني 9 / 194 ، ونهاية الأرب للنويري 2 / 160 ، وفي الرواية والترتيب اختلاف.

لقد كان حسب النّفس لو دام وصلنا ولكنّما الدّنيا متاع غرور
وكنّا قديما قبل أن تظهر النّوى بأحسن حال غبطة وسرور
فما برح الأيّام حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

أبو فراس [1] :

فإنّك لا عدمتك العلى أخ لا كأخوة هذا الزّمان
كسونا أخوّتنا بالصّفاء كما كسيت بالكلام المعاني

فائدة : تارة يجعل المعنى ظرفا للّفظ من جهة كونه حاصرا له آخذا بجوانبه ، بحيث لا يخرج ظرف من اللفظ عن ظرف المعنى وهو أمر شائع. يقال : هذه الآية في حكم كذا ، وهذا الكتاب في علم كذا ، وهذه القصيدة في مدح فلان. وتارة يجعل اللفظ ظرفا للمعنى كما يقال : هذه المسألة في كتاب كذا ، وهو ظاهر حتى شاع أنّ الألفاظ أوعية للمعاني وقوالب لها ، وبمنزلة الكسوة واللباس كما في بيتي أبي فراس المذكورين والله أعلم.

بعضهم :

وأصعب ما يلقى الفتى في زمانه إذا حلّ نجم السّعد في برج نحسه
أقامته في أرض من لا يودّه وصحبته مع غير أبناء جنسه

آخر [2] :

وإذا تكامل للفتى من عمره خمسون وهو إلى التّقى لا يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له متأخّر عنها ولا متزحزح
وإذا رأى الشّيطان صورة وجهه حيّى وقال فديت من لا يفلح

آخر [3] :

---

(1) هو الحارث بن سعيد بن حمدان (أبو فراس). قتل سنة 357 هـ (أنوار الربيع 1 / 119).

(2) الأبيات في نفحة الريحانة 2 / 204 ويلوح لي أنها منسوبة إلى المؤلّف فضل الله المحبي المتوفى سنة 1082 هـ . وفي روايتها اختلاف.

(3) البيتان في نفحة الريحانة 4 / 354 ، وقد نسبهما المؤلف لابن المعتز ولا وجود لهما

عـجـبـا لـلـزّمـان في حـالـتـيـه وبـلاء دفـعـت مـنـه إلـيـه
ربّ يـوم بـكـيـت مـنـه فـلـمّـا صـرت في غـيره بـكـيـت عـلـيـه

ابن النجم الواعظ :

تحسّـن بـأفـعـالـك الصّـالحـات ولا تحـفـلـنّ بحسـن جـلـيـل
فـحسـن الـنّسـاء جمـال الـوجـوه وحسـن الـرّجـال وجـوه الجـمـيـل

آخر [1] :

وكـنـت مـتى أرسـلـت طـرفـك رائـدا [لـقـلـبـك] يـومـا أتـعـبـتـك المـنـاظـر[2]
رأيـت الـذي لا كـلّـه أنـت قـادر عليـه ولا عن بعضـه أنـت صـابر

بعض الأعراب :

أبـعـد عشـر قـد خـلا بـعـدهـا عشـرون عـامـا بـعـدهـا عشـر
تـلـهـو عـن الجـدّ وتـرضـى الهـوى وتـطّـبـيـك الـكـاعـب الـبـكـر

الحمداني الموصلي [3] :

يـا رسـول الحـبـيـب ويحـك قـد أل قى عليـك الحبيـب حسـنـا وطيبـا
ولـقـد كـدت أن أضـمّـك لـولا أن يسـيء الـظّـنـون أو يسـتريـبـا
خـيـفـة أن يـكـون ذاك كـمـا قـي ل قـديمـا صـار الرّسـول حبيبـا [4]

بعضهم :

في ديوانه وورد البيت الثاني في التمثيل والمحاضرة / 106 ونهاية الارب 3 / 102 منسوب لابن بسام (علي بن محمد البغدادي) المتوفى سنة 302 هـ (أنوار الربيع 2 / 372).

(1) البيتان في عيون الأخبار 4 / 22 منسوبان لامرأة.

(2) في ع (لعينك) وفي ك ، وأ (لعينيك) مكان (لقلبك) والتصويب من عيون الأخبار.

(3) الأبيات في يتيمة الدهر 1 / 105 (لحمدان الموصلي).

(4) في ك (خيفة أن تقول أنت كما قيل). وورد البيت في (أ) منفصلا عن البيتين السابقين ، ومصدرا بكلمة (آخر) وقافيته (صار الحبيب رسولا).

عـلـى هـذه الأيّـام مـا تسـتـحـقّـه فكم قـد أضـاعـت منـك حقّـا مؤكّـدا
فلو أنصـفـت شـادت محلّك بالسّـهـا علوّا وصـاغت شـسـه نعلك عسـجدا

ابن خفاجة (*) :

لـقـد جـبـت دون الحـيّ كـلّ تـنـوفـة يحوم بهـا نسـر السّـمـاء علـى وكـر
وخضـت ظلام اللّيـل يسـودّ فحمـه ودسـت عرين اللّيـث يتظر عن جمر
وجـئـت ديـار الحـيّ والـلـيـل مـطـرف منـمـنـم ثـوب الأفـق بـالأنجـم الزّهـر [1]
أشـيـم بهـا بـرق الحـديـد وربّمـا عـثـرت بـأطـراف المثـقّـفـة السّـمـر [2]
فـلـم ألـق إلّا صـعـدة فـوق لامـة فقلـت قضـيـب قـد أطـلّ علـى نهـر
ولا شمـت إلّا غـرّة فـوق شـقـرة فقلـت حبـاب يسـتـديـر علـى خمـر
وسـرت وقـلـب الأفـق يخـفـق غـيرة هنـاك وعين النّجم تنظر عن شـزر [3]

أبو البركات علي بن الحسين الديباج [4] :

وأغـيـد سـحّـار بـألحـاظ عـيـنـه حـكـى لي تـثـنّـيـه مـن الـبـان امـلـودا
سـلـخـت بـذكراه عن الصّـبح ليلـة أسـامره والـكـأس والـنـاي والـعـودا [5]
تـرى أنجـم الجـوزاء والـنّـجـم فـوقـهـا كـبـاسـط كـفّـيـه لـيـقـطـف عـنـقـودا

القاضي علي بن الحسين بهراة :

ربّمـا قصّـر الصّـديـق المـقـلّ عـن حـقـوق بهـنّ لا يسـتـقـلّ

---

(1) في الأصول (مطرق) مكان (مطرف) والتصويب من الديوان.

(2) في الديوان (الردينية السمر).

(3) في الديوان (فسرت وقلب البرق).

(4) هو أبو البركات علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد الجور بن الحسين بن علي الخارصي ابن محمد الديباج بن الإمام جعفر الصادق ، كان في زمن السلطان محمود بن سبكتكين المتوفى سنة 421 هـ (يتيمة الدهر 4 / 420 وعمدة الطالب / 201 والدرجات الرفيعة / 500).

(5) في يتيمة الدهر والدرجات الرفيعة (أنادمه والكأس).

ولـــئـــن قـــلّ نـــائـــل فـــوفـــاء في وداد وخـــلّـــة لا يـــقـــلّ [1]
أرخ ســـــترا عـــلـــى حـــقـــارة ودّي هتـك ســـتر الصّـــــديق ليس يحـلّ [2]

الأحوص [3] :

إذا رمـت عنهـا ســلوة قـال شـــافع مـن الحـبّ مـيـعـاد الســـلـوّ المـقـابـر
ســـيبقى لها في مضـــمر القلب والحشـــا ســـرائر حـبّ يوم تبلى السّـــرائر [4]

مما استملح من كلام الصابي [5] في الخضاب قوله :

خضـــاب تـقـاسـمـنـاه بـيـني وبـيـنـهـا ولكنّ شـــأني فيـه خـالـف شـــأنهـا
فـيـا قـبـحـه إذ حـلّ مـنّي بمـفـرقـي ويـا حســـنـه إذ حـلّ مـنـهـا بـنـانهـا
وســـحقـا لـه في لمتي حيـث شـــانهـا وأهـلا بـه في كـفّـهـا حـيـث زانهـا

وأطرب لقول مهيار الديلمي (*) في الشيب :

قـالـوا المشـــيـب لـبســـة جـديـدة خـذوا الجـديـد واســـتردّوا لي الخـلـق

جميل بثينة [6] :

وإنّي لأرضـــى مـن بـثـيـنـة بـالّـذي لـو أبصـــره الـواشـــي لـقـرّت بـلابـلـه
بـلا وبـألّا أســـتـطـيـع وبـالمـنى وبـالـوعـد حـتّى يســـأم الـوعـد آمـلـه
وبـالـنظرة العـجلى وبـالحول تـنقضـــي أواخـــره لا نـلـتـقـي وأوائـلـه

---

(1) ورد البيت في ك هكذا :

فـلـئـن قـل نـائـل ثم وفى بـوداد فـخـلـه لا تـقـل

(2) سقط هذا البيت من ك ، وأ.

(3) هو عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بالأحوص ، توفي سنة 105 هـ (أنوار الربيع 2 / 238).

(4) في الديوان (ستبقى لها) و (سريرة ود) وما أثبته المؤلف موافق لرواية أخرى أثبتها المحقق في الهامش).

(5) هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي ، وقد تقدم ذكره.

(6) هو جميل بن عبد الله العذري (صاحب بثينة). توفي سنة 82 هـ (أنوار الربيع 1 / 66).

بعضهم :

لم يعطك الله ما أعطاك من نعم إلّا لتوسع من يرجوك إحسانا

وإن منعت فأخلق أن تصادفها تطير عنك زرافات ووحدانا

آخر [1] :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن فيك ما يعجبك

فليس على المجد والمكرمات إذا شئتها حاجب يحجبك

آخر [2] :

يخوض أناس في الكلام ليوجزوا وللصّمت في بعض الأحايين أوجز

إذا كنت عن أن تحسن الصّمت عاجزا فأنت عن الابلاغ في القول أعجز

النعيمي [3] :

إذا أضمأتك أكفّ اللّئام كفتك القناعة شبعا وريّا [4]

فكن رجلا رجله في الثّرى وهامة همّته في الثّريّا

أبيّا بنفسك عن باخل تراه بما في يديه أبيّا [5]

فإن إراقة ماء الحياة دون إرقة ماء المحيّا

آخر [6] :

---

(1) في أ(للخفاجي) والصحيح أن الخفاجي أوردهما في ريحانة الألباء 1 / 53 ضمن كلام منثور في تقريظ شخص ولم ينسبهما لنفسه. وفي روايته لهما اختلاف.

(2) لا وجود للبيتين في ك.

(3) هو أبو الحسن النعيمي ، ترجم له الثعالبي في تتمة اليتيمة 1 / 61 ترجمة مختصرة ، وفيها من هذه الأبيات الأول والثاني والرابع. وورد البيتان الأول والثاني في معاهد التنصيص 2 / 78 ، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي / 26 ، وأنوار الربيع 1 / 121 من دون عزو.

(4) في المصادر المذكورة عدا تتمة اليتيمة (إذا أعطشتك).

(5) انفردت (ك) بإيراد هذا البيت.

(6) البيتان من قصيدة وردت في الصداقة والصديق / 52 من دون عزو ، ونسبهما ابن

إذا خنتم بالغيب عهدي فما لكم تدلّون إدلال المقيم على العهد
صلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصله وإلّا فصدّوا وافعلوا فعل ذي الصّدّ [1]

آخر :

ما للمطيع هواه من الملام ملاذ
فاختر لنفسك هذا مجد وهذا التذاذ

ابن النجم الواعظ [2] من أبيات كتبها إلى بعض أصدقائه :

فلا تحسبوا أنّي تغيّرت بعدكم عن العهد لا كان المغيّر للعهد
غرامي غرامي والهوى ذلك الهوى ووجدي بكم وجدي وودّي لكم ودّي
وليس محبّا من يدوم وداده مع الوصل لكن من يدوم مع الصّدّ

آخر :

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت أباطح من أجفاننا ومسايل
فمن واقف في جفنه الدمع واقف ومن سائل في خدّه الدمع سائل
تأسّ بيأس أو تعزّ بسلوة فما لك في أطلال عزّة طائل

عمر بن الوردي [3] :

ودّعتني يوم الفراق وقالت وهي تبكي من لوعة الافتراق
ما الذي أنت صانع بعد بعدي قلت قولي هذا لمن هو باق

بعضهم [4] :

خلكان في وفيات الأعيان 1 / 425 إلى الخليع (الحسين ابن الضحاك) المتوفى سنة 250 هـ (أنوار الربيع 4 / 60).

(1) في ك (ذي البعد) وفي أ(ذي العهد) وفي الصداقة والصديق (ذي الضد).

(2) في ك (أبو النجم الواعظ) وفي أ(الواعظ).

(3) هو أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي المتوفى سنة 749 هـ (أنوار الربيع 1 / 312).

(4) البيتان في التمثيل والمحاضرة / 85 ونهاية الأرب 3 / 88 منسوبان لمحمود الوراق.

الدهر لا يبقى على حالة لكنّه يقبل أو يدبر
فإن تلقّاك بمكروهه فاصبر فإنّ الدّهر لا يصبر

آخر [1] :

لقد شاع عنّي حبّ ليلى وإنّني كلفت بها شوقا وهمت بها وجدا
ووالله ما حبّي لها جاز حدّه ولكنّها في حسنها جازت الحدّا

الصفيّ الحليّ [2] **رحمه‌الله** :

إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفّتي فلا أشبهته راحتي في التّكرّم [3]
ولا كنت ممّن يكسر الجفن في الوغى إذا أنا لم أغضضه عن كلّ محرم [4]

الشريف الرضي (*) :

أأبقى كذا نضو الهموم كأنّما سقتني اللّيالي من عقابيلها سمّا [5]
وأكبر آمالي من الدّهر أنّني أبيت خليّا لا سرورا ولا همّا
أكرّ أحاديث المطامع ضلّة والقح من هذي المنى أبطنا عقما
فلا جامعا مالا ولا مدركا علا ولا محرزا أجرا ولا طالبا علما
بأرجوحة بين الخصاصة والغنى ومنزلة بين الشّقاوة والنّعمى

وله **رحمه‌الله** :

عارضا بي ركب الحجاز أسائل هـ متى عهده بأيّام جمع [6]

وفي رواية نهاية الأرب اختلاف في الروي على النحو الآتي (لا بد أن يقبل أو يدبرا) و (فاصبر فإن الدهر لن يصبرا).

(1) في أ(لمجنون ليلى) ولا وجود للبيتين في ديوانه.

(2) هو عبد العزيز سرايا الحلي السنبسي (صفي الدين) ، توفي سنة 750 هـ . وقيل 752.
(معجم المؤلفين 5 / 247).

(3) في الديوان (لئن) مكان (إذا).

(4) في الديوان (عن رأي محرم).

(5) العقابيل : الشدائد ، في الديوان (أأبقى على نضو الهموم).

(6) جمع : المزدلفة بمكة المكرمة. في الديوان (متى عهده بسكان سلع).

واستملّا حديث من سكن الخي ... ف ولا تكتباه إلّا بدمعي
فاتني أن أرى الدّيار بطرفي ... فلعلّي أرى الدّيار بسمعي

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (*) :

إلى كم يكون العتب في كلّ ساعة ... وكم لا تملّين القطيعة والهجرا [1]
رويدك إنّ الدّهر فيه كفاية ... لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

بعضهم وأجاد :

كأنّك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تر بالباقين ما يصنع الدّهر
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم ... عفاها فحالت بعدك الريح والقطر
وهل أبصرت عيناك حيّا بمنزل ... على الدّهر إلّا بالعراء له قبر
فلا تحسبنّ الوفر مالا جمعته ... ولكنّ ما قدّمت من صالح وفر
مضى جامعو الأموال لم يتزوّدوا ... سوى الفقر يا بوسى لمن زاده الفقر
فحتّام لا تصحوا وقد قرب المدى ... وحتّام لا ينجاب عن قلبك السّكر
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر
فصبرا على الأيّام حتّى تجوزها ... فعمّا قليل بعدها يحمد الصّبر

آخر [2] :

غنينا بنا عن كلّ من لا يريدنا ... وإن كثرت أوصافه ونعوته
ومن صدّ عنّا حسبه الصّدّ والقلى ... ومن فاتنا يكفيه أنّا نفوته

الجمال ابن نباتة (*) :

يا مشتكي الهمّ دعه وانتظر فرجا ... ودار وقتك من حين إلى حين [3]
ولا تعاند إذا أمسيت في كدر ... فإنّما أنت من ماء ومن طين [4]

---

(1) البيتان في أمالي المرتضى 1 / 119 منسوبان للشاعر المذكور ، وفي (أ) لعبد الله بن طاهر.
(2) لا وجود للبيتين في ك ، وأ.
(3) لا وجود لهذين البيتين في ك.
(4) في الديوان (أصبحت) مكان (أمسيت).

ابن القوبرة :

كانت دموعي حمرا قبل بينهم فمذ نأوا قصّرتها لوعة الحرق [1]

قطفت باللّحظ وردا من خدودهم فاستقطر البعد ماء الورد من حدقي

ليلى في صاحبها المجنون [2] :

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقلّ فراجع

بنفسي من لا يستقلّ بنفسه ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع [3]

بعضهم :

وأعظم من مصيبات اللّيالي عليّ وصرفها خلّ خؤون

يقابلني بودّ مستميل وبين ضلوعه داء دفين

إذا عاتبته أبدى مجونا وعلّة ذلك العتب المجون

ومن جعل السّموم له دواء فيوشك أن يفاجئه المنون

أهمّ بأن أحابيه فيأبى عليّ الأصل والعرض المصون [4]

أرى هزل الكلام المحض غثّا فيردعني عن الغثّ السّمين [5]

ولم يزعج زئير اللّيث حلمي أيزعجه من الذرّ الطّنين

الوزير أبو محمد ابن سفيان [6] :

نفسي فداك وعدتني بزيارة فظللت أرقبها إلى الامساء

---

(1) لا وجود لهذين البيتين في (ك) ووردا في (أ) من دون عزو.

(2) هي ليلى بنت المهدي صاحبة قيس بن الملوح. توفيت حوالي سنة 68 هـ (الأعلام 6 / 117).

(3) في الأغاني 2 / 71 (برحله) مكان (بنفسه).

(4) حاباه : مال إليه ، ولعلها (أحاييه) أي أكلفه الحياء. في ع وك (أجابئه) وهو تصحيف.

(5) لا وجود لهذا البيت والذي بعده في ك.

(6) أبو محمد بن سفيان : من وزراء آل ذي النون بالأندلس في القرن الخامس الهجري (قلائد العقيان / 141). لا وجود للبيتين في ك.

حتى رأيت قسيم وجهك طالعا لم تنتقصه غضاضة استحياء

ابن بقيّ (*) :

وفتية لبسوا الأدراع تحسبها سلخ الأراقم إلّا أنّها رسب [1]

إذا الغدير كسا أعطافهم حلقا طفا من البيض في هاماتهم حبب

ابن باجة [2] :

ايه يا برق قل حديثك عن نجد فحيّا الإله عنّي نجدا [3]

قل وإن كان ما تحدّثه زورا فقد تبرد الأسى والوجد

وله [4] :

أسكّان نعمان الأراك تيقّنوا بأنّكم في ربع قلبي سكّان

ودوموا على حفظ الوداد فإنّنا بلينا بأقوام إذا أتمنوا خانوا

سلوا اللّيل عنّي مذ تناءت دياركم هل اكتحلت لي فيه بالنّوم أجفان

وهل أغمدت يوما سيوف بروقكم فكانت لها إلّا جفوني أجفان

الإمام الخطيب جنيد بن الحسن [5] :

روت لي أحاديث الغرام صبابتي بإسنادها عن بانة العلم الفرد

وحدّثني مرّ النّسيم عن الحمى عن الدّوح عن وادي الغضا عن ربى نجد

عن الدمع عن جفني القريح عن الجوى عن الشّوق عن قلبي الجريح عن الوجد [6]

---

(1) رسب (بضمتين) : ثابتة.

(2) هو أبو بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسي. توفي سنة 533 ه (أنوار الربيع 4 / 119)

(3) في ع وك (أين) مكان (أيه) والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية قلائد العقيان / 315.

(4) الأبيات في نفح الطيب 7 / 24 ، أنوار الربيع 4 / 119 وفي رواية بعضها اختلاف.

(5) في أنوار الربيع 2 / 262 (جند بن الحسن).

(6) سقط هذا البيت من (ع).

بـأنّ غـرامـي والأســـى قـد تـلازمـا فـلـن يـبرحـا حـتّى أوسّـــد في لحـدي

نصر ابن أحمد الخبز أرزي [1] :

كـم أنـاس وفـوا لـنـا حـين غـابـوا وأنـاس جـفـوا وهـم حضّـــار

عـرضـــوا ثم أعـرضـــوا واســـتـمـالـوا ثم مـــالـــوا وجـــاوروا ثمّ جـــاروا

لا تـلـمـهـم عـلـى الـتّـجـنّي فـلـو لم يـتـجـنّـوا لم يحســـن الاعـتـذار

الشريف الرضي (*) [2] :

أتـرى الأحـبـاب مـذ ظـعـنـوا وجـدوا لـلـبـين مـا أجـد

كـان زورا بـعـد بـيـنـهـم وغـــرورا ذلـــك الجـــلـــد

ومـــتى يـدن الـنّـــوى بهـم يجـدوا قـلـبي كـمـا عـهـدوا [3]

(الأخ الأعز المحرز من فنون المجد ما غلا وعز ، محمد يحيى (*) أحياه الله أعزّ محيا ، وكتبه إلى بعض أصدقائه) [4] :

ومـا شـــوق مقصـــوص الجنـاحين مقعـد على الضـــيم لم يقـدر على الطّيران [5]

بـأكـثـر مـن شـــوقـي إلـيـك وإنّمـا رمـاني بهـذا الـبـعـد عـنـك زمـاني

وله بلّغه الله أمله :

تجـمّـل فـمـيـعـاد الـفـراق قـريـب ومـا نحـن إلّا ســـاعـة ونـغـيـب

هـو الـدهـر لا يـنـفـكّ يـا أمّ مـالـك تـذوب لمـا يـبـديـه مـنـه قـلـوب

---

(1) هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري الخبزأرزي. توفي سنة 317 هـ ـــ وقيل غير ذلك (أنوار الربيع 4 / 98).

(2) لا وجود لهذه الجملة والأبيات التي بعدها في ك.

(3) في الديوان (ومتى تدن الديار بهم).

(4) جاء في ك عوضا عن الجملة المحصورة بين القوسين (الأخ محمد يحيى).

(5) في ك (عن العيش) مكان (على الضيم) وما أثبته موافق لرواية سلافة العصر / 36.

سلوا كلّ ذي حبّ أدام له الهوى وساعفه فيما أراد حبيب
ألا لا سقى الله الحمائم إنّها إذا ما شدت دمعي لهنّ مجيب
تذكّرني أيّام ظمياء والصّبا فأطرب شوقا والكريم طروب
أبيت وفي قلبي من الشّوق لوعة وكم مثلها عندي جوى وكروب

وله [1] :

ألا لا سقى الله البعاد وجوره فإنّ قليلا منه عنك خطير
ووالله لو كان التّباعد ساعة وأنت بعيد أنّه لكثير

وله [2] :

ألا يا زمانا طال فيه تباعدي أما رحمة تدنو بها وتجود
لألقى الّذي فارقت أنسي مذ نأى فها أنا مسلوب الفؤاد فريد

وله [3] :

تذكّرت أيّام الحجيج فأسبلت جفوني دماء واستجدّ بي الوجد
وأيّامنا بالمشعرين التي مضت وبالخيف إذ حادي الرّكاب بنا يحدوا

وله :

من لصبّ متيّم فصم الدّهر صبره
يتمنّى وصال من قد قضى الله هجره [4]
قل لأسماء كلّ ما كان أرضاك سرّه
كيفما شئت فأمري فلقد حزت أمره
هو ذاك الذي يرى حبّك الدّهر فخره
وطر ما انقضى ولكنّ قضى فيه عمره

---

(1) لا وجود لهذين البيتين في ك ، ووردا في (أ) من دون عزو.

(2) لم ترد هذه القطعة في ك ، ووردت في (أ) غير منسوبة.

(3) وهذه القطعة أيضا لم ترد في ك ، وجاءت في (أ) من دون عزو.

(4) في ع ، وأ (تقصد الدهر هجره).

بعضهم وهو لسان حال مؤلفه عفي عنه

ألف الهموم أضالعي فألفتها بعد التّنافر والكريم ألوف

ليس البلاء لديّ صنفا واحدا عندي بحمد الله منه صنوف

وما أحسن قول الصلاح الصفدي [1] وهو جدير (بأن ينشد بعد ذلك) [2] :

بالله لا تأسف على فائت مضى ولا تيأس من اللّطف [3]

فقد يجيء الدهر مع قسوة فيه بوقت ليّن العطف

وعلى هذا فلنذكر هنا حكاية غريبة فيها تسلية لكلّ مهموم ، وتعزية لكلّ مغموم ، تؤكّد التمسّك بألطاف الله ، وتنهى عن اليأس من روح الله ، والحامل على تخصيصها بالذكر (ما منيت) [4] به في هذه المدة عموما ، وهذه السنة خصوصا وهي سنة أربع وسبعين ، سنة تأليف هذه الرحلة من أنواع الهموم الممضّة ، والغموم الممرضة التي شرح بعضها الرضي (*) **رحمه‌الله** تعالى بقوله من قصيدة :

أتاني وممطول من النّأي بيننا قوارص تنبو بالجفون عن الغمض [5]

ومولى ورى قلبي بلذعة ميسم من الكلم العوراء مضّا على مضّ

فعذرا لأعدائي إذا كان أقربي يشذّب من عودي ويعرق من نحضي

إذا ما رمى عرضي القريب بسهمه عذرت بعيد القوم امّا رمى عرضي

---

(1) هو صلاح الدين الصفدي (خليل بن أيبك) المتوفى سنة 764 هـ (معجم المؤلفين 4 / 114).

(2) في ك (أن يتبع السابق).

(3) في ك (ماض) مكان (مضى).

(4) في ك (ما بليت).

(5) الغمض (بالضم) : النوم.

لقد أمست الأرحام منّا على شفا فأخلق بمشف لا يعلّل أن يقضي
على غصص لو كنّ في البدر لم ينر وفي العود لم يورق وفي العضب لم يمض [1]

وجملة الحال الآن كما قال الصلاح الصفدي (*) :

لزمت بيتي مثل ما قيل لي ولم أعاند حادث الدّهر
وليس لي درع يردّ الرّدى أستغفر الله سوى صبري
علما بأن البؤس رهن الرّخا وغاية العسر إلى اليسر
وقد يسلّ السيف من غمده ويخرج الدرّ من البحر
وتبرز الصّهباء من دنّها ويرجع النّور إلى البدر

والحكاية المشار إليها هي هذه :

حدّث بعضهم قال : كنت بالشام متصرّفا في بعض أعمال السلطان فلم تنبسط يدي لأداء ما لزمني من المال ، فأدخلت في الحبس ـ حبس الجرائم ـ فرأيت ساعة حصلت فيه من عظيم بلاء أهله ، وقبح صورهم ، وموحش أمرهم ، وما كانوا عليه من وسخ الثياب ونتن الروائح ما حبّب إليّ الموت ، وصارت بليتي بواحدة عشرا ، واندفعت أبكي وأنتحب وأدعو وأتململ. فأقبل عليّ أهل السجن وقالوا : ما لك تبكي؟ أما لك بنا أسوة وفينا سلوة؟. فلم يكن قولي إلّا أن قلت : اعذروني فإنني ما ألفت الشقاء وبؤس المعيشة ، ورزاحة الحال وسوء المسكن. فقالوا : ولا كلّنا أهل بلاء وشقاء ، وفينا ضروب من المترفين المنعّمين ، وفينا من ظلمه خمارويه بن طولون [2] على غير حقّ ليقتلنا ، وعساك حبست على مال ، وأخذت بواجب. ثم انّ في هذا الحبس واحدا من أولاد الأمراء لم نر أنبل منه ولا أجلّ ولا أرفع محلا ، ولا أسوء .

---

(1) في الديوان (وفي السهم لم يمض).

(2) هو خمارويه بن أحمد بن طولون من ملوك الدولة الطولونية. قتل سنة 282 هـ (الأعلام 2 / 370).

مع ذلك ـ حالا. وهو مع ذلك لا يألو فرحا ونشاطا ، فهلمّ إليه فعساك يخفّ عنك بعض ما ضـــقت به ذرعا ، فقمت منهم وانتهيت إلى شـــاب في عنقه جامعة ، وفي يديه غلّ ، وفي رجليه أربعة أزواج قيود ، فإذا هو جميل الوجه طيّب الرائحة ، وبين يديه غلام معه زكرة [1] شراب يسقيه منه ويجعل القدح على فم هذا الشاب فيكرع الفتى منه ، فإذا استوفى الشراب تغنّى بهذا الشعر :

ومـا زلـت أبـكـي بـالـدّيـار وإنّمـا بكـائي على الأحبـاب ليس على الـدّار

قال : فلما رأيت حاله غاظني والله كلّ الغيظ ، وبلغ منّي كلّ مبلغ اسـتنكارا لمثل هذا السرور والابتهاج في حال توجب ضدّ ذلك ، فدنوت منه وقلت : أبو من سرّك الله؟ فقال : أبو الفوارس ، فقلت : ممّن النسـب؟ قال : من صـميم كلب وعزّها وفخرها. فقلت : يا أبا الفوارس ، أما فيك من الرأي ما يفرّق بين النعيم والبؤس ، والرخاء والبلاء؟ أما فيما دفعت إليه من البلاء العظيم ما يصدّك عن الغناء والشراب؟ فتبسّم ضاحكا ثم قال : وهل يجوز أن يكون أعظم ممّا أنا فيه؟ قلت : لا والله ، قال : بلى والله ، فإنّي من غد على ميعاد القتل والصّلب. فلما سمعت منه ما قال هالني الأمر ، وأنسيت ما كنت فيه من استعظام ما رأيت به فقلت : وتراك مع هذا تسيغ الشراب وتستوفي الألحان؟ فقال : (يا بائس) [2] بيني وبين هذا بقية يومي ، وطول ليلتي ، وإلى ذلك يقضـي الله أمورا لا يحصـيها غيره ، ويبدّل أمورا لا يملك تغييرها وتبديلها سـواه ، وما كنت ليطّلع الله عليّ آيسـا من روحه فواق ناقة. (فكأنه) [3] جاءني ما لم أعرفه ، فقلت : اي والله إنّ الأمر الإلهيّ لكذلك. ثم أعرض عني وأخذ في شربه وغنائه ، فلما صلينا الصبح جاءنا السّجان فقال : قد قتل خمارويه وهرب أصحابه ، فاجمعوا لي شـــيئا اخلّ لكم باب الســـجن وأهرب ، فوزعنا له بيننا ألفي درهم ، وهرب في جوف اللّيل ، وفتح باب السـجن. فما بقي أحد إلّا وصـار إلى أهله ونعمته كما كان. ولله درّ القائل :

---

(1) الزكرة (بالضم) : زق صغير للخمر. في ك ، وأ (ركوة) والركوة : إناء صغير للماء.

(2) في ك (يا آيس).

(3) في ك (قال : فكاني).

دع المقاديـر تجـري في أعـنّـتـهـا ولا تـبـيـتنّ إلّا خـالي الـبـال

مـا بـين غـمضـة عـين وانـتـبـاهـتـهـا يـغـيّر الله مـن حـال إلى حـال [1]

ولقتل خمارويه هذا خبر غريب ، وذلك أنه رأى قبل قتله بأيّام في منامه رجلا يشـير إليه بأصـابع يده الخمس ويكرّر ذلك عليه. فاسـتوحش ممّا رأى وقال : هذه مدة عمري إمّا خمسة أيام ، أو خمسة أشهر ، أو خمس سنين فأحضر رجلا يحسن التعبير وقصّ عليه رؤياه. فتخوّفه من التأويل الذي وقع له وقال : لا شـيء عليك وفسّـره بقول الله تعالى في سـورة لقمان من الآية المفردة بالخمسـة الأشـياء التي لم يطّلع عليها أحد من خلقه (**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّـاعَةِ**)[2] فسـرّي عنه ، وأمر للمعبّر بجائزة سـنية. فلما كان بعد ثلاثة أيام رأى أبو الجيش ـ وهو خمارويه المذكور ـ في منامه كأنه قد صعد نخلة ، فلما وصل إلى رأسها أقبل يقوّر جمّارها وقلبها فيرمى به ، حتى بان في النخلة مكان ما تقوّر من قلبها ، وقد صـار في موضـع التقوير دم. واسـتيقظ فقصّ ذلك على هذا المعبّر فقال : خيرا رأى الأمير ، وخيرا يلقاه ، فقال له : أبن على كلّ حال ، فقال : يعفيني الأمير ، فلم يعفه ولجّ في المطالبة بالتفسـير ، فسـأله الأمان على نفسـه وماله ، فأعطاه ذلك ، فقال له : أيّها الأمير إنّي أخاف عليك أن يغتالك بعض خاصّـتك. قال : ومن أين؟ قال : لأنّك أنت النخلة ، وتقويرك بيدك قلبها وهو أفضل ما في جسدك وهو قلبك بأيدي قوم اصطنعتهم وهم غرس يدك ، فاحترس. فلما كان في تلك الليلة وهي الخامسـة من الرؤيا قتله الخدم ذبحا على منامه ، فضـم المنامان والله أعلم.

فائدة : أكثر التعبير للرؤيا إنما يجري على هذا الوجه من الاعتبار بما رأى على طريقة التمثيل. وكثير من معاني القرآن أيضـا جرى على التمثيل والتشـبيه ، وذلك نحو قوله تعالى (**أَنْزَلَ مِنَ السَّـماءِ ماءً فَسـالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّـيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ**)[3] فإنّه على

---

(1) في ك ، وأ (نومة) مكان (غمضة).

(2) الاية (34) من سورة لقمان.

(3) سورة الرعد / 17.

تمثيل العلم بالماء ، والقلب بالأودية والينابيع ، والضـــلال بالزبد. على ما نبّه عليه في آخرها بقوله عزّ من قائل «كذلك يضرب الله الأمثال». والله سبحانه وتعالى أعلم.

وهذه نبذة من شعر الجامع عفا الله عنه. قال في سنة ثلاث وسبعين يمدح أباه مدّ الله ظلّه [1] :

لمن الكتائب في العجاج الأكدر ... يخطرن في زرد الحديد الأخضر

ضربت عليهنّ الرماح سرادقا ... عمدت بساعد كلّ شهم أصعر [2]

والبيض تلمع في القتام كأنّها ... لمع البوارق في ركام كنهور [3]

وصليل وقع المرهفات كأنّه ... رعد يجلجل في أجشّ مزمجر [4]

والرّاية الحمراء يخفق ظلّها ... يهفو عليها كلّ ليث مزئر

والخيل قد حملت على صهواتها ... من كلّ أصيد باسل ذي مغفر

متسربل بالقلب فوق دلاصه ... متلثّم بالنّقع لما يسفر

في موقف كسف الظهيرة نقعه ... فأضاءها بشروق وجه مقمر

يختال في حلق الدّلاص كأنّه ... يختال منها في مفوّف عبقري [5]

من فتية ألفوا الأسنّة والقنا ... فقبابهم قصب الوشيج الأسمر

يقرون بيضهم الرّقاب وينهلوا ... زرق الأسنّة من نجيع أحمر [6]

شادوا عمادهم بكلّ مثقّف ... لدن ومجدهم بكلّ مشهّر

---

(1) لا وجود لهذه القصيدة في (ع) وهي مثبتة في ديوان المؤلف ، وكتابه سلافة العصر / 84.

(2) في الديوان (دعمت) مكان (عمدت).

(3) في ك (تلمع في العظام) والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية الديوان. الكنهور من السحاب : قطع أمثال الجبال ، أو المتراكم منه.

(4) في ك (مجهر) مكان (مزمجر) ، والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية الديوان.

(5) في ك (حلق الدروع) والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية الديوان.

(6) حذف النون من (ينهلون) للضرورة ، وهو وارد في الشعر العربي.

حلّوا من العلياء قمّة رأسها ... حووا البسالة أكبرا عن أكبر [1]

من منهم الملك المهيب إذا بدى ... خضعت له ذلّا رقاب الأعصر [2]

فخر المفاخر والمآثر والمحافل ... والجحافل والعلى والمنبر [3]

القائد الجيش العرمرم معلما ... من كلّ ليث ذي براثن قسور

السائق الجرد المذاكي شزّبا ... تخطو وتخطر بالرّماح الخطّر

الفالق الهامات في يوم الوغى ... والسّمر بين محطّم ومكسّر

والشامخ النّسبين بين ذوي العلى ... والباذخ الحسبين يوم المفخر

والواهب البدرات يتبعها النّدى ... من كفّه بسحاب تبر ممطر [4]

يجلو دجى الآمال منه بنائل ... متلألئ وبصبح جود مسفر

ولكم جلا رهج القتام بباتر ... متألّق وسنان أسمر سمهري

ملك إذا ما جاد يوما أو سطا ... فالخلق بين ممّلك ومعقّر

من دوحة المجد الرّفيع عماده ... والفرع يعرب عن زكيّ العنصر

ما ينقضي يوما شهير نواله ... إلّا وأتبعه بآخر أشهر

هذا الذي صدع القلوب مهابة ... وأذلّ كلّ عملّس وغضنفر

هذا الذي غمر الأنام سماحة ... من جوده الطّامي الجليل الأوفر [5]

هذا الذي حاز المكارم قعّسا ... وسواه يلطم خدّ سبسب أقفر [6]

هذا نظام الدّين وابن نظامه ... نسب يؤول إلى النّبيّ الأطهر

لمعت أسرّة نوره في وجهه ... فازورّ عنها كلّ لحظ أحزر

---

(1) في الديوان (وحووا بسالة أكبر).

(2) في ك (ملوك الاعصر) والمثبت عن (أ) وهو موافق لرواية الديوان.

(3) في الديوان : تقديم الجحافل على المحافل. والمثبت موافق لرواية سلافة العصر / 84.

(4) في الديوان (من جوده) مكان (من كفه). وفي ك (قمطر) مكان (ممطر).

(5) في الديوان (الجليل الابهر).

(6) في الديوان (خد حزن أقفر).

يجلو لنا في حلمه مع حزمه أخلاق أحمد في بسالة حيدر [1]

بينا تراه مصدّرا في دسته ملكا تراه فوق صهوة أشقر

أريب حجر المكرمات وربّها ورضيع ثدي العارض المثعنجر

لله جدّك أيّ مجد حزته فشأوت كلّ مقدّم ومؤخّر

أنت الذي أحرزت كلّ فضيلة ووردت بحر الفضل غير مكدّر

ظمئت أمانيّ الرّجال لدى العلى فوردت منهلها ولما تصدر

واليكها غرّاء قد أبرزتها تجلى بشكرك في نديّ المحضر

أحكمت نظم قريضها فتناسقت كالعقد يزهو في مقلّد جؤذر

يذكو بمدحك نشرها فكأنّني أذكيتها منه بمسك أذفر

ما ضاع نشر ثنائها في مجلس إلّا تفتّق عن ذكيّ العنبر

واسلم على درج المعالي راقيا بأجلّ خبر في الأنام ومخبر [2]

وقال في غرض [3] :

أظننت أنّ الوجد مكتمن وخفيّ سرّك في الهوى علن [4]

أنّى لقلبك أن يقال صحا وثنى جموح ضلاله الرّسن

قد طال مكثك حيث لا فرح يصفو به عيش ولا حزن [5]

وأضرّ قلبك طول مغترب لا منية تدنو ولا وطن [6]

فالام ترضى ـــ لا رضيت ـــ بأن ينمى إليك العجز والجبن

---

(1) في الديوان (من حلمه في حزنه).

(2) في الديوان (بأجل أخبار وأصدق مخبر).

(3) هذه قطعة من قصيدة مثبتة في ديوان المؤلف.

(4) رواية الديوان لصدر البيت هكذا (تبدي السلو وأنت مرتهن).

(5) في الديوان (حيث لا وطر) و (عيش ولا وطن).

(6) عجز البيت في الديوان (لا مسكن يدنو ولا سكن).

فـكـأنّ لا عـرب ولا عـجـم وكـأنّ لا شـام ولا يمـن [1]

أحـلا لـنـفسـك أن يـقـال لهـا هـذا عـلـيّ حـطّـه الـزمـن

حصـل الجـهـول عـلـى مـآربـه ومضـى بـغـير طـلابـه الـقـمـن

حـتّى مـتى قـول ولا عـمـل وإلى مـتى قصـد ولا سـنـن

مـا شـان شـأنـك قـطّ مـنـتـقـص أنـت الـعـلـيّ وذكـرك الحسـن

فـاقـطـع بـرحـلـك حـيـث لا عـتـب واربـأ بـعـرضـك حـيـث لا درن

وافـخـر بسـبـقـك لا بسـبـق أب أو لـيـس أنـت السّـابـق الأرن [2]

أن يـبـل ثـوبـك فـالـنّـهـى جـنـن أو تـود خـيـلـك فـالـعـلى حصـن [3]

لا تـبـتـئـس لمـلـمّـة عـرضـت لا فـرحـة تـبـقـى ولا حـزن

وقال معاتبا [4] :

أتـركـتـني دنـفـا ورحـت مـعـافى نفسـي فـداؤك مـا كـذا من صـافى [5]

هـلّا ذكـرت لـيـالـيـا بـتـنـا بهـا نـرعـى الـنّـجـوم ونـذكـر الألّافـا

كـيـف انـفـرادك بـعـد مـا كـنّـا مـعـا حـاشـا لمـثـلـك يـنـقـض الأحـلافـا

أنسـيـت لا أنسـيـت فضـل صـبـابة كنّـا بهـا نسـتسـعف اسـتسـعـافـا

فـاليوم رحـت وقـد قويـت على الهوى وجـوانحي أمسـت عـلـيـه ضـعـافـا

وألـفـت آنـس مضـجـع مـتـبـوّأ ومضـاجـعي لا تـعـرف إلا يـلافـا [6]

لـو كـنـت تحـفـظ في الهـوى أنصـفـتـني أو كـنـت تـعـرف في الهـوى إنصـافـا

أتـظـلّ تسـقـى في الـغـرام سـلافـة وأظـلّ أسـقـى في الـغـرام دعـافـا

---

(1) لا وجود لهذا البيت في الديوان.

(2) الأرن : النشيط. في الديوان (فخرا فأنت السابق الأرن).

(3) في ك (فالنهى أزر) والمثبت موافق للديوان.

(4) في الديوان (خاطب بها أخاه محمد يحيى). لا وجود لهذه القصيدة في (ع).

(5) في الديوان (مهلا فديتك ما كذا من صافى).

(6) في ك (وألفت أنسأ مضجعا متبوأ) والمثبت موافق لرواية الديوان.

وأبيت في حرّ الصّدود مقاطعا وتبيت في برد الوصال موافق [1]

ما جار من منع الحبيب وإنّما جار الذي قبض الحبيب وحافا [2]

ناصفتني حمل الهوى وتركتني حتّى جملت من الهوى أضعافا

فليهننك اليوم الوصال فإنّني باق وإن أخلفتني إخلافا

وقال [3] :

دعاه على سهل الغرام وصعبه فماذا عليكم إن أضرّ بقلبه

أقلّا عليه في الملام فإنّه يرى الموت أصفى من كدورة خطبه

وليس بمجد يا خليليّ لومه فإنّ الهوى قد سيط منه بلبّه

ولو ذقتما ما ذاق من لاعج الهوى لأيقنتما أنّ العذاب بعذبه

يبيت على جمر الغرام وينطوي وتصبيه ذكرى غور سلع ومن به

يحنّ إلى أوطانه ثمّ ينثني على قلبه كيلا يذوب بكربه

وإن لاح من نجد ومض توقّدت بأحشائه نار الغرام وجنبه

وليس له عن منهج الحبّ منهج وكيف ومهما أو مض البرق يصبه

وقال [4] :

ما بال قلبك لم يزل متأوّها لا الحلم يردعه الغداة ولا النّهى [5]

أأعاد عيد غرامه طير شدا فغذا يحنّ إلى زمان قد زها

ما زاده الواشون عذلا في الهوى إلّا وزاد تولّعا وتدلّها [6]

وتوجّعا وتحزّنا وتململا وتشوّقا وتولّها وتأوّها [7]

---

(1) في الديوان (حر الغرام).

(2) في ك (ما حاف) مكان (ما جار).

(3) لا وجود لهذه القطعة في (ع).

(4) لا وجود لهذه القصيدة في (ع) وهي مثبتة في ديوان المؤلف.

(5) في الديوان (ما بال قلبك لا يزال مولها).

(6) في الديوان (ما زاده اللاحون) و (تولها) مكان (تدلها).

(7) في الديوان (تحرقا) مكان (تولها).

ما أنت أوّل من نأى عن داره ورمت به أيدي النّوى فتولّها [1]

قد آن أن تثني غرامك سلوة وتفيق منه طائعا أو مكرها

أصفا لدمعك أن يبيت مرقرقا وحلا لقلبك أن يظلّ موله

عبثت طروق النّائبات به فلا جزع يؤوّبه ولا صبر وهي

ما إن شددت ورقاء فوق أراكة إلّا وكان له حنين مثلها [2]

أظننت أنّ العهد بعدك موثق والدّار دار والمها تلك المها [3]

قد أخليت تلك الرّبوع وفرّقت تلك الجموع فما البها ذاك البها [4]

أقصر فقد خلت الدّيار فلا هوى يصبى إليه ولا مليح يشتهي [5]

لم تبق إلّا لوعة أو حسرة يمسي بها الصّخر الأصمّ مدلّها

وقال [6] :

ذكر الخيف والحمى وحجونه فذرى دمعه وأبدى مصونه [7]

وأعاد الهوى له عيد وجد منع النّوم طرفه وجفونه

لا تلوموه إن بكى من فراق وأجدّ الأسى عليه جنونه

كلّ صبّ إذا تذكّر يوما هيّج الذكر وجده وشجونه

يا نزولا ببطن مكّة عطفا بمحبّ أبحتم اليوم هونه

مولع بالأسى عزيز تأسّ قرّح الدّمع خدّه وشؤونه

---

(1) في الديوان (فتدلها) مكان (فتولها).

(2) لا وجود لهذا البيت في الديوان.

(3) رواية الديوان لهذا البيت هكذا (لا تحسبن أن المعاهد بالحمى . تلك المعاهد والمها ... الخ).

(4) في الديوان (فلا البهي ولا البها).

(5) لا وجود لهذا البيت في الديوان.

(6) سقطت هذه القطعة من (ع).

(7) في الديوان (بالبكاء جفونه).

ثم إن شـــئتم صـــلوا أو فصـــدّوا مـا عـلـيـه إذا قضـــيـتـم ديـونـه

وقال [1] :

وربّ ســـــاق قـلـبـه قـلـبـه أفـديـه مـن قـاس ومـن ســـــاق

تحـارب الـعشّـــــاق في حـبّـه وقـامـت الحـرب عـلـى ســـــاق [2]

وقال [3] :

أيّ ذنـب في الهـوى قـد أذنـبـه من رأى شـيـئـا عـجيبـا أعـجبـه [4]

مـغـرم إن لاح بـرق شـــاقـه وإذا هـبّ نسـيـم أطـربـه [5]

لا تـلـومـوه عـلـى طـول الأســـى إن بـكـى وجـدا وأبـدى حـربـه [6]

لـيـس مـا يـلـقـاه هـيـنـا في الهـوى فـالهـوى مرقـاه صـعـب العـقـبـه [7]

يـا نـزول الخـيـف مـا ظـرّكـم لـو وصـلـتـم مـن قـطـعـتـم سـبـبـه

مسـتـهـام خـانـه الصّـبر فـمـذ بـعـدت أظـعـانـه مـا قـربـه

شـفّـه الـوجـد وأضـنـاه الأســى ورمـاه البين سـهـمـا ضـربـه (كـذا) [8]

وإذا رام هـجـوعـا طـرفـه هـزّه الشّـوق إلـيـكـم فـانـتـبـه

وقال [9] :

هـذا الحـجـاز وذاك ضـالـه قـد قـلّصـت عـنـه ظـلالـه

---

(1) لا وجود لهذين البيتين في (ع).

(2) في الديوان (في حسنه) مكان (في حبه).

(3) لا وجود لهذه القطعة في (ع).

(4) عجز البيت في الديوان (مغرم لم يقض منكم أربه).

(5) في الديوان (كلما لاح بريق شاقه).

(6) ورد البيت في الديوان على النحو الآتي :

لا تـلـومـوه إذا هـام بـكـم وصـبـا شـوقـا وأبـدى وصـبـه

(7) لا وجود لهذا البيت في الديوان.

(8) لا وجود لهذا البيت في الديوان.

(9) لا وجود لهذه القصيدة في (ع) وهي في الديوان (31) بيتا.

ماذا بكاء المستهام برقمتيه وما سؤاله
إن كان أطمعه الحمى فاليوم تؤيسه رماله
قد بان عنه جميله في نأيهم ونأى جماله [1]
أين المعاهد والعهود وأين من مال اعتداله
لهفي على الرّشّا الذي قد أفلتت منّي حباله
يصفو ويكدر حبّه والحبّ أكدره ملاله
ما إن حلالي وعده إلّا ومرّره مطاله
منع الكرى عن ناظري كي لا يلمّ به خياله [2]
لو أنّ ما بي من هواه بيذبل ذابت قلاله
يا ويح قلبي قد تفرّغ في هواه به اشتغاله
حمّلته ما لم يطق واليوم قد قلّ احتماله
ولكلّ خطب حيلة والبين قل لي ما احتياله

وقال :

سقى الله أيّامنا بالحجاز ولا جازها الغيدق الهاطل
فما كان أرغد عيشي بها إذ المنزل القفر بي آهل
لقد طال وجدي وذكري لها وليس لعصر مضى طائل [3]
فيا لهف نفسي له ماضيا ترحّل والوجد بي نازل
ترى من عزائي به خارج وداء الأسى في الحشا داخل [4]

---

(1) سقط هذا البيت من (أ). في الديوان (جماله) مكان (جميله) وفيه عجز البيت (وتحملت منه جماله)

(2) في الديوان (بنا) مكان (به).

(3) في الديوان (وليس لما قد مضى طائل).

(4) رواية الديوان لهذا البيت كالآتي :

ترى من غرامي به دائم وحالي من فقده حائل

درى أنّ وجـــدي بـــه لا يـــزول وصـــــبري مـــن بـــعـــده زائـــل
يـــقـــولـــون لي إنّـــه خـــاذل وخـير الـظّـبـا الشّـــادن الخـاذل [1]
أتـــعـــذلـــني جـــاهـــلا حـــالـــه لـك الـويـل يـا أيّـهـا الـعـاذل [2]
تجـيـب الصّـــفـــاة ولـيـس يجـيـب ودمـعـي عـلـى وجـنـتي ســـائـل [3]

وقال [4] :

أما لليل المستهام إشراق
أم هكذا يطول ليل العشّاق
كم لوعة لا تنقضي وأشواق
تزيد قلبي في الغرام إقلاق
جسم عليل وفؤاد خفّاق
ومدمع على الخدود رقراق [5]
في كلّ حين غرق وإحراق
من طرفي الباكي وقلبي المشتاق
إنّ الهوى ما زال نائي الأعماق [6]
يقصر عنه سابق ولحّاق
ماذا على من شاقني وما اشتاق
لو لم يضنّ بالخيال الطرّاق
الله لي من ذي ملال مذّاق

---

(1) الخاذل من الظباء : المتخلفة عن صواحبها.
(2) في ك (بالهوى) مكان (حاله).
(3) لا وجود لهذا البيت في ك.
(4) لا وجود لهذه الأرجوزة في ك.
(5) في أ(دفاق) مكان (رقراق).
(6) هذا الشطر ، والشطران اللذان بعده غير موجودة في (أ).

أصفيته الودّ بقلب ملّاق
إنّ مودّات القلوب أرزاق

وقال [1] :

يا متعبا بنقوش الخطّ أنمله وساهر اللّيل لم يرقد ولم ينم
دع عنك ما راحت الأقلام تنقشه في صفحة السّيف ما يغني عن القلم

وقال وهو معنى غريب [2] :

من ذا الّذي شرع المحبّة والتّواصل والوداد
فكأنّه لم يدر ما محن التّفرّق والبعاد

وقال [3] :

سل عن فؤادك يوم طاش بك الهوى إن كنت تملك في الغرام فؤادا [4]
هيهات عهدي يوم منعرج اللّوى قادت أزمته النوى فانقادا [5]

وقال [6] :

ريعت وقد أبصرت نبت العذار بدا كالرّوض يفترّ عن غبّ من الدّيم
فقلت ما الشّعر هذا ما ترين به وإنّما هو نبت الحلم والكرم

وقال :

أفديه من رشأ تبدّى واختفى كالبدر عند طلوعه ومغيبه [7]

---

(1) لا وجود لهذين البيتين في (ك).
(2) خلت (ك) من هذين البيتين أيضا.
(3) لا وجود لهذين البيتين في (ك).
(4) في الديوان (حين طاش).
(5) في الديوان (الهوى) مكان (النوى).
(6) لا وجود لهذين البيتين في (ك).
(7) في ك (بدا وقد اختفى).

يجفو ويهجر معرضا متدلّلا ويصدّ معتذرا بخوف رقيبه
نفسي الفداء له حسن الهوى فيه وطاب بحسنه وبطيبه
ما شاء فليصنع فقلبي طوعه ودع العذول يلجّ في تأنيبه

وقال :

ذاك الحجاز وهذه كثبانه فاحفظ فؤادك إن رنت غزلانه
واسفح دموعك إن مررت بسفحه شغفا به إنّ الدّموع جمانه
وسل المنازل عن هوى قضّيته هل عائد ذاك الهوى وزمانه
لهفي على ذاك الزّمان وأهله وسقاه من صوب الحيا هتّانه
إذ كان حبل الوصل متّصلا بنا والعيش مورقة به أغصانه
وإذ المعاهد مشرقات بالمنى والرّبع مغنى لم يبن سكّانه [1]
يا عاذليّ دعا فؤادي والجوى لا تعذلاه فإنّه ديدانه
وارحمتا لمتيّم قذفت به أيدي النّوى وتباعدت أوطانه
هبّت له من نحو نجد نسمة فتزايدت لهبوبها أشجانه
يمسي ويصبح والها متوجّعا تبكي عليه من الضّنى اخوانه [2]
ما إن تذكّر بالحجاز زمانه إلّا وشبّت في الحشا نيرانه
فسقى الحجاز ومن بذيّاك الحمى صوب المدامع هاطلا همّلانه
لا انفكّ للدّمع الهتون تقاطر بعد الحجاز ولا رقت أجفانه

وقال :

تذكّر والذكرى تهيج أخا الوجد مراتع ما بين الغوير إلى نجد [3]
أسير يعاني من نوائب دهره حوادث لا تنفكّ تترى على عمد

---

(1) في الديوان (والسفح) مكان (والربع).

(2) في الديوان (يمسي ويصبح بالفراق موجعا).

(3) في ك (مرابع) مكان (مراتع) والمثبت موافق لرواية الديوان.

إذا شـــاقـه مـن نحـو رامـة بـارق ذرى عـبرة مـن مـقـلـتـيـه عـلـى الخـدّ

يحـنّ إلى أحيـاء لـيـلـى بـذي الـغضـــا وأين الغضـــاويـب المشـــوق من الهنـد [1]

ويـبـكـي بـطـرف يـمـتري الشـــوق دمـعـه إذا مـا شـــدت ورق على فنني رنـد [2]

هي الـدار لا غبّـت مراتع ســـفـحـهـا ذهـاب الغوادي الجون تزجر بـالرّعـد [3]

تحـلّ بهـا غـيـداء مـن آل عـامـر كـلـيـلـة رجع الطّرف مـائسـة الـقـدّ

يـرنّحـهـا زهـو الصّـــبـاحـين تـنـثـني كمـا رنّحـت ريح الصّـــبـا عـذب الملـد

نمـتـهـا ســـراة مـن ذؤابـة عـامـر إلى ســروات المجـد والحســـب العـدّ [4]

فـيـا لـيـت شـــعـري والأمـاني تـعـلّـة وجور النّوى يهـدي إلى القلـب مـا يهـدي

أنصـــبـح والشـــمـل المـبـدّد مجـمـع فـيـخـبـو جـوى بـين الجـوانـح ذو وقـد

وتغـدو على رغم الزّمـان وقـد صـــفـت مـوارد وصـــل رنّـقـتـهـا يـد الـبـعـد

بلى ان الله على كلّ شـيء قدير ، وبالإجابة متى دعي جدير. والله أسـأل أن يسـنّ بالعود على أحسن الوجوه ، ويوفق لإتمام هذه الرحلة على أكمل وجه أرجوه.

---

(1) ويب : مثل ويل وزنا ومعنى.

(2) (فنني رند) كذا ورد في الديوان أيضا ، ولعله (فنن الرند). في ك (إذا شدت الورقاء في فنن الرند).

(3) الذهاب (بالكسر) ، جمع الذهبة : المطرة. في الديوان (غيدها) مكان (سفحها).

(4) العد (بالكسر) : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع.

وهنا انقطعت بنا المادة ، فوقفنا على هذه الجادة سائلين الله سبحانه أن يرزقنا الأوب إلى حرمه ، ويقضي لنا بالرجوع إلى جوار بيته المحرّم بجوده وكرمه.

ومتى سنح إن شاء الله تعالى شيء يليق الحاقة ألحقناه في سفر آخر.

قال مؤلفها الفقير إلى ربه الغني علي صـــدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم ابن أحمد نظام الدين بن ابراهيم الحسيني الحسني عفا الله عنهم : كان الفراغ من هذا السّفر (سلوة الغريب وأسوة الأريب) يوم الجمعة لليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وألف [1] والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

---

(1) نص المؤلف في ص / 293 على أنه ألف رحلته هذه ســـنة 1074 ، ويظهر أنه تاريخ بداية العمل ، وكان الانتهاء منه ســنة 1075 كما ذكر هنا وهو النص الحرفي المنقول من المخطوطة المرموز إليها بحرف (ع). وجاء في المخطوطة المرموز إليها بحرف (أ) حكاية عن المؤلف قوله (وكان الفراغ من تسويد هذه الرحلة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين بعد الألف. أما المخطوطة المرموز إليها بحرف (ك) فقد سقط منها تاريخ الفراغ من التأليف أو التسويد.

مراجع التحقيق

1 ـــ الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان البيروتي (محمد بن أحمد). نسخة مصورة عن الأصل المطبوع بأوربا.

2 . الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين الخطيب. تحقيق عبد الله عنان.

دار المعارف بمصر سنة 1955 م.

3 ـــ الاحتجاج للطبرسي (أحمد بن علي بن أبي طالب). منشورات دار النعمان في النجف الأشرف سنة 1966 م.

4 . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي المعروف بالبشاري.

مصور عن الأصل المطبوع بليدن سنة 1906 م.

5 ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار للأزرقي (محمد بن عبد الله بن أحمد). تحقيق رشدي الصالح ملحسن. مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة 1965 م.

6 ـــ أساس البلاغة للزمخشري (محمود جار الله بن عمر) دار مطابع الشعب بالقاهرة سنة 1960 م.

7 . الأصنام للكلبي (هشام بن محمد بن السائب) تحقيق أحمد زكي.

مصور عن طبعة دار الكتب المصرية سنة 1924 م.

8 . أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي. طبع دمشق وبيروت.

9 . الأعلام للزركلي (خير الدين). الطبعة الثانية. دمشق.

10 ـــ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين). طبع دار الثقافة ببيروت الطبعة الثالثة 1962 . 1964 م).

11 ـــ أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد لسعيد الشرتوني. طبعة مصورة في إيران عن الأصل المطبوع في بيروت.

12 ـ أمالي القالي (أبي علي اسماعيل بن القاسم) مع الذيل والنوادر.

تحقيق محمد عبد الجواد الأصـمعي. مصـور من قبل دار المكتب التجاري ببيروت عن طبعة دار الكتب المصرية.

13 ـ الإكليل لله مداني (الحسن بن أحمد) الجزءان الأول والثاني. تحقيق محمد بن علي الأكوع. مطبعة السنة المحمدية بمصر 1963 ـ 1966 م.

14 ـ أمالي المرتضى ـ الغرر والدرر ـ للشريف المرتضى (علي ابن الحسين). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر 1954 م.

15 ـــ أنباه الرواة في أنباء النحاة للقفطي (علي بن يوسف). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مطبعة دار الكتب المصرية 1950 ـ 1973 م.

16 ـــ أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحسـاء والبحرين للشـيخ علي بن حسن البلادي البحراني. مطبعة النعمان في النجف الأشرف 1960 م.

17 ـ أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني (السيد علي صدر الدين) تحقيق شاكر هادي شكر. مطبعة النعمان في النجف الأشرف 1968 ـ 1969 م.

18 ـ الأوراق ـ أخبار الشعراء ـ للصولي (محمد بن يحيى) مطبعة الصاوي بمصر سنة 1934 م.

19 ـــ ايضاح المكنون لاسماعيل باشا البغدادي. تصوير المكتبة الاسلامية بايران سنة 1967 على الاصل المطبوع باستنبول.

20 ـــ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني. مطبعة السعادة بمصر 1348 م.

21 ـ البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي. تحقيق الدكتور ابراهيم

الكيلاني. نشر مكتبة أطلس ، ومطبعة الإنشاء بدمشق 1964 م.
22 . بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى الضبي.
تصوير مكتبة المثنى عن الأصل المطبوع في مدينة مجريط سنة 1884 م.
23 ـــ بغية الوعاة في طبقاة اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة 1964 م.
24 ـــ تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1 . 16) وزارة الإعلام في الكويت.
25 . تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. نشر دار الكتاب العربي بيروت (أوفست).
26 ـ تاريخ الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار المعارف بمصر 1960 . 1969 م.
27 . تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم. تأليف جاسم السيد حسن شبر.
مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1965 م.
28 . تتمة يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد). نشر عباس إقبال. مطبعة فريدون بطهران 1353 هـ.
29 ـــــ التذكرة السـعدية في الأشـعار العربية لمحمد بن عبد الرحمن ابن عبد المجيد العبيدي. تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري. مطبعة النعمان في النجف الأشرف 1972 م.
30 . تقويم البلدان لأبي الفداء السلطاني عماد الدين اسماعيل ابن محمد.
مصور من قبل مكتبة المثنى ببغداد عن الأصل المطبوع بباريس سنة 1840 م.
31 . التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد).
تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العربية بمصر 1961 م.

32 ــ جمهرة أنساب العرب لابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد). تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر 1962 م.

33 . جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمحمد بن نصر الحميدي.

تحقيق محمد بن تاويت الطنجي. نشر مكتبة الثقافة الإسلامية بمصر.

الطبعة الأولى 1952 م.

34 . حديقة الأفراح للشيرواني (أحمد بن محمد الأنصاري اليمني). مصر 1305 م.

34 أــ حكمة الإشراق للسهروردي يحيى بن حبش. مطبعة انستيتو بطهران 1952 م.

35 ــ حلبة الكميت للنواجي (شمس الدين محمد بن الحسن) المكتبة العلامية بمصر 1938 م.

36 ـــ حلية الأولياء لأبي نعيم (أحمد بن عبد الله الأصـبهاني). دار الكتاب العربي ببيروت.

37 . حماسة أبي تمام الطائي (حبيب بن أوس). شرح المرزوقي. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون. لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر 1967 م.

38 ــ حماسة البحتري (أبي عبادة الوليد بن عبيد) ضبط وتعليق لويس شيخو. دار الكتاب العربي ببيروت 1967 م.

39 ـ الحماسة البصرية لصدر الدين ابن أبي الفرج. تصحيح وشرح مختار الدين أحمد. طبع حيدر آباد 1964 م.

40 ــ الحماسة الشجرية لهبة الله بن علي المعروف بابن الشجري. تحقيق عبد المعين الملوحي ، وأسماء الحمصي. منشورات وزارة الثقافة بدمشق 1970 م.

41 ـ حماسة الظرفاء (الأول) لعبد الله بن محمد العبدلكاني الزوزني. تحقيق محمد جبار المعيبد. منشورات وزارة الإعلام العراقية 1973 م.

42 . حياة الحيوان الكبرى للدميري. مطبعة الاستقامة بمصر 1383 هـ.

43 ــ الحيوان للجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر). تحقيق عبد السلام محمد هارون. مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر 1945 م.

44 ـ خريدة القصر (شعراء العراق) للعماد الأصبهاني (محمد بن صفي الدين). تحقيق محمد بهجت الأثري. نشر المجمع العلمي ثم وزارة الإعلام العراقية.

45 ـــ خريدة القصر (شعراء مصر) تحقيق أحمد أمين ، وشوقي ضيف ، وإحسان عباس. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1951 م.

46 . خزانة الأدب لابن حجة الحموي (تقي الدين أبو بكر بن علي).

تصـــوير دار القاموس الحديث ببيروت عن الأصـــل المطبوع بالمطبعة الخيرية بمصـــر 1304 هـ.

47 ـ خلاصة الأثر للمحبي (محمد أمين بن فضل الله). أعادت تصويره مكتبة خياط ببيروت.

48 . دائرة المعارف الإسلامية (1 . 14) مصورة في إيران عن المترجم والمطبوع بمصر.

49 ـ دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ، أعادت تصويرها دار المعرفة ببيروت عن الأصل المطبوع في القاهرة.

50 ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني. المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف 1382 هـ.

51 ـــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسـقلاني (شـهاب الدين أحمد). تحقيق محمد سيد جاد الحق. دار الكتب الحديثة بمصر 1966 م.

52 ـــ دمية القصر للباخرزي (علي بن الحسن بن علي) المطبعة العلمية بحلب سنة 1930 م ، والجزءان الأول والثاني من المطبعة المصرية تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.

53 ــ ديوان ابن حمديس الصقلي (عبد الجبار بن أبي بكر). طبع دار صادر ببيروت 1960 م.

54 ـــ ديوان ابن خفاجة الأندلسي (ابراهيم بن عبد الله) طبع دار صادر ببيروت 1961 م.

55 . ديوان ابن الخياط الدمشقي (أحمد بن محمد) تحقيق خليل مردم.
المطبعة الهاشمية بدمشق 1958 م.

56 ـــ ديوان ابن دقيق العيد (محمد بن علي) اختيار الصفدي. تحقيق علي صافي حسين. دار المعارف بمصر.

57 ـ ديوان ابن رشيق القيرواني (الحسن بن رشيق) جمع وتحقيق عبد الرحمن باغي نشر دار الثقافة ببيروت.

58 ـــ ديوان ابن الرومي ـــ اختيار كامل كيلاني. مطبعة التوفيق بمصر 1924 م ، والأجزاء (1 ـــ 3) من الديوان تحقيق الدكتور حسين نصار ، طبع دار الكتب المصرية 1973 . 1976 م.

59 . ديوان ابن عنين (محمد بن نصر) تحقيق خليل مردم. مطبعة دمشق 1964 م.

60 . ديوان ابن الفارض (عمر بن علي) طبع دار صادر ببيروت 1962 م.

61 . ديوان ابن المعتز (عبد الله بن المعتز) طبع دار صادر ببيروت 1961 م.

62 ــ ديوان ابن معصوم المدني (علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين) تحقيق شاكر هادي شكر. جاهز للطبع.

63 ـــ ديوان ابن نباتة المصري (محمد بن محمد) مطبعة التمدن بعابدين ـــ القاهرة . 1905 م.

64 ـــ ديوان أبي الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) تحقيق وتكملة الشيخ محمد حسن آل ياسين. مطبعة المعارف ببغداد 1964 م.

65 . ديوان أبي تمام الطائي (حبيب بن أوس) شرح الخطيب التبريزي.
تحقيق محمد عبده عزام. طبع دار المعارف بمصر 1964 . 1965 م.

66 ـــ ديوان أبي الحسن التهامي (علي بن محمد) من منشورات المكتب الإسلامي بدمشق سنة 1964 م.

67 ـ ديوان أبي حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف) تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي ، والدكتور أحمد مطلوب. مطبعة العاني ببغداد 1969 م.

68 ـ ديوان أبي العتاهية (اسماعيل بن القاسم). تحقيق الدكتور شكري فيصل. مطبعة جامعة دمشق 1965 م.

69 ـــ ديوان أبي العلاء المعري (أحمد بن عبد الله) ـــ سقط الزند ـــ شروح التبريزي ، والبطليموسي ، والخوارزمي. تحقيق مصطفي السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام محمد هارون ، وابراهيم الأبياري ، وحامد عبد المجيد. مطبعة دار الكتب المصرية 1974 م.

70 ـ ديوان أبي فراس الحمداني (الحارث بن سعيد). طبع دار صادر ببيروت 1961 م.

71 ـــ ديوان أبي نواس (الحسن بن هاني). تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي. طبع دار الكتاب العربي ببيروت 1953 م.

72 . ديوان الأحوص الأنصاري (عبد الله بن محمد). تحقيق عادل سليمان.

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة 1970 م.

73 ـ ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) شرح وتعليق الدكتور م. محمد حسين. المطبعة النموذجية بمصر 1950 م.

74 . ديوان البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد). تحقيق كامل الصيرفي.

طبع دار المعارف بمصر 1963 . 1964 م.

75 ـــ ديوان بشار بن برد. تحقيق وتكملة محمد الطاهر بن عاشور. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر 1950 م.

76 . ديوان جميل بثينة بن عبد الله العذري. طبع دار صادر ببيروت 1966 م.

77 ـــ ديوان دعبل بن علي الخزاعي. جمع وتحقيق الدكتور عبد الكريم الأشتر. المجمع العلمي العربي بدمشق 1964 م.

78 ـــ ديوان الرضي (الشريف الرضي محمد بن الحسين). طبع دار صادر ببيروت 1961 م.

79 . ديوان السري الرفاء بن أحمد الكندي. نشر مكتبة القدسي بمصر 1355 هـ

80 ـ ديوان الشاب الظريف (شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني) تكملة وتحقيق شاكر هادي شكر. مطبعة النجف في النجف الأشرف 1967 م.

81 . ديوان الشافعي (الإمام محمد بن ادريس) جمع وتحقيق زهدي يكن.

طبع دار الثقافة ببيروت 1961 م.

82 . ديوان صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سرايا) طبع دار صادر ببيروت 1962 م.

83 . ديوان عروة بن الورد. طبعدار صادر ببيروت 1964 م.

84 . ديوان عمر بن أبي ربيعة. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

مطبعة السعادة بمصر 1960 م.

85 . ديوان عنترة بن شداد العبسي. طبع دار صادر ببيروت 1958 م.

86 ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب. مطبعة العاني ببغداد 1962 م.

87 . ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين) شرح الواحدي طبع برلين 1861 م.

وشرح العكبري مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1956 ، وشرح البرقوقي نشر دار الكتاب العربي ببيروت ، وشرح اليازجي ، المطبعة الأدبية ببيروت.

88 ـــ ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح) جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار مصر للثقافة.

89 ـــ ديوان مسلّم بن الوليد (صريع الغواني). تحقيق الدكتور سامي الدهان. دار المعارف بمصر 1957 م.

90 . ديوان مهيار بن مرزويه الديلمي. طبع دار الكتب المصرية 1925 م.

91 . ديوان النامي (أحمد بن محمد) جمع وتحقيق صبيح رديف. بغداد 1970 م.

92 . ديوان الهذليين. طبع دار الكتب المصرية في السنوات 945 و 948 و 1950 م.

93 . الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ، الطبعة الأولى.

94 . ذيل مرآة الزمان لليونيني (موسى بن محمد) طبع حيدر آباد 1954 م.

95 ـــ رجال الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسن) تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم. المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف 1381 هـ.

96 . رحلة ابن جبير (محمد بن أحمد). طبع دار صادر ببيروت 1964 م.

97 ـــ رسائل الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر). تحقيق عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بمصر 1964.

98 ـــ روضات الجنات للخونساري (محمد باقر بن زين العابدين). الطبعة الحجرية الثانية. إيران سنة 1367 هـ.

99 ـ ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجي (أحمد بن محمد) تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة عيسي البابي الحلبي بمصر 1967 م.

100 ـ زهر الآداب للحصري القيرواني (ابراهيم بن علي) تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية بمصر 1953 م.

101 ـ الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني ـ القسم الثاني ـ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، والدكتور نوري حمودي القيسي.

منشورات وزارة الاعلام ببغداد 1975 م.

102 ـ سراج الملوك للطرطوشي (أبي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري). المطبعة المحمودية بمصر 1935 م.

103 ـــ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر. للسيد علي صدر الدين بن السيد أحمد نظام الدين بن معصوم المدني. تصوير المكتبة المرتضوية بإيران عن طبعة مكتبة الخانجي بمصر 1324 هـ.

104 ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري تحقيق عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1936 م.

105 ـ صمت النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين العصامي المكي. المطبعة السلفية بمصر 1380 هـ.

106 ـــ السيرة النبوية لابن هشام (عبد الملك بن هشام). تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1955 م.

107 ـــ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن العماد). تصوير المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت.

108 ـــ الشعر والشعراء لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم). دار الثقافة ببيروت 1964 م.

109 ـــ شعراء النصرانية قبل الإسلام للويس شيخو اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية ببيروت 1967 م.

110 ـــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي. دار إحياء الكتب العربية بمصر 1956 م.

111 ـــ الضوء اللامع للسخاوي (محمد بن عبد الرحمن). تصوير دار مكتبة الحياة ببيروت.

112 ـــ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأرفوي (كمال الدين جعفر بن ثعلب). تحقيق سعد محمد حسن. الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م.

113 . طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى. مطبعة السنة المحمدية بمصر 1952 م.

114 ـــ طبقات الشافعية للسبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي) تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح محمد الحلو. مطبعة عيسى البابي الحلبي. الطبعة الأولى 1964 ـ 1976 م.

115 ـ طبقات الشعراء لابن المعتز (عبد الله بن المعتز) تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار المعارف بمصر 1956 م.

116 ـ العالم الإسلامي لعمر رضا كحالة. المطبعة الهاشمية بدمشق 1958 م.

117 ـــ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني (زكريا ابن محمد). مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1956 م.

118 ـ عشائر العراق لعباس العزاوي المحامي. شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد . الطبعة الأولى.

119 ـــ العقد الفريد لابن عبد ربه (أحمد بن محمد). تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الأبياري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر 1948 م.

120 ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، لأحمد بن علي الحسني. منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت.

121 ـــ عيون الأخبار لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

122 ـــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم). منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت 1965 م.

123 ـ الغدير للأميني (الشيخ عبد الحسين أحمد). الطبعة الثانية.

124 ـ الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقا (محمد بن علي بن طباطبا). دار صادر ببيروت 1966 م.

125 ـــ الفرج بعد الشدّة للقاضي التنوخي (المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد). مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد 1955 م.

126 ـ الفهرست لابن النديم. تصوير مكتبة خياط ببيروت عن طبعة أوربا.

127 ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر 1951 م.

128 . في ظلال القرآن لسيد قطب. دار إحياء التراث العربي ببيروت. الطبعة السابعة 1971 م.

129 ـــ القاموس الإسلامي (1 ـــ 4) لأحمد عطية الله. مكتبة النهضة المصرية ، 1963 . 1976 م.

130 ـــ القاموس المحيط للفيروز أبادي (محمد بن يعقوب) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1952 م.

131 . قلائد العقيان للفتح بن خاقان. مطبعة التقدم العلمية بمصر 1320 هـ.

132 . الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري (عز الدين علي ابن محمد).
المطبعة المنيرية ، ومطبعة الاستقامة بمصر 1348 . 1353 هـ.

133 ـــ كشف الظنون للحاج خليفة (مصطفى بن عبد الله) نسخة مصورة عن الأصل المطبوع باستنبول.

134 ـ الكشكول لبهاء الدين العاملي (محمد بن الحسين الحارثي) تحقيق طاهر أحمد الزاوي. دار إحياء الكتب العربية 1961 م.

135 ـ لؤلؤة البحرين للشيخ يوسف الطريحي. تحقيق محمد صادق بحر العلوم. مطبعة النعمان في النجف الأشرف.

136 ـــ لسان العرب لابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) نشر دار صادر ، ودار بيروت ببيروت 1968 م.

137 . مباحث عراقية ليعقوب سركيس. شركة التجارة والطباعة المحدودة.
بغداد 1948 . 1955.

138 . مجالس ثعلب (أحمد بن يحيى). تحقيق عبد السلام محمد هارون.
دار المعارف بمصر 1960 م.

139 ـــ المجالس السنية للسيد محسن الأمين العاملي. مطبعة النعمان في النجف الأشرف.

140 ـ مجمع البحرين للطريحي (فخر الدين بن الشيخ محمد علي). تحقيق أحمد علي الحسيني. مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

141 ـــ مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1950 م.

142 ـــــ مرآة الجنان لليافعي (عبد الله بن أســعد بن علي) مؤســســة الأعلمي للمطبوعات ببيروت 1970 م.

143 ـــ مراصد الاطلاع لصفي الدين بن عبد الحق البغدادي. تحقيق علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر 1954 م.

144 ـــ مروج الذهب للمسعودي (علي بن الحسين). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر 1964 ـ 1965 (الطبعة الرابعة).

145 ـــ مصارع العشاق لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج. طبع دار صادر ببيروت 1958 م.

146 ـــ المصباح المنير لأحمد بن محمد المقري الفيومي. تصحيح مصطفى السقا. مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر 1950 م.

147 ـــ معاهد التنصيص للعباسي (عبد الرحيم بن عبد الرحمن) المطبعة البهية بمصر 1316 هـ.

148 ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق أحمد فريد الرفاعي. من منشورات دار المأمون بمصر.

149 ـــــ معجم ألفاظ القرآن. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. الطبعة الثانية 1970 م.

150 ـــــ معجم البلدان لياقوت الحموي. نسخة مصورة في إيران عن طبعة أوربا 1869 م.

151 ـ المعجم الزوولوجي لمحمد كاظم الملكي. مطبعة النعمان في النجف الأشرف.

152 ـ معجم الشعراء للمرزباني (محمد بن عمران بن موسى) تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار إحياء الكتب العربية بمصر 1379 هـ.

153 ـــ معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري. تحقيق مصطفى السقا. لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر 1949 م.

154 . معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة. مطبعة الترقي بدمشق 1961.

155 ـــ معجم متن اللغة للشـيخ أحمد رضـا. دار مكتبة الحياة ببيروت 1958 . 1960 م.

156 ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف اليان سركيس مطبعة سركيس بمصر سنة 1928 م.

157 ـــ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار إحياء الكتب العربية بمصر الطبعة الأولى.

158 ـ المغرب في حلى المغرب لعلي بن موسى بن سعيد. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف بمصر 1964 م.

159 ـــ مغني اللبيب لابن هشام (عبد الله بن يوسف الأنصاري) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

160 ـــ مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين) تحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية بمصر 1949 م.

161 ـــ مقامات الحريري (القاسم بن علي) شرح الشريشي (أحمد بن عبد المؤمن). نشر عبد الحميد أحمد حنفي بمصر. الطبعة الأولى.

162 ـ المناقب لابن شهر اشوب (رشيد الدين محمد بن علي). المطبعة العلمية بقم. إيران.

163 ـــ ميزان الاعتدال للذهبي (محمد بن أحمد) تحقيق علي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر 1963 م.

164 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف). نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

165 ـــــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد الأنباري. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. دار نهضة مصر 1967 م.

166 ـــــ نفح الطيب من غصـــن الأندلس الرطيب للشـــيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني . تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار صادر ببيروت 1968 م.

167 . نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي (محمد أمين بن فضل الله.

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو). مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر 1967 م.

168 ـــــ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (أحمد بن عبد الوهاب). دار الكتب المصرية.

169 ـــــ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (مجد الدين المبارك بن محمد). تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي.

مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر 1963 م.

170 ـ نوادر المخطوطات جمع وتحقيق عبد السلام محمد هارون لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر 1951 م.

171 ـ هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي. نسخة مصورة عن الأصل المطبوع في المطبعة البهية بالأستانة 1955 م.

172 ـ الوافي بالوفيات للصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) (1 ـ 4) مصور في إيران ، منشورات جهان.

173 . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (أحمد ابن محمد).

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر 1948 م.

174 . وقعة صفين لنصر بن مزاحم. تحقيق عبد السلام محمد هارون.

مطبعة المدني بمصر 1382 هـ.

175 ـــــ يتيمة الدهر للثعالبي (عبد الملك بن محمد). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر 1956 م.

فهرس الكتاب

ترجمة المؤلف في سطور 5
التعريف بالمخطوطات المعتمدة في التحقيق 9
مقدّمة المؤلف 13
رحلة سلوة الغريب وأسوة الأريب 16
ذكر نسب المولى المذكور 187
مراجع التحقيق 305